ISSN Print: 2959-1171
ISSN Digital: 2959-117x

المجلة اللبنانية للعلوم والابحاث

Lebanese Journal of Science and Research (LJSR)

العدد الرابع - الفصل الشتوي - ارجب ١٤٤٦ - ١ كانون الثاني ٢٠٢٥

الجمعيّة اللبنانيّة للعلوم والأبحاث
Lebanese Association for Science and Research

مجلة علمية فصلية محكّمة

تصدر عن الجمعية اللبنانية للعلوم والأبحاث (LASR)

الجمعيّة اللبنانيّة للعلوم والأبحاث
Lebanese Association for Science and Research

المجلة اللبنانية للعلوم والأبحاث

Lebanese Journal of Science and Research (LJSR)

العدد الرابع – الفصل الشتوي –١ رجب ١٤٤٦– ١ كانون الثاني ٢٠٢٥

ISSN : 2959 - 118X

مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن الجمعية اللبنانية للعلوم والأبحاث (LASR)

تنشر البحوث الأصليّة والدراسات الميدانيّة في شتّى فروع العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة باللّغتين العربيّة والإنكليزيّة

جميع الأفكار الواردة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين وحدهم

الجمعيّة اللبنانيّة للعلوم والأبحاث
Lebanese Association for Science and Research

رئيس التّحرير:
أ.د. صلاح الدين سليم أرقه دان.
نائب رئيس التّحرير:
أ.د. حسين عزات عطوي.
هيئة التّحرير:
د. إبراهيم حسين الموسى.
د. يوسف حسن ديب الجاجية

الهَيئةُ الاستِشَارِيّة

أ.د. إبراهيم الحوت (لبنان).
ـ أ.د. أحمد سيف الدين (لبنان).
ـ أ.د. اسعيدة بنت العربي العثماني (المغرب).
ـ د. حسن تركي عمير الأوسي (العراق).
ـ أ.د. عبد الله محمد صحراوي (الجزائر).
ـ أ.د. سليم هاني منصور (لبنان) .
-د. فريحة ابو بكر ابو عمود (ليبيا)
ـ أ.د. فيصل عبد الله أحمد الكندري (الكويت).
ـ د. محمد امحمد العادل (تركيا).
ـ أ.د. محمد حسان الطيّان (سورية).
د. محمد الجدي (فلسطين) .
ـ د. محمد عبد الكريم عبد الله الهد (السودان).
ـ د. ناصر الدين محمد الشاعر (فلسطين).
ـ أ.د. وجيه يعقوب السيد (مصر).

اقرأ في هذا العدد:

□ كَلِمَةُ العَدَد
■ **بقَلم/ رئيَس التحرير** **٤**

□ التبادل الحضاري بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى
■ **الشيخ جميل عيتاني**
■ **د. حبيب البدوي** **٦**

□ الأحكام الشرعية في ضوء النوازل الفيروسية الطارئة... جائحة كورونا وأثرها في أحكام الزكاة والوقف
■ **د. جهاد حمد حمد** **٣٩**

□ عمليات بيع النقود وصرفها والمتاجرة بها: حكمها الشرعي وآثارها
■ **د. جهاد خليل سيف الدين** **٧٥**

□ جوع أم مجاعة؟
مناقشة لأحداث الحرب العالمية الأولى في المقاطعات اللبنانية
■ **أ.د. سليم هاني منصور** **٩٦**

□ تعليم القيم والهوية الثقافية من خلال السرد الأدبي:دراسة تطبيقية على مقرَّر (قراءات في الأدب الكويتي المعاصر) بجامعة الخليج للعلوم والتكنولوجي (الكويت)
■ **أ.د. صلاح الدين سليم أرقه دان** **١٣٥**

□ أهمية التدريب للمعلمين المنهاج الوسائل والاستراتيجيات
■ **د. نوال قاسم يوسف** **١٦٠**

□ ما بين البنية اللغويّة والاتّجاهات الأسلوبيّة، نظرة استقرائيّة
■ **د. يوسف الجاجية**
■ **حورية علي عبد الرحمن** **١٧٠**

□ الاستلزام الحواريّ في ديوان الأمير شكيب أرسلان (دراسة تداوليّة)
■ **أيمن محمّد الصدّيق** (طالب في مرحلة الدكتوراه) **١٨٦**

□ تجربة تدريس المواد التطبيقية عن بعد في برامج التصميم والتواصل البصري في الجامعات الأردنية/ تجربة جامعة جدارا
■ **زيدون إحسان الرباعي** (طالب في مرحلة الدكتوراه) **٢١٤**

قَوَاعِدُ النَّشر

تقبل المجلة البحوث العلمية المبتكرة في أحد العلوم المذكورة باللغة العربية (حاليًا على أن تتسع للغات أخرى لاحقًا، على أن تحقق الشروط التالية:

١- أن تراعى في المادة المرسلة قواعد البحث العلمي بتوثيق المصادر والمراجع والنصوص، والالتزام بالموضوعية والمنهجية في الكتابة.

٢- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر في الوقت نفسه، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.

٣- تراجع المواد المرسلة، من قبل محكّمين، ولا تعاد المادة إلى صاحبها في حالة عدم نشرها.

٤- أن يوضع اسم الباحث وصفته العلمية وعنوانه باللغتين العربية والإنكليزية تحت عنوان البحث مباشرة.

٥- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

- عنوان البحث.
- اسم الباحث ودرجته العلميَّة، والجامعة التي ينتمي إليها.
- البريد الإلكتروني للباحث.
- ملخَّص للدراسة (باللغتين العربية والإنكليزية في حدود ١٥٠ كلمة).
- الكلمات المفتاحية بعد الملخص.

٦- أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة

٧- ينضد البحث على الحاسوب على برنامج (Microsoft Word) وتترك مسافتين بين الأسطر.

٨- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

- اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) حجم الخط (١٦ في المتن).
- اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (١٤ في المتن).
- تكتب العناوين الرئيسة والفرعية للفقرات بحجم ١٦نقطة مثلها مثل النص الرئيس لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي داخل النص.

٩- كتابة الآيات القرآنية حصرا بالرسم العثماني

١٠- توضع قائمة بالمراجع في آخر البحث على ورقة أو أوراق مستقلة وفق الترتيب الألفبائي.

١١- يُضَمّن البحث المقابل الأجنبي للمصطلحات العربية المستخدمة مرة واحدة عند ورودها لأول مرة.

١٢- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.

تتم جميع المراسلات باسم رئيس تحرير (المجلة اللبنانية للعلوم والأبحاث – LJSR

وترسل بالبريد الإلكتروني إلى: ChiefEditor@derasatwakf.com

lebanesejsr@gmail.com

كَلِمَةُ العَدَدِ

بقلم/ رئيس التحرير

أ.د. صلاح الدين سليم أرقه دان.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

فكما عوّدتنا هيئة تحرير (المجلة اللبنانية للعلوم والأبحاث)، لم تتوانَ، رغم التحديات الجسام والأحداث العصيبة التي عصفت بوطننا الحبيب، لسنة كاملة، ولا سيما العدوان الصهيوني الغاشم، الذي خلّف دمارًا وقتلاً يذكّر بويلات الحرب العالمية الثانية، التي حصدت الأرواح وأتلفت الممتلكات ودمّرت المدن. لقد أصبحت أرض الجنوب اللبناني، بمدنها وبلداتها وقراها، تعكس صورة العدوان ذاته على غزة، حيث الاستباحة غير المسبوقة والعربدة التي لا تجد لها رادعًا.

ورغم كل ذلك، واصل الأساتذة أعضاء هيئة التحرير، والمحكّمون، عملهم الدؤوب في مراجعة الأبحاث العلمية التي يقدّمها هذا العدد إلى السادة العلماء وطلابهم في مختلف التخصصات، متضمّنًا موضوعات ذات قيمة علمية متميزة، بعضها دراسات ميدانية تستند إلى الواقع، وأخرى تتناول أسئلة فكرية واقتصادية، فضلاً عن الأبحاث التاريخية التي تُسهم في التحليل والكشف عن بعض الحقائق المستترة، إضافةً إلى الدراسات اللغوية العميقة.

وهـذا هـو العـدد الرابـع في مسـيرتنا العلميـة، وكـما كان الأمـر في الأعـداد السـابقة، فقـد التزمنـا بالمعايير الدوليـة في التحكيـم العلمـي، واعتمدنا الدراسـة الموضوعيـة المبنيـة عـلى أسـس رصينـة وأبحـاث أصيلـة، دون تدخـل أدوات الـذكاء الاصطناعـي وبرامجـه. وبفضـل هـذه الجهـود والالتـزام، حظيـت المجلـة، بفضـل اللـه، باعتـماد رسـمي ضمـن متطلبـات الترقيـة العلميـة في جامعـات مرموقـة داخـل الوطـن العـربي وخارجـه.

العـدد الرابـع بـين أيديكـم، ولـن يفصلنـا عـن العـدد الخامـس سـوى بضعـة أشـهر، بـإذن اللـه، لنواصـل معًـا بنـاء قاعـدة علميـة بحثيـة متينـة تتطـوّر وترتقـي مـع كل إصـدار جديـد، تمامًـا كالبنـاء الـذي يتجـدّد باسـتمرار، لكنـه يحافـظ عـلى أسسـه ثابتـة في مواجهـة التحديـات التـي تعصـف بعـالم اليـوم.

الشـكر موصـول لـكل مـن سـاهم في إصـدار هـذا المولـود العلمـي وإخراجـه إلى النـور.

والله ولي التوفيق.
رئيس التحرير

التبادل الحضاري بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى
Cultural Exchange Between Muslims and Byzantines in the Middle Ages

الشيخ جميل عيتاني، جامعة المقاصد، كليّة الدراسات الإسلامية،

د. حبيب البدوي، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

المستخلص

تبحث هذه الدراسة في التبادل الثقافي متعدد الأوجه بين المسلمين والبيزنطيين خلال العصور الوسطى، وتستكشف التفاعلات المعقدة التي شكلت -بعمق- كلتا الحضارتين، وذلك من خلال تحليل شامل للشبكات التجارية، والمساعي الفكرية، والتأثيرات الفنية، والحوارات الدينية، والعلاقات الدبلوماسية، حيث يكشف البحث عن نسيج غني من التأثير المتبادل والتكيف.

وتسلط الدراسة الضوء على الدور المحوري لحركات الترجمة في نقل المعرفة، ولا سيما الحفاظ على التعلم الكلاسيكي وتطويره من قبل العلماء المسلمين. ويدرس تأثير الممارسات التجارية الإسلامية وشبكات التجارة على الانتشار الثقافي، وأهمية التبادلات الدبلوماسية في تعزيز التفاهم المتبادل، وفي بعض الأحيان، التحالفات الاستراتيجية.

علاوة على ذلك، يتعمق هذا البحث في الفروق الدقيقة في التعايش الديني والصراع، ويستكشف مفاهيم مثل نظام الذمة الإسلامي وتأثيره على العلاقات بين الثقافات. كما يبحث في التأثير الدائم لهذا التبادل على الابتكارات الفنية والتقدم العلمي والتطورات الفلسفية في كل من المجتمعات الإسلامية والبيزنطية.

وتؤكد النتائج على العواقب العميقة والدائمة لهذا الحوار بين الثقافات في العصور الوسطى، ليس على نطاق الحضارتين الإسلامية والبيزنطية وحسب، ولكن أيضا على المسار الأوسع لتاريخ العالم، من خلال فحص هذه التفاعلات عبر عدسات متعددة، بما في ذلك المنظور الإسلامي. فتقدم هذه الدراسة رؤى قيمة حول الأنماط التاريخية للتبادل الثقافي وأهميتها للحوارات المعاصرة بين الثقافات.

المنهجية

يستخدم البحث تحليلا تاريخيا مقارنا شاملا، مستمدا من مجموعة متنوعة من المصادر الأولية، بما في ذلك النصوص التاريخية والأدلة الأثرية والروايات المعاصرة من المنظورين

الإسلامي والبيزنطي. يتم إيلاء اهتمام خاص للمصادر الإسلامية مثل أعمال الطبري وابن الأثير والمسعودي لتقديم نظرة ثاقبة لتصورات المسلمين وتفسيراتهم لهذه التفاعلات.

كما تستخدم المصادر الثانوية، بما في ذلك المقالات العلمية والكتب من الأكاديميين الغربيين والمسلمين، لوضع البيانات الأولية في سياقها وتفسيرها. كما تستخدم الدراسة تحليل الشبكات لفهم الشبكة المعقدة للتفاعلات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية بين الثقافتين، مع التركيز على كيفية تسهيل المؤسسات والممارسات الإسلامية لهذه الروابط.

بالإضافة إلى ذلك، يتضمن البحث تحليلا للثقافة المادية، بما في ذلك الهندسة المعمارية والفن والعملات المعدنية، لتقديم دليل ملموس على التبادل الثقافي والتأثير المتبادل. يتم فحص الأنماط الهندسية الإسلامية والخط والابتكارات المعمارية كناقلات للانتقال الثقافي.

يستخدم هذا البحث نهجا متعدد التخصصات، يجمع بين التحليل التاريخي الدقيق وعناصر الدراسات الثقافية وتاريخ الفن والدراسات الدينية والتاريخ الاقتصادي.

وتشمل المنهجية ما يلي:

١. الفن والتحليل المعماري: التحقيق في الثقافة البصرية والمادية، بما في ذلك الآثار المعمارية والمخطوطات المضيئة والفنون الزخرفية، لتتبع تطور الأساليب والتقنيات الفنية عبر الحدود الثقافية. وهذا يشمل دراسة تأثير الأنماط الهندسية الإسلامية والخط على الفن البيزنطي.

٢. دراسات الحالة: التركيز على مناطق محددة (على سبيل المثال: بلاد الشام والقسطنطينية) أو فترات، لتقديم أمثلة متعمقة للتفاعل والتبادل الثقافي، مما يوضح كلاً من الديناميات المحلية والأنماط الأوسع.

٣. التحليل التاريخي المقارن: فحص مجموعة متنوعة من المصادر الأولية من السياقات البيزنطية والإسلامية، بما في ذلك السجلات التاريخية والنصوص الدينية والأطروحات العلمية، لتحديد أنماط التبادل الثقافي والتأثير المتبادل.

٤. التحليل اللغوي: دراسة دور اللغة، وخاصة العربية واليونانية، في تسهيل نقل المعرفة والتبادل الثقافي، بما في ذلك تأثير حركات الترجمة على الخطاب العلمي والفلسفي.

٥. الأدلة النقدية والأثرية: دمج تحليل العملات المعدنية والتحف المادية لتقديم دليل ملموس على التفاعلات الاقتصادية والتأثيرات الثقافية.

٦. التحليل النصي: إجراء دراسات متعمقة للنصوص الرئيسية، بما في ذلك الأعمال اللاهوتية والمخطوطات العلمية والمراسلات الدبلوماسية، لفهم طبيعة ومدى التبادل الفكري. ويُولى اهتمام خاص للترجمات العربية للنصوص اليونانية وتعليقاتها.

بيان الأطروحة

تجادل هذه الأطروحة بأن التبادل الثقافي بين المسلمين والبيزنطيين خلال العصور الوسطى كان عملية متعددة الأوجه وديناميكية، تميزت بفترات من الصراع والتعاون والتأثير المتبادل العميق. شكل هذا التفاعل المعقد -بشكل كبير- المشهد السياسي والعسكري والفكري والاجتماعي والاقتصادي لكلتا الحضارتين، تاركا بصمة لا تمحى على مساراتهما التاريخية، وساهم في النسيج الغني للحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.

أسئلة البحث

١. كيف أثر المفهوم الإسلامي للأمة (المجتمع) على التفاعلات مع المسيحيين البيزنطيين، لا سيما في المناطق الحدودية؟

٢. كيف أثرت التحالفات السياسية والعسكرية على التفاعلات الثقافية؟ وكيف شكلت المفاهيم الإسلامية للدبلوماسية والحرب هذه العلاقات؟

٣. ما هو الدور الذي لعبته التجارة والتنقل في تسهيل التبادل الثقافي؟ وكيف أثرت شبكات التجارة الإسلامية ومبادئ التجارة على هذه التفاعلات؟

٤. ما هي الآثار طويلة المدى لهذه التبادلات الثقافية على كلا المجتمعين، لا سيما في تشكيل الفن الإسلامي والعمارة والتقدم العلمي؟

٥. ما هي الأنماط الأساسية للتبادل الثقافي بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى؟ وكيف عكست المبادئ الإسلامية في طلب المعرفة والتعامل مع الثقافات الأخرى؟

٦. ما هي الطرق التي تجلت بها التبادلات الدينية والفكرية بين هاتين الحضارتين؟ وكيف ساهمت الدراسات الإسلامية في الحفاظ على المعرفة وتقدمها؟

الكلمات المفتاحية: العلاقات البيزنطية الإسلامية، نقل المعرفة بين الثقافات، التاريخ الدبلوماسي، التبادل الثقافي في العصور الوسطى، التعايش الديني، التقدم العلمي، الحضارة الإسلامية، حركات الترجمة، التأثير الفني، الحوار بين الثقافات.

مراجعة الأدبيات

تجمع مراجعة الأدبيات هذه المنح الدراسية الحالية حول التبادل الثقافي الغني والمعقد بين المسلمين والبيزنطيين خلال العصور الوسطى. تقدم المجموعة المتنوعة من المصادر المقدمة وجهات نظر متعددة الأوجه حول هذه العلاقة المعقدة، وإلقاء الضوء على التأثير العميق للحضارة الإسلامية على مختلف جوانب الحياة والفكر في العصور الوسطى.

Abstract

Purpose: This study examines the multifaceted cultural exchange between Muslims and Byzantines during the Middle Ages, analyzing how religious, intellectual, artistic, and diplomatic interactions profoundly shaped both civilizations.

Study design/methodology/approach: The research employs a comprehensive comparative historical analysis using diverse primary sources, including historical texts, archaeological evidence, and contemporary narratives from both Islamic and Byzantine perspectives. The methodology incorporates network analysis, material culture examination, and a multidisciplinary approach combining historical analysis with cultural studies, art history, religious studies, and economic history.

Findings: The study reveals that translation movements played a pivotal role in knowledge transfer, particularly in preserving and developing classical learning by Muslim scholars. Islamic trade practices and networks significantly influenced cultural diffusion, while diplomatic exchanges fostered mutual understanding and strategic alliances. The research also uncovers the nuances of religious coexistence through systems like the Islamic dhimma and its impact on intercultural relations.

Originality/value: This study provides a unique perspective by examining these interactions through multiple lenses, including the Islamic viewpoint, offering valuable insights into historical patterns of cultural exchange. It contributes to understanding how these medieval interactions influenced not only Islamic and Byzantine civilizations but also shaped the broader course of world history, with implications for contemporary intercultural dialogues.

Novelty and Contributions:

١. Application of network analysis to understand complex social and economic interactions

٢. Comprehensive examination of material culture as evidence of cultural exchange

٣. Integration of Islamic perspectives and sources in analyzing Byzantine–Muslim relations

٤. Investigation of the long–term impact of translation movements on scientific advancement

٥. Novel analysis of how Islamic concepts of community (ummah) influenced cross-cultural interactions

Keywords:

Byzantine-Islamic diplomacy, cultural diffusion, intellectual exchange, medieval trade networks, religious coexistence, translation movements, cross-cultural dialogue

Classification Codes (suggested based on content):

JEL: N٨٥ (Asia including Middle East) UNESCO: ٥٥٠٤٠٢ (Medieval History) ٥٥٠٤٠٤ (Cultural History) ٦٢٠٤٠٢ (Cultural Relations)

أولاً: التأثير المعماري والفني

يُعد التبادل المعماري والفني من أبرز مظاهر التفاعل الثقافي بين الحضارتين. فقد أظهرت دراسات المصري (Elmasry, ٢٠١٨) أن العمارة الإسلامية في دبي المعاصرة تستمد جذورها من التراث المعماري الإسلامي القديم، مع إشارة خاصة إلى تأثير العناصر البيزنطية في تشكيل الهوية المعمارية الإسلامية. ويؤكد الربّاط (Rabbat, ٢٠١٢) في تحليله المعمق أن العمارة الإسلامية ليست مجرد نمط معماري، بل هي تعبير ثقافي متكامل يعكس التفاعل مع الحضارات المجاورة.

وكذلك في دراسة مهمة، يوضح روزبهاني وفهيميفار (Rouzbahani & Fahimifar, ٢٠١٨) كيف أن الزخارف الهندسية في مسجد گوهرشاد تعكس تأثيراتٍ فلسفيةً وجماليةً متعددةَ المصادر، بما فيها التأثيرات البيزنطية. كما يقدم ياسين وأوتابرتا (Yassin & Utaberta, ٢٠١٢) تحليلاً شاملاً للعناصر المعمارية الإسلامية، موضحين كيفية تطوير هذه العناصر من خلال التفاعل مع التقاليد المعمارية المختلفة. ترسم هذه المؤلفات مجتمعة صورة للعمارة الإسلامية كتقليد ديناميكي وقابل للتكيف، قادر على دمج وتحويل عناصر من ثقافات مختلفة، بما في ذلك بيزنطة. يمكن النظر إلى تطور السمات المعمارية الإسلامية المميزة، مثل المقرنصات (قبو الهوابط) والأنماط الهندسية المعقدة، على أنه مظهر من مظاهر التوحيد (وحدانية الله) في شكل مرئي. تعترف هذه الدراسات ضمنيا بالسياق الأوسع للتبادل الثقافي، مما يشير إلى أنه في حين طور الفن والعمارة الإسلامية خصائصهما الفريدة، إلا أنهما لم يكونا معزولين عن التأثيرات الخارجية، بما في ذلك تأثيرات بيزنطة.

ثانياً: التفاعلات الحدودية

يقدم بالتا (Balta, ٢٠١٦) تحليلاً معمقاً للحدود الإسلامية-البيزنطية كمنطقة تفاعل ثقافي

نشـط، موضحـاً كيـف أن هـذه المناطـق شـكلت مختـبراً حقيقيـاً للتبـادل الثقـافي والاجتماعـي. وتكشـف دراسـته عـن وجـود شـبكات اجتماعيـة وتجاريـة معقـدة عـبر هـذه الحـدود، متجـاوزة الحواجـز السياسـية والدينيـة. وتضيـف دراسـة دوراك (Durak, ٢٠٢٢) بُعـداً اقتصاديـاً مهـماً، حيـث تحلـل دور مدينـة ملاطيـة كمركـز تجـاري رئيـسي. وتوضـح الدراسـة كيـف أن المدينـة لعبـت دوراً محوريـاً في تسـهيل التبـادل التجـاري والثقـافي بـين العالمـين الإسـلامي والبيزنطـي، مـع تقديـم أدلـة أثريـة وتاريخيـة موثقـة.

تكشـف هـذه الأعـمال كيـف كانـت الحـدود بمثابـة غشـاء قابـل للاخـتراق، مـما سـمح بتدفـق الأفـكار والممارسـات والثقافـة الماديـة بـين العالمـين الإسـلامي والبيزنطـي. يتـماشى مفهـوم الحـدود كمسـاحة للتأثـير المتبـادل مـع المبـدأ الإسـلامي المتمثـل في طلـب المعرفـة، بغـض النظـر عـن مصدرهـا، كـما هـو موضـح في الأثـر المشـهور: «اطلبـوا العلـم ولـو في الصـين».

ثالثاً: التبادل العلمي والطبي

يقـدم خـان (Khan, ١٩٨٢) تحليـلاً شـاملاً لإسـهامات المسـلمين في تطويـر العلـوم والطـب حتـى القـرن الثالـث عـشر. وتكشـف دراسـته عـن كيفيـة اسـتيعاب العلـماء المسـلمين للمعرفـة اليونانيـة والبيزنطيـة وتطويرهـا، مـع إضافـة ابتـكارات جديـدة في مجـالات متعـددة. وتعمـق دراسـة أوبويـل وآخريـن (O'Boyle et al., ٢٠٠٣) فهمنـا للعلاقـة بـين الديـن والطـب في العصـور الوسـطى، موضحـة كيـف أن المؤسسـات الطبيـة الإسـلامية طـورت نظامـاً طبيـاً متكامـلاً يجمـع بـين المعرفـة النظريـة والتطبيـق العمـلي. إن إنشـاء مؤسسـات مثـل بيـت الحكمـة في بغـداد يجسـد الالتـزام الإسـلامي بالتعلـم والمنـح الدراسـية بـين الثقافـات. لم تحافـظ أعـمال الموسـوعيين المسـلمين مثـل ابـن سـينا والـرازي عـلى المعرفـة الطبيـة اليونانيـة فحسـب، بـل طورتهـا بشـكل كبـير، مـما أثـر عـلى الممارسـات الطبيـة الإسـلامية والبيزنطيـة.

رابعاً: التفاعل الديني والفكري

تطـرح دراسـة بوجاتـاي (Bogataj, ٢٠١٩) تحليـلاً عميقـاً لمنهجيـة بولـس الأنطـاكي في الحـوار الدينـي. وتكشـف الدراسـة عـن نمـوذج متقـدم للحـوار بـين الأديـان في العصـور الوسـطى، حيـث اسـتخدم بولـس الأنطـاكي منهجـاً عقلانيـاً في مناقشـة القضايـا اللاهوتيـة. وتوضـح الدراسـة كيـف أن هـذا النهـج أسـهم في تطويـر فهـم متبـادل بـين التقاليـد الإسـلامية والمسـيحية البيزنطيـة. ويقـدم إسـحاق (Isaac, ٢٠١١) إطـاراً تحليليـاً شـاملاً لفهـم التسـامح بـين الإسـلام والغـرب، مسـتنداً إلى دراسـة وثائـق تاريخيـة وتحليـل النصـوص المعـاصرة. وتكشـف دراسـته عـن وجـود نمـاذج متعـددة للتعايـش السـلمي والتبـادل الفكـري، متجـاوزة الصـور النمطيـة السـائدة عـن العلاقـات الإسلامية-المسـيحية في العصـور الوسـطى.

أمـا دراسـة نيرنـبرغ (Nirenberg, ١٩٩٧) فتقـدم تحليـلاً نقديـاً لظاهـرة اضطهـاد الأقليـات في العصـور الوسـطى، موضحـة كيـف أن العلاقـات بـين المجتمعـات الدينيـة المختلفـة كانـت أكـثر تعقيـداً مـما يُفـترض عـادةً. وتكشـف الدراسـة عـن وجـود آليـات اجتماعيـة وقانونيـة متطـورة

لتنظيم العلاقات بين المجتمعات المختلفة. إن هذا كله يتفق مع الأمر القرآني: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]. إن مناقشة إسحاق (٢٠١١) للإسلام والغرب والتسامح، ودراسة نيرنبرغ (١٩٩٧) الأوسع لاضطهاد الأقليات في العصور الوسطى، تعتبر وجهات نظر دقيقة حول تحديات وإنجازات التعايش. تذكرنا هذه الدراسات أنه على الرغم من وجود فترات من الصراع، كانت هناك أيضا حالات مهمة من الاحترام المتبادل والحوار المثمر بين المسلمين والمسيحيين، كما يتضح من مفهوم أهل الكتاب في التقاليد الإسلامية.

خامساً: العلاقات التجارية والاقتصادية

يقدم لوبيز (Lopez, ١٩٤٥) دراسة تفصيلية لصناعة الحرير البيزنطية وتأثيرها على العلاقات التجارية مع العالم الإسلامي. وتكشف دراسته عن شبكة معقدة من العلاقات التجارية والتقنية التي ربطت بين المراكز الصناعية في كلا العالمين. كما توضح كيف أن تبادل التقنيات والمهارات الحرفية أدى إلى تطور صناعي متبادل. وتضيف دراسة دريو وآخرين (Drieu et al., ٢٠٢١) بُعداً جديداً من خلال تحليلها الكيميائي لإنتاج النبيذ في صقلية الإسلامية. وتقدم الدراسة أدلة علمية على استمرارية الممارسات الاقتصادية والتقنية عبر التحولات السياسية والدينية، مؤكدة على المرونة الثقافية للمجتمعات الإسلامية في تعاملها مع التقاليد المحلية.

كما توسع دراسة جورج (George, ٢٠١٥) نطاق التحليل من خلال دراسة التجارة البحرية بين العراق الإسلامي والصين، موضحة كيف أن العلاقات التجارية الإسلامية-البيزنطية كانت جزءاً من شبكة تجارية عالمية أوسع. وتكشف الدراسة عن دور الموانئ الإسلامية والبيزنطية كنقاط ربط حيوية في هذه الشبكة التجارية العالمية، وهذا يتماشى مع التشجيع القرآني للتجارة والآية: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وبناء على ذلك، تكشف مراجعة الأدبيات هذه عن الطبيعة متعددة الأوجه للتبادل الثقافي بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى. ويسلط الضوء على دور الحضارة الإسلامية كحافظ للمعرفة الكلاسيكية ومبتكر في مختلف المجالات، من الهندسة المعمارية إلى الطب. ويؤكد الاستعراض أيضا على التفاعل المعقد بين الهويات الدينية والتبادل الثقافي، ويكشف عن التحديات والفرص المتاحة للتفاهم المتبادل.

المقدمة

كانت الإمبراطورية البيزنطية واحدة من أعظم الحضارات التي عرفها العصر الوسيط، حيث تمتد جذورها العميقة إلى عام ٣٣٠ ميلادية. في ذلك العام الحاسم، قرر الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول نقل مركز الإمبراطورية الرومانية إلى مستعمرة يونانية قديمة تُدعى بيزنطة، مانحاً إياها اسم «روما الجديدة»(١). هذه الخطوة لم تكن مجرد تغيير جغرافي، بل كانت إيذاناً ببدء عصر جديد شهد تحولاً جذرياً في الهوية الثقافية والدينية والسياسية للإمبراطورية. ومن أهم إنجازات قسطنطين أنَّه جعل المسيحية الدين الرسمي للدولة، مما أضفى على الإمبراطورية طابعاً دينياً مميزاً ظل راسخاً على مدار قرون.

لقد شكلت الإمبراطورية البيزنطية حلقة وصل حضارية بين الشرق والغرب، وكانت شاهداً على تطورات سياسية وثقافية كبرى. وعلى الرغم من انهيار النصف الغربي للإمبراطورية الرومانية عام ٤٧٦ ميلادية، ظل النصف الشرقي صامداً لأكثر من ألف عام. هذا الصمود لم يكن مجرد نتاج قوة عسكرية، بل كان نتيجة مزيج فريد من الاستقرار السياسي، والموقع الجغرافي المميز، والإدارة الذكية التي مكّنتها من الحفاظ على إرثها الغني وتراثها الثقافي المتميز.

الإمبراطورية البيزنطية، التي اشتُق اسمها من بيزنطة، المستعمرة اليونانية القديمة الواقعة على مضيق البوسفور، استفادت من موقعها الجغرافي الفريد الذي جعلها نقطة عبور استراتيجية بين أوروبا وآسيا. هذا الموقع لم يمنحها فقط مزايا تجارية، بل ساهم أيضاً في تعزيز قوتها الدفاعية ضد الغزوات الخارجية. فعندما قسّم الإمبراطور فالنتينيان الأول الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين شرقي وغربي في عام ٣٦٤ ميلادية، كان النصف الشرقي يتمتع بحماية طبيعية بفضل مضيق البوسفور الذي عزل العاصمة القسطنطينية عن التهديدات البرية(٢). وبالإضافة إلى ذلك، كانت الإمبراطورية الشرقية تتميز بحدودها الأوروبية الصغيرة نسبياً، مما قلل من احتمالات الهجوم المباشر.

لقد ساهمت هذه العوامل الجغرافية في خلق بيئة مستقرة للإمبراطورية البيزنطية، ما أتاح لها أن تركز على تطوير بنيتها الإدارية وتعزيز قوتها الاقتصادية. فكان للأباطرة الشرقيين سيطرة أكبر على الموارد، مما مكّنهم من بناء جيش قوي ومستدام. هذا الجيش لم يكن فقط وسيلة للدفاع، بل أيضاً أداة للتوسع. وخلال حكم الإمبراطور جستنيان الأول(٣)، الذي يُعتبر أحد أعظم أباطرة الإمبراطورية البيزنطية، بلغت الإمبراطورية ذروتها من حيث النفوذ الإقليمي. فقد شملت أراضيها معظم المناطق المحيطة بالبحر المتوسط، بما في ذلك أجزاء من الإمبراطورية الرومانية الغربية السابقة مثل شمال إفريقيا وإيطاليا.

(1) Doležal, Stanislav (2022). The Reign of Constantine, 306–337: Continuity and Change in the Late Roman Empire. Cham: Palgrave Macmillan.

(2) Curran, J. (1998). From Jovian to Theodosius. In A. Cameron & P. Garnsey (Eds.), The Cambridge Ancient History XIII: The Late Empire, A.D. 337–425.

(3) Barker, J. W. (1966). Justinian and the later Roman Empire. University of Wisconsin Press.

إلى جانب التوسع العسكري، شهدت فترة حكم جستنيان ازدهاراً ثقافياً ومعمارياً لا نظير له. فقد أمر ببناء العديد من المعالم الشهيرة التي لا تزال شاهدة على عظمة تلك الحقبة، ومن أبرزها كنيسة آيا صوفيا ذات القبة الباهرة. كما قام بإصلاح القانون الروماني وتدوينه في مدونة قانونية أصبحت الأساس لتطوير النظم القانونية الحديثة. ومع ذلك، فإن هذا التوسع لم يكن خالياً من التحديات، حيث عانت الإمبراطورية من الانقسامات الداخلية والهجمات الخارجية، خاصة من الفرس والصقالبة.

مع مرور الوقت، بدأت الإمبراطورية البيزنطية تواجه تحديات متزايدة تهدد وجودها. ففي القرنين السابع والثامن، ظهرت قوة جديدة على الساحة تمثلت في جيوش الخلافة الإسلامية التي نجحت في تقويض النفوذ البيزنطي في مناطق واسعة. بدأ هذا التراجع مع فتح بلاد الشام عام ٦٣٤ ميلادية، وسرعان ما تبعه سيطرة المسلمين على فلسطين ومصر وشمال إفريقيا. هذه الخسائر لم تكن مجرد هزائم عسكرية بحتة، بل مثّلت ضربة قاسية لهيبة الإمبراطورية ومكانتها الاقتصادية.

ومضت القرون التالية في معارك كر وفر مع الأمويين، ثم العباسيين (وتحت رايتهم الفضفاضة كان السلاجقة). أخيراً، في القرن الخامس عشر، بلغت التحديات ذروتها مع صعود السلطنة العثمانية، والتي تعتبر آخر من حمل راية الخلافة الإسلامية.

في عام ١٤٥٣، قاد السلطان محمد الفاتح جيشاً قوياً حاصر القسطنطينية ونجح في اقتحامها. لم يكن سقوط العاصمة البيزنطية مجرد نهاية لإمبراطورية دامت أكثر من ألف عام، بل كان بداية لعهد جديد حمل معه تحولات جذرية في ميزان القوى العالمية. بدخول محمد الفاتح إلى كنيسة آيا صوفيا وتحويلها إلى مسجد(٤)، أعلن بداية الحقبة العثمانية، التي أثارت قلق أوروبا المسيحية لقرون لاحقة(٥).

إن قصة الإمبراطورية البيزنطية ليست مجرد سرد لتاريخ إمبراطورية انهارت، بل هي شهادة على قدرة الإنسان على البناء والصمود في وجه التحديات. من قسطنطين الأول الذي وضع أسس هذه الحضارة العظيمة، إلى جستنيان الأول الذي قادها إلى ذروتها، ومن السقوط المدوي للقسطنطينية إلى الإرث الثقافي الذي لا يزال حاضراً، تعكس هذه القصة عظمة الماضي ودروسه العميقة. وبينما نتأمل هذا التاريخ، ندرك أن الإمبراطوريات قد تزول، لكن أثرها يبقى خالداً في وجدان البشرية. من اللافت أن الإمبراطورية البيزنطية، رغم سقوطها العسكري والسياسي، تركت إرثاً حضارياً خالداً، فقد ساهمت في تشكيل الهوية الثقافية الأوروبية، وكانت مصدر إلهام للفن والعمارة والقانون. علاوة على ذلك، شكّلت العلاقة بين العرب والبيزنطيين فصلاً مهماً من فصول التاريخ، حيث حكم العرب الغساسنة أجزاء من بلاد الشام تحت مظلة النفوذ البيزنطي، مما مهّد لتفاعل ثقافي

(4) Nicolle, D. (2000). Constantinople 1453: The end of Byzantium. Osprey Publishing.

(5) Akıl, Z. (2022). An overview of Byzantine response to Ottoman advance. Eskişehir Osmangazi Üniversitesi Tarih Dergisi.

وسياسي طويل الأمد بين الجانبين.
إن الصدامات السياسية والعسكرية غالبا ما أسهمت في بناء التحالفات السياسية والعسكرية بين المسلمين والبيزنطيين، وضمناً التبادلات الثقافية، مما يعكس الطبيعة المعقدة لدبلوماسية العصور الوسطى. على سبيل المثال، خلال الحملة الصليبية الثالثة، تحالف البيزنطيون مع صلاح الدين، مستفيدين من مصالحهم المشتركة ضد القوى اللاتينية(٦). لم يوفر هذا التحالف ميزة استراتيجية فحسب، بل فتح أيضا قنوات للتبادلات الثقافية والفكرية.

ومن منظور إسلامي، غالبا ما كانت هذه التفاعلات تسترشد بالمبادئ المستمدة من القرآن والحديث فيما يتعلق بمعاملة غير المسلمين والسلوك في الحرب. فمفهوم «الأمان» في الشريعة الإسلامية، على سبيل المثال، سهل التبادلات الدبلوماسية وقام بحماية المبعوثين، مما عزز بيئة مواتية للتفاعل الثقافي حتى في أوقات الصراع.

التبادلات الاقتصادية والتجارية: كانت التجارة والتبادل التجاري سبلا مهمة للتفاعل الثقافي، بما يتماشى مع التركيز الإسلامي على التجارة الأخلاقية. أدى تكثيف التبادلات التجارية بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر، مدفوعا بأنشطة التجار الإيطاليين والتوسع المغولي، إلى إنشاء العديد من مناطق الاتصال بين الهويات العرقية والدينية(٧).

أثرت الممارسات التجارية الإسلامية، مثل نظام الحوالة لتحويل الأموال والائتمان، ونموذج شراكة المضاربة، على الممارسات التجارية البيزنطية والأوروبية. كانت هذه التفاعلات حاسمة لنشر الأفكار والتقنيات والممارسات الثقافية، مجسدة المبدأ القرآني: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]

التفاعلات الدينية والفكرية: لعبت التبادلات الدينية والفكرية دورا محوريا في تشكيل كلتا الحضارتين. أولى المسلمون في العصور الوسطى أهمية كبيرة لتفسير الأحلام، وهي ممارسة تعكس المواقف الاجتماعية والدينية الأوسع، والمتجذرة في التقاليد القرآنية والنبوية. في المقابل، كان المسيحيون البيزنطيون أكثر تشككا في مثل هذه الممارسات، مما أدى إلى تفسيرات وتبادلات ثقافية متنوعة(٨).
إن التقليد الإسلامي في طلب المعرفة، والمتمثِّلَ في قولِ النبي صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم)، دفع العلماء المسلمين إلى الانخراط في التعلم اليوناني والبيزنطي والحفاظ عليه. أدى هذا الفضول الفكري إلى ترجمة النصوص الكلاسيكية والتعليق عليها، مما ساهم في الحفاظ عليها ونقلها في نهاية المطاف إلى أوروبا.

(6)Brandes, W. (2002). Review of A history of the Byzantine state and society by W. Treadgold. Byzantinische Zeitschrift, 95(2), 716–725.

(7) Preiser-Kapeller & Mitsiou, op. cit.

(8) Shawcross T. Ethnic and Religious Violence in Byzantium. In: Gordon MS, Kaeuper RW, Zurndorfer H, eds. The Cambridge World History of Violence. The Cambridge World History of Violence. Cambridge University Press; 2020:287-312.

دراسات الحالة: تعمل مناطق مثل صقلية وقبرص كنماذج مصغرة للتبادل الثقافي الأوسع، مما يوضح التطبيق العملي للمبادئ الإسلامية في الحكم والعلاقات بين الثقافات. في صقلية، أفسح التسامح الأولي تحت الحكم النورماندي، المتأثر بالمفهوم الإسلامي للذمي، الطريق في النهاية للصراع والقضاء القريب على المجتمعات المسلمة بحلول عام (٩) ١٢٥٠.

على العكس من ذلك، عملت قبرص كأرضية مشتركة حيث تتقاسم كلتا الحضارتين الموارد الاقتصادية والثقافية، وتحافظ على درجة من الحيوية الاقتصادية على الرغم من التهميش السياسي(١٠). ويعكس هذا التعايش المثل الإسلامي للتعايش السلمي مع أهل الكتاب، كما هو مبين في الآية الكريمة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

في الختام، كان التبادل الثقافي بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى عملية متعددة الأوجه ومؤثرة بعمق، تعكس المبادئ الإسلامية الأساسية للبحث عن المعرفة والتجارة الأخلاقية والمشاركة مع الثقافات الأخرى. ساهمت التحالفات السياسية والتجارة الاقتصادية والتفاعلات الدينية في التبادل الديناميكي الذي شكل كلا المجتمعين.

سهلت هذه التبادلات نقل المعرفة والتقنيات والممارسات الثقافية، تاركة إرثا دائما على التطور التاريخي لكل من الإمبراطورية البيزنطية والعالم الإسلامي. إن الحفاظ على التعلم الكلاسيكي وتطويره من قبل العلماء المسلمين، وتطوير الممارسات التجارية المتطورة، وخلق أساليب فنية ومعمارية فريدة من نوعها، كلها تنبع من هذه الفترة الغنية من التفاعل.

١. التبادل الثقافي بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى: السياق التاريخي والجغرافي

تأثر التبادل الثقافي بين المسلمين والبيزنطيين خلال العصور الوسطى بعمق بالسياقات التاريخية والجغرافية لكلتا الحضارتين. يقدم هذا التحليل لمحة عامة عن الإمبراطورية البيزنطية والعالم الإسلامي ويدرس ديناميكيات الحدود البيزنطية الإسلامية، مع التركيز على المنظور الإسلامي.

كانت الإمبراطورية البيزنطية، وعاصمتها القسطنطينية، استمرارا للإمبراطورية الرومانية في الشرق. من وجهة نظر إسلامية، عرف البيزنطيون باسم «الروم» (الرومان). من الناحية السياسية، تميزت بحكم استبدادي مركزي مع الإمبراطور الذي يتمتع بالسلطة العليا. اجتماعيا، كان المجتمع البيزنطي طبقيا للغاية، مع نظام طبقي صارم وتركيز قوي على الأرثوذكسية الدينية، والتي كانت حجر الزاوية في الهوية البيزنطية. ثقافيا، كان البيزنطيون

(9) Barros, F., & Tavim, J. A. (2021). Mobilities and communities between north africa and portugal: Muslims and jews in the medieval and early modern ages. Ler Historia, (78), 17–38. https://doi.org/10.4000/LERHISTORIA.8210

(10) Zavagno, op. cit.

ورثة التقاليد اليونانية الرومانية، وعكس فنهم وأدبهم وهندستهم المعمارية هذا التراث(١١).

من الناحية الاقتصادية، كانت الإمبراطورية البيزنطية مركزا رئيسيا للتجارة، حيث كانت تسيطر على الطرق الرئيسية بين أوروبا وآسيا. كانت صناعة الحرير، على سبيل المثال، تخضع لرقابة مشددة من قبل الدولة، فاستُخْدِمَ تصدير الحرير كأداة دبلوماسية قوية(١٢). لعبت مدينة ميليتين دورا مهما في التجارة البيزنطية الإسلامية، حيث ازدهرت كمركز تجاري على الرغم من كونها في منطقة حرب. بلغ ازدهارها ذروته في القرنين العاشر والحادي عشر، مما يسلط الضوء على التفاعل المعقد للتجارة والصراع على الحدود(١٣).

فيما تميز العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى بالتوسع السريع للخلافة، بدءا من الراشدين (الخلفاء الراشدين)، واستمر عبر السلالات الأموية والعباسية. سياسيا، تميزت الخلافة الإسلامية بسلطة مركزية تحت حكم الخليفة، ولكن مع حكم ذاتي إقليمي كبير. اجتماعيا، كان المجتمع الإسلامي متنوعا، ويشمل مختلف المجموعات العرقية والدينية. شهد العصر الذهبي الإسلامي تطورات كبيرة في العلوم والفلسفة والفنون، متأثرا بالتبادلات الثقافية والفكرية مع الحضارات المجاورة، بما في ذلك بيزنطة(١٤).

غالبا ما كانت الدوافع الإسلامية للهجمات المبكرة على الإمبراطورية البيزنطية معقدة، وتشمل عوامل دينية وسياسية واقتصادية. شملت هذه الفتوحات مناطق مهمة مثل فلسطين، التي كانت لها أهمية دينية للمسلمين(١٥). لم تكن المناطق الحدودية، وخاصة تلك التي تسيطر عليها السلطنة السلجوقية، معزولة، بل اندمجت في العالم الإسلامي الأوسع، مما يعكس روابط سياسية وثقافية قوية.

كانت الحدود البيزنطية الإسلامية منطقة ديناميكية ومتنازعاً عليها، فالتواجد البيزنطي (الروم) كان في بلاد الشام والساحل الافريقي على المتوسط كان اول صدام حدودي عسكري بين الدولة الاسلامية الناشئة في عهد النبي صل الله عليه وسلم هو في معركة مؤتة سنة ثمانية للهجرة ثم غزوة تبوك عام تسعة للهجرة. والتي يشار إليها في المصادر الإسلامية باسم (الحدود) أو (الحصون). جغرافيا، شملت مناطق مثل آسيا الصغرى وبلاد الشام وأجزاء من أرمينيا. من الناحية السياسية، كانت هذه الحدود موقعا للصراع والمفاوضات المستمرة، حيث سعت كلتا الإمبراطوريتين إلى توسيع نفوذهما مع الانخراط أيضا في التبادلات التجارية والدبلوماسية.

لم تكن الحدود أرضا قاحلة، ولكنها فسيفساء من المجتمعات والتفاعلات المتنوعة. على

(11) Brandes, op. cit.

(12) Lopez, R. (1945). Silk industry in the Byzantine Empire. Speculum, 20(1), 1–42.

(13) Durak, op. cit.

(14) Balta, op. cit.

(15) Whealey, A. (2013). Muslim motives for conquering the Byzantine Empire 634-720: The evidence from Eastern Christian sources. Russian History, 40(1), 9–26.

سبيل المثال، كانت قبرص بمثابة «أرضية وسط» فريدة من نوعها، حيث تقاسم كل من البيزنطيين والعرب الموارد، وحافظوا على علاقات سياسية واقتصادية معقدة(١٦). وبالمثل، تميزت الحدود الإسلامية البيزنطية في المنطقة السورية الأناضولية بمزيج من المستوطنات المحصنة والقرى الزراعية، مما يشير إلى مزيج من الحياة العسكرية والمدنية(١٧).

سهلت طرق التجارة عبر الحدود التبادلات الاقتصادية الكبيرة، حيث أصبحت مدن مثل ملاطيه مراكز تجارية حيوية وإن تخلل ذلك مواجهات عسكرية كبرى(١٨). على الرغم من حالة الصراع المستمرة، شهدت هذه المناطق حياة اقتصادية مزدهرة، مما يؤكد مرونة المجتمعات الحدودية وقدرتها على التكيف(١٩). أدى تكثيف التبادلات التجارية في فترة العصور الوسطى اللاحقة، مدفوعا بالتجار الإيطاليين والتوسع المغولي، إلى زيادة تعزيز التنقل والتفاعل بين المجموعات العرقية والدينية المختلفة(٢٠).

لقد لعبت السياقات التاريخية والجغرافية للإمبراطورية البيزنطية والعالم الإسلامي، إلى جانب الطبيعة الديناميكية للحدود البيزنطية الإسلامية، أدوارا حاسمة في تشكيل التبادلات الثقافية بين هاتين الحضارتين. تميزت هذه التفاعلات بمزيج من الصراع والتعاون والتأثير المتبادل، مما ترك تأثيرا دائما على كلا المجتمعين. ومن منظور إسلامي، ساهمت هذه التبادلات بشكل كبير في التطور الفكري والثقافي للعالم الإسلامي، لا سيما خلال العصر الذهبي للإسلام.

٢. التبادل التجاري والاقتصادي بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى

كان التبادل الثقافي والاقتصادي بين المسلمين والبيزنطيين خلال العصور الوسطى شهادة على ديناميكية شبكات التجارة في العصور الوسطى. يركز هذا التحليل على ثلاثة جوانب حاسمة: طرق التجارة التي تربط العالمين البيزنطي والإسلامي، وتبادل السلع والسلع، ودور التجار والمجتمعات التجارية في تسهيل هذه التبادلات، وكل ذلك ينظر إليه من خلال عدسة إسلامية.

(16) Zavagno, L. (2013). Two hegemonies, one island: Cyprus as a "Middle Ground" between the Byzantines and the Arabs (650–850 A.D.). Reti Medievali Rivista, 14(2), 3–32.

(17) Balta, E. G. (2016). The Islamic-Byzantine frontier: Interaction and exchange among Muslim and Christian communities. The International Journal of Turkish Studies, 22, 87.

(18) Fink, H. S. (1969). The foundations of the Latin states, 1099-1118. In K. M. Setton & M. W. Baldwin (Eds.), A history of the Crusades: I. The First Hundred Years. The University of Wisconsin Press.

(19) Durak, K. (2022). The economy of Melitene/Malatya and its role in the Byzantine-Islamic trade (seventh to eleventh centuries). Byzantinische Zeitschrift, 115, 829–874.

(20) Preiser-Kapeller, J., & Mitsiou, E. (2019). Mercantile and religious mobility between Byzantines, Latins, and Muslims, 1200–1500: On the theory and practice of social networks. Medieval Worlds, 9, 187–217.

أ. الطرق التجارية

كانت طرق التجارة الرئيسية التي تربط العالمين البيزنطي والإسلامي برية وبحرية على حد سواء، وقد عرف العرب قبل الاسلام طرق التجارة الى بلاد الشام وكانت قريش تجهزها صيفا وهذا ما أشار إليه القران الكريم برحلة الشتاء والصيف، حيث كانت رحلة الشتاء إلى اليمن. بنى العرب قبل الاسلام علاقة قوية مع الروم وكان لهم تواجد وزيارات للبلاط وهو ما يظهر جليا حين استقبل هرقل أبا سفيان ليسأله عن النبي محمد صل الله عليه وسلم بعد ورود كتابه إلى هرقل الذي كان يعرف بعظيم الروم. وشكلت شبكة معقدة وثقها الجغرافيون والمسافرون الإسلاميون بدقة. ميليتين (ملاطيا الحديثة)، المعروفة في المصادر العربية باسم ملاطيا، بمثابة دراسة حالة مهمة لفهم الطرق البرية. تقع ميليتين على الحدود الشرقية، وازدهرت تجاريا على الرغم من كونها في الثغور (المنطقة الحدودية)، وغالبا ما كانت تتنقل بين القوات الإسلامية والبيزنطية. من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، سهلت التجارة بين مناطق مثل كابادوكيا وبونتوس وأرمينيا، ووصلت إلى ذروتها التجارية في القرن الحادي عشر(٢١).

كانت طرق التجارة البحرية على نفس القدر من الأهمية في وجهة نظر العالم الإسلامي. التجارة بين العراق الإسلامي المبكر والصين التانغية من القرن السابع إلى القرن العاشر موثقة جيدا في كل من المصادر العربية والصينية. لم تكن هذه التجارة مجرد تبادل للسلع، ولكنها سهلت أيضا نقل الأفكار بين هذه المناطق، مما يشير إلى مستوى أعمق من التبادل الثقافي(٢٢). قدم الجغرافيون المسلمون مثل المسعودي وابن خرداذبة روايات مفصلة عن هذه الطرق البحرية، مع تسليط الضوء على أهميتها في الشبكة التجارية الإسلامية.

ب. تبادل السلع

كان تبادل السلع بين العالمين البيزنطي والإسلامي متنوعا، مما يعكس الطبيعة العالمية للتجارة الإسلامية. تضمنت هذه التجارة سلعا كمالية وسلعا يومية وحتى سلعا محظورة بموجب الشريعة الإسلامية، مما يدل على النهج العملي للتجار المسلمين في التجارة الدولية.

استمر تداول النبيذ، وهو سلعة فاخرة عالية القيمة، في صقلية خلال الفترة الإسلامية، على الرغم من الحظر الديني على استهلاكه (كان يسمح لغير المسلمين ببيع الخمر في مناطقهم). أكد التحليل الكيميائي لأمفورات النقل من القرن الخامس إلى القرن الحادي

(21) Zavagno, op. cit.

(22) George, A. (2015). Direct sea trade between early Islamic Iraq and Tang China: From the exchange of goods to the transmission of ideas. Journal of the Royal Asiatic Society, 25(4), 579–624.

عشر أن النبيذ تم تصديره من باليرمو إلى المناطق المسيحية، مما يؤكد الأهمية الاقتصادية لهذه التجارة(٢٣). تسلط هذه التجارة الضوء على التفاعل المعقد بين المحظورات الدينية والحقائق الاقتصادية في العالم الإسلامي.

لعب الذهب دورا حاسما في التجارة البيزنطية الإسلامية، مع أهمية تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى بشكل خاص. كانت هذه التجارة، التي بدأت قبل تأسيس السيطرة الإسلامية في أواخر القرن السابع، حيوية لدار سك العملة البيزنطية في قرطاج. تم صب الذهب في كتل موحدة للتصدير، لتلبية احتياجات النعناع البيزنطي(٢٤). تقدم المصادر الإسلامية، مثل أعمال البكري، روايات مفصلة عن تجارة الذهب هذه وأهميتها للاقتصاد الإسلامي.

كما أدخل التجار الإسلاميون سلعا جديدة إلى عالم البحر الأبيض المتوسط. تم جلب محاصيل مثل قصب السكر والقطن والحمضيات المختلفة من الشرق وزراعتها في الأراضي التي تم فتحها حديثا، مما أثر بشكل كبير على الممارسات الزراعية والعادات الغذائية في جميع أنحاء المنطقة.

ت. المجتمعات التجارية

كان التجار والمجتمعات التجارية العمود الفقري لهذه الشبكة التجارية الواسعة، التي تجسد الروح الإسلامية لريادة الأعمال والاستكشاف. في ميليتين، سهل التجار المحليون التجارة حتى وسط النزاعات المستمرة، مما يشير إلى مرونة هذه المجتمعات التجارية وقدرتها على التكيف(٢٥). سمح المفهوم الإسلامي للأمان (السلوك الآمن) للتجار المسلمين بالسفر والتجارة في الأراضي غير الإسلامية، مما عزز هذه التفاعلات التجارية بين الثقافات.

في الصين التانغية، استقرت المجتمعات التجارية من الخليج العربي في الموانئ الصينية، مما عزز التبادلات الاقتصادية والثقافية(٢٦). لعبت هذه المجتمعات، التي غالبا ما يشار إليها باسم التجار الدعاة في المصادر الإسلامية، دورا حاسما في تبادل السلع والأفكار بين العالم الإسلامي وشرق آسيا.

تسلط التحقيقات الأثرية في سوق تدمكة في مالي الضوء على دور التجار في التجارة

(23) Drieu, L., Orecchioni, P., Capelli, C., Meo, A., Lundy, J., Sacco, V., Arcifa, L., Molinari, A., Carver, M., & Craig, O. (2021). Chemical evidence for the persistence of wine production and trade in early Medieval Islamic Sicily. Proceedings of the National Academy of Sciences, 118(10), e2017983118.

(24) Nixon, S. (2009). Excavating Essouk-Tadmakka (Mali): New archaeological investigations of early Islamic trans-Saharan trade. Azania: Archaeological Research in Africa, 44(2), 217–255.

(25) Zavagno, op. cit.

(26) George, A. (2015). Direct sea trade between early Islamic Iraq and Tang China: From the exchange of goods to the transmission of ideas. Journal of the Royal Asiatic Society, 25(4), 579–624.

عبر الصحراء الكبرى. كان هذا الموقع مدينة تجارية رئيسية مكنت من ازدهار التجارة بين القرنين الثامن والرابع عشر، بما في ذلك حركة الذهب والسلع الأخرى(٢٧). قدم الجغرافيون الإسلاميون مثل ابن بطوطة روايات مباشرة عن هذه المدن التجارية، مؤكدين على أهميتها في الشبكة التجارية الإسلامية الأوسع.

توضح حالة قبرص، حيث تم تداول كل من العملات البيزنطية والعربية، العلاقات السياسية والتجارية والثقافية المعقدة التي يسهلها التجار والمجتمعات التجارية(٢٨). يعكس نظام العملة المزدوجة هذا النهج البراغماتي للحكام الإسلاميين في التجارة، مما يسمح في كثير من الأحيان للأنظمة الاقتصادية المحلية بمواصلة العمل تحت حكمهم.

لقد كان التبادل التجاري والاقتصادي بين العالمين البيزنطي والإسلامي خلال العصور الوسطى متعدد الأوجه، حيث شمل طرقاً تجارية معقدة، ومجموعة متنوعة من السلع والسلع، ومجتمعات تجارية قوية. ومن منظور إسلامي، لم تسهل هذه التفاعلات الازدهار الاقتصادي فحسب، بل عززت أيضا التبادلات الثقافية، وشكلت بشكل كبير المشهد التاريخي للمنطقة. وقد لعب انفتاح العالم الإسلامي على التجارة والتبادل الثقافي، مسترشدا بمبادئ التجارة الإسلامية والبحث عن المعرفة، دورا حاسما في تعزيز هذا النظام البيئي الاقتصادي النابض بالحياة. وضعت هذه التفاعلات الاقتصادية الأساس للتقدم الثقافي والعلمي للعصر الذهبي الإسلامي، مما يدل على التأثير العميق للتجارة على تطور الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.

٣. الانتشار الثقافي: الفن والعمارة بين المسلمين والبيزنطيين في العصور ا لو سطى

ينعكس التبادل الثقافي بين المسلمين والبيزنطيين خلال العصور الوسطى بشكل واضح في فنهم وهندستهم المعمارية، مما يعرض التفاعل الديناميكي بين التقاليد الفنية الإسلامية والبيزنطية. يركز هذا التحليل على ثلاثة جوانب رئيسية: الأساليب المعمارية، والزخارف الفنية، والتأثير المتبادل والتكيف في الفن والعمارة، من خلال عدسة إسلامية.

أ. الطرازات المعمارية

في حين أن الأساليب المعمارية البيزنطية والإسلامية متميزة، إلا أنها تشترك في العديد من الميزات بسبب القرب الثقافي والجغرافي للحضارتين. كان للعمارة البيزنطية، التي تتميز بقبابها، والاستخدام المكثف للفسيفساء، والخطة المركزية للكنائس، تأثير كبير على العمارة

(27) Nixon, op. cit.

(28) Zavagno, op. cit.

الإسلامية المبكرة. كانت آيا صوفيا في القسطنطينية، بقبتها الكبيرة والفسيفساء المعقدة، بمثابة نموذج للعديد من المباني الإسلامية، بما في ذلك الجامع الأموي في دمشق(٢٩).

من منظور إسلامي، لم يكن تكييف العناصر المعمارية البيزنطية مجرد تقليد، بل كان اندماجا مدروسا في سياق ديني وثقافي جديد. أعاد المهندسون المعماريون الإسلاميون تفسير الأشكال البيزنطية بشكل خلاق لتناسب المتطلبات الدينية الإسلامية والحساسيات الجمالية. على سبيل المثال، أصبح جدار القبلة والمحراب من السمات المركزية في تصميم المساجد، وتوجيه المؤمنين نحو مكة.

تطورت العمارة الإسلامية لتشمل احتياجات دينية وثقافية محددة، مما أدى إلى ميزات فريدة مثل المآذن والمحاريب والاستخدام المكثف للأرابيسك والأنماط الهندسية. يعد تطوير زخرفة السعفة، وهي زخارف نباتية، مثالا رئيسيا على تطور الأساليب المعمارية من السياقات البيزنطية إلى السياقات الإسلامية. تم استخدام السعفة في البداية في الفن البيزنطي، وتم تكييفها واستخدامها على نطاق واسع في العمارة الإسلامية، مما يعكس التبادل بين الثقافات(٣٠). في أيدي الإسلاميين، غالبا ما كان هذا الشكل منمقا ومجردا، بما يتماشى مع المبادئ الإسلامية للفن غير التمثيلي.

ب. الزخارف الفنية

الزخارف الفنية المشتركة بين الفن البيزنطي والإسلامي عديدة، لا سيما في الفنون الزخرفية. تنتشر الزخارف الهندسية والنباتية في كلا التقليدين، وتخدم الأغراض الجمالية والرمزية. في الفن الإسلامي، استخدام الأنماط الهندسية متجذر بعمق في التقاليد الفلسفية والصوفية. تجسد الزخارف الهندسية لمسجد جوهرشاد، المتأثرة بفلسفة السهروردي المضيئة، كيف قام الفنانون الإسلاميون بتكييف هذه الأنماط وتطويرها للتعبير عن المفاهيم الروحية والفلسفية(٣١).

ارتقى الفنانون والحرفيون الإسلاميون بالأنماط الهندسية إلى آفاق جديدة، وابتكروا تصميمات معقدة تعكس وحدة الله واللانهائية. هذه الأنماط، التي غالبا ما تستند إلى مبادئ رياضية معقدة، تجسد المفهوم الإسلامي للتوحيد (وحدانية الله) وكانت بمثابة شكل من أشكال التأمل غير المجازي.

(29) Yassin, A. A., & Utaberta, N. (2012). Architecture in the Islamic civilization: Muslim building or Islamic architecture. Journal of Islamic Architecture, 2(2), 72–214.

(30) Zahra, F., & Shahir, S. (2022). Development and evolution of palmette ornament: An influence on Islamic architecture. Landscape Architecture and Art, 20(20), 75–84.

(31) Rouzbahani, R., & Fahimifar, A. (2018). The readings of Timurid art based on the ideas of Suhrawardi: A study on geometrical motifs of Goharshad Mosque. Iran University of Science & Technology, 5, 35–54.

كما استخدم الفن البيزنطي، المعروف بأيقوناته وفسيفسائه، أنماطا هندسية، وإن كان ذلك في كثير من الأحيان في إطار رمزي مختلف. يشير دمج التمثيلات المعمارية في الأيقونات البيزنطية إلى وظيفة رمزية، تعمل كجسر بين المادة والإلهية(٣٢). في حين تجنب الفن الإسلامي عموما التمثيلات التصويرية في السياقات الدينية، فقد طور تقليدا غنيا للخط كشكل من أشكال الفن المقدس. أصبح الخط العربي سمة مميزة للتعبير الفني الإسلامي، حيث يزين المساجد والقصور والأشياء اليومية بالآيات القرآنية والنقوش الشعرية.

ت. التأثير والتكيف

التأثير المتبادل بين الفن والعمارة البيزنطية والإسلامية واضح بعدة طرق. العمارة الإسلامية، مع تطوير هويتها المتميزة، استوعبت وتكيفت عناصر مختلفة من التقاليد البيزنطية. على سبيل المثال، يعكس مفهوم الاستدامة في العمارة الإسلامية التقليدية، كما يظهر في الاستخدام الفعال للموارد الطبيعية والتوافق البيئي، تبادلا ثقافيا أوسع، حيث أثرت كلتا الحضارتين على ممارسات التخطيط والبناء الحضري لبعضهما البعض(٣٣).

طور المهندسون المعماريون والمخططون الحضريون الإسلاميون حلولا مبتكرة للتحكم في المناخ وإدارة المياه والتنظيم الاجتماعي في المساحات الحضرية. على سبيل المثال، أصبح بيت الفناء عنصرا أساسيا في العمارة الإسلامية، حيث يوفر الخصوصية والتهوية والاتصال بالطبيعة، وهي مبادئ كان لها صدى مع القيم الإسلامية وتم تكييفها مع الظروف المناخية المختلفة في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

في السياقات الحديثة، لا تزال قدرة العمارة الإسلامية على التكيف واضحة. على الرغم من التحديات التي تفرضها العولمة، فإن العمارة الإسلامية في أماكن مثل دبي تظهر عملية مستمرة من التوليف والتجديد. هذه القدرة على التكيف ليست مجرد اتجاه تاريخي، ولكنها ضرورة للحفاظ على الهوية الثقافية مع احتضان التأثيرات المعاصرة(٣٤). يسعى المهندسون المعماريون الإسلاميون المعاصرون إلى إنشاء مبان تحترم المبادئ الإسلامية التقليدية مع دمج التقنيات الحديثة ومفاهيم التصميم.

على الجانب البيزنطي، فإن تأثير الفن الإسلامي ملحوظ أيضا. يشير استخدام الأرابيسك المعقد والأنماط الهندسية في الفنون الزخرفية البيزنطية إلى درجة من الاقتراض الثقافي والتكيف. أثرى هذا التبادل بين الثقافات كلا التقليدين، مما أدى إلى تراث معماري وفني

(32) Ousterhout, R. (2011). Review: Architecture as icon: Perception and representation of architecture in Byzantine art. Journal of the Society of Architectural Historians, 70(1), 109–110.

(33) Rabbat, N. (2012). What is Islamic architecture anyway? Journal of Art Historiography, 6, 1–15.

(34) Elmasry, S. (2018). Islamic architecture in Dubai: Renewal and contemporaneity. WIT Transactions on the Built Environment, 177, 221–231.

أكثر تنوعا وتعقيدا. يمثل أسلوب المدجن في إسبانيا، على سبيل المثال، اندماجا فريدا للتقاليد الفنية الإسلامية والمسيحية، مما يعرض التأثير الدائم للفن الإسلامي حتى في المناطق التي تحولت فيها السيطرة السياسية.

لقد شكل التبادل الثقافي بين المسلمين والبيزنطيين خلال العصور الوسطى فنهم وهندستهم المعمارية بشكل كبير، مما أدى إلى نسيج غني من التأثيرات التي تجاوزت الحدود الدينية والسياسية. ومن منظور إسلامي، لم يكن هذا التبادل مجرد استعارة للأشكال، بل حول إعادة تفسير العناصر الفنية وتحويلها للتعبير عن المبادئ والجماليات الإسلامية.

تكشف المقارنة والتباين بين الأساليب المعمارية، وتحليل الزخارف الفنية المشتركة، وفحص التأثير المتبادل والتكيف عن عمق وتعقيد هذه التفاعلات الثقافية. ابتكر الفنانون والمهندسون المعماريون الإسلاميون، مسترشدين بالمبادئ الدينية والقيم الثقافية، لغة فنية فريدة استمدت من التقاليد البيزنطية وأثرت عليها.

لم يعزز هذا التبادل الابتكار الفني والمعماري فحسب، بل ساهم أيضا في المشهد الثقافي والفكري الأوسع لكلتا الحضارتين. إنه يوضح قوة الفن والعمارة لسد الانقسامات الثقافية وخلق مفردات جمالية مشتركة، حتى في أوقات الاختلافات السياسية والدينية. ولا يزال إرث هذا التبادل يلهم الفنانين والمهندسين المعماريين الإسلاميين المعاصرين، الذين يسعون إلى تكريم تراثهم الغني أثناء التفاعل مع العالم الحديث.

٤. التبادل الفكري: العلم والفلسفة والطب بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى

كان التبادل الفكري بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى، لا سيما في مجالات العلوم والفلسفة والطب، عملية متعددة الأوجه وديناميكية شكلت بعمق العلوم الإسلامية والتقدم العلمي. يستكشف هذا التحليل ترجمة ونقل المعرفة، والتقدم العلمي المشترك، ومقارنة الممارسات الطبية بين هاتين الحضارتين، مع التركيز على المنظور الإسلامي.

أ. الترجمة ونقل المعرفة

كانت ترجمة ونقل المعرفة العلمية والفلسفية حاسمة في تعزيز التبادل الفكري بين العالمين البيزنطي والإسلامي. ومن وجهة نظر إسلامية، لم تكن هذه العملية مجرد ممارسة أكاديمية، بل كانت تحقيقا للأمر القرآني بطلب العلم. لعبت حركة الترجمة، التي شهدت نقلا كبيرا للمعرفة اليونانية إلى اللغة العربية، دورا محوريا. لم تكن هذه العملية تتعلق فقط بالترجمة اللغوية، ولكنها تضمنت أيضا تكييف الأفكار ودمجها في سياقات

ثقافيــة وفكريــة جديــدة، بمــا يتــماشى مــع المبــادئ الإســلامية ووجهــات النظــر العالميــة(٣٥).

أصبــح بيــت الحكمــة في بغــداد، الــذي أنشــئ في أوائــل العــصر العبــاسي، مكانــاً مركزيــا لهــذا النشــاط الفكــري. جســدت هــذه المؤسســة الالتــزام الإســلامي بالتعلــم والاكتشــاف. ترجــم العلماء المســلمون هنــاك العديــد مــن أعــمال العلــوم والفلســفة اليونانيــة، بمــا في ذلــك أعــمال أرســطو وجالينــوس وأبقــراط، إلى اللغــة العربيــة. تــم نقــل هــذه الترجــمات لاحقــا إلى أوروبــا مــن خــلال قنــوات مختلفــة، بمــا في ذلــك الإمبراطوريــة البيزنطيــة، مــما ســهل تبــادل المعرفــة في اتجاهــين(٣٦).

لعــب المترجمــون والعلــماء المســلمون دورا حاســما في هــذه العمليــة، وغالبــا مــا عملــوا تحــت رعايــة الخلفــاء والحــكام الذيــن أدركــوا قيمــة هــذه المســاعي الفكريــة كوســيلة لتقويــة الأمــة (المجتمــع الإســلامي). وقــد أدى تنفيــذ الاســتراتيجيات اللغويــة والأدوات البصريــة في الترجمــة إلى إثــراء العمليــة بشــكل أكــبر، مــما يضمــن إمكانيــة الوصــول إلى المعرفــة وتطبيقهــا ضمــن الأطــر الثقافيــة الإســلامية الجديــدة(٣٧).

ب. التطورات العلمية

كانــت التطــورات العلميــة المشــتركة بــين العالمــين البيزنطــي والإســلامي عديــدة ومهمــة، حيــث كان العلــماء المســلمون في كثــير مــن الأحيــان يبنــون عــلى أعــمال أســلافهم ويتجاوزونهــا. وأحــد المجــالات الرئيســية للتقــدم العلمــي المشــترك هــو ميــدان علــم الفلــك. قــدم علــماء الفلــك الإســلاميون، مســتلهمين الآيــات القرآنيــة التــي تشــجع عــلى مراقبــة الأجــرام الســماوية، مســاهمات كبــيرة شــملت تحســين النــماذج الحاليــة وإنشــاء أدوات رصــد جديــدة. لم تقــدم أعــمال علــماء مثــل البتــاني والبــيروني المعرفــة الفلكيــة فحســب، بــل كان لهــا أيضــا تطبيقــات عمليــة في تحديــد أوقــات الصــلاة واتجــاه مكــة للعبــادة. ثــم تــم نقــل هــذه التطــورات مــرة أخــرى إلى العلــماء البيزنطيــين، مــما خلــق حلقــة مســتمرة مــن التبــادل الفكــري(٣٨).

مجــال آخــر للتعــاون الملحــوظ كان في الرياضيــات. طــور علــماء الرياضيــات المســلمون مثــل الخوارزمــي الجــبر وعلــم المثلثــات المتقــدم، بنــاء عــلى الأســس اليونانيــة، حتــى خلــق مجــالات جديــدة للدراســة. كانــت هــذه الابتــكارات الرياضيــة حاســمة للتقــدم في علــم الفلــك والهندســة المعماريــة والعلــوم الأخــرى.

(35) Bogataj, J. (2019). Byzantine theology and Islam: Paul of Antioch's irenic approach. Edinost in Dialog, 74(1), 151–174.

(36) Khan, H. (1982). Contributions of Muslims to medicine and science: Up to the middle of the thirteenth century. Journal of the Islamic Medical Association of North America, 14(1), 10–17.

(37) Bogataj, op. cit.

(38) Khan, op. cit.

ج. الطب

شهد مجال الطب تبادلا وتقدما مثمرا بشكل خاص في العالم الإسلامي. قدم علماء الإسلام، مثل ابن سينا والرازي، مساهمات رائدة في العلوم الطبية، بناء على أعمال جالينوس وأبقراط، مع دمج المبادئ الأخلاقية الإسلامية. ترجمت نصوصهم، بما في ذلك «القانون في الطب» لابن سينا(٣٩)، لاحقا إلى اللاتينية وأصبحت مراجع قياسية في كل من كليات الطب البيزنطية والأوروبية(٤٠).

أكد الطب الإسلامي على أهمية الملاحظة التجريبية والتصنيف المنهجي للأمراض والعلاجات، بما يتماشى مع المبدأ الإسلامي للبحث عن الأدلة. كانت المستشفيات الإسلامية (bimaristans) مؤسسات متقدمة تقدم رعاية طبية شاملة وكانت بمثابة مراكز للتعليم والبحوث الطبية. هذه المستشفيات، المفتوحة للجميع بغض النظر عن الدين أو الوضع الاجتماعي، تجسد المبادئ الإسلامية للرحمة والمسؤولية الاجتماعية(٤١).

تكشف المقارنة بين الممارسات الطبية البيزنطية والإسلامية عن القواسم المشتركة والمساهمات الفريدة من كل حضارة. بينما تضمنت المعرفة الطبية البيزنطية كميات كبيرة من الفكر الديني والفلسفي، سعى الطب الإسلامي إلى تحقيق التوازن بين الشفاء الروحي والملاحظة التجريبية. نظر الأطباء المسلمون إلى عملهم على أنه شكل من أشكال العبادة، والسعي لتخفيف المعاناة كوسيلة لخدمة الله.

تم تسهيل تبادل المعرفة الطبية بين الحضارتين من خلال قنوات مختلفة، بما في ذلك التجارة والدبلوماسية والتفاعلات العلمية(٤٢). أدى هذا التأثير المتبادل إلى تطوير ممارسة طبية أكثر شمولا وتطورا تجمع بين أفضل عناصر كلا التقليدين مع الحفاظ على مناهج إسلامية واضحة للشفاء وأخلاقيات الطب(٤٣).

د. الفلسفة

في مجال الفلسفة، انخرط المفكرون الإسلاميون بعمق في التقاليد الفلسفية اليونانية، وخاصة الفكر الأرسطي والأفلاطوني الحديث. طور علماء مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد أنظمة فلسفية معقدة سعت إلى التوفيق بين الفلسفة اليونانية واللاهوت الإسلامي. أدى هذا التوليف إلى مدارس فكرية جديدة، مثل الأفلاطونية الإسلامية الحديثة وتطوير

(39) Avicenna. (1999). The canon of medicine (al-Qānūn fī'l-ṭibb) (Vol. 1) (L. Bakhtiar, Ed.; O. C. Gruner & M. H. Shah, Trans.). Great Books of the Islamic World.

(40) Khan, op. cit.

(41) Ibid.

(42) Badawi, H. (2024). Exploring medieval Mediterranean trade and cultural exchange. ASJP, 5(2), 08-19. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/250055

(43) Preiser-Kapeller & Mitsiou, op. cit.

التقاليد المنطقية الإسلامية.

ساهم التقليد الفلسفي الإسلامي أيضا بمفاهيم فريدة، مثل التمييز بين الجوهر والوجود الذي اقترحه ابن سينا، والذي كان له تأثير عميق على الفلسفة الغربية اللاحقة. ترجمت أعمال هؤلاء الفلاسفة المسلمين في نهاية المطاف إلى اللاتينية، مما أثر على المدرسة الأوروبية في العصور الوسطى وعصر النهضة.

لقد كان التبادل الفكري بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى عملية ديناميكية أثرت كلتا الحضارتين بشكل كبير، مع تأثيرات تحويلية خاصة على التقاليد الفكرية الإسلامية. ومن خلال ترجمة المعرفة ونقلها، والتقدم العلمي المشترك، ومقارنة الممارسات الطبية وتكاملها، لم يحافظ العلماء المسلمون على التعلم القديم فحسب، بل قدموا أيضا مساهمات رائدة في مختلف مجالات المعرفة.

تميزت هذه الفترة من النشاط الفكري المكثف في العالم الإسلامي، والتي يشار إليها غالبا باسم العصر الذهبي الإسلامي، بروح البحث والابتكار المتجذرة بعمق في التعاليم الإسلامية. رأى العلماء المسلمون سعيهم وراء المعرفة كواجب ديني، مما أدى إلى تقدم من شأنه لا أن يشكل العالم الإسلامي وحسب، بل أن يكون له كذلك تأثير دائم على التقاليد العلمية والفلسفية العالمية.

ولا يزال إرث هذا التبادل الفكري موضع تقدير اليوم، مما يذكرنا بقوة الحوار بين الثقافات والتأثير الدائم للالتزام الإسلامي بالتعلم والاكتشاف. وهو يقف كشهادة على الدور المحوري للعالم الإسلامي في تطوير المعرفة الإنسانية والحفاظ عليها خلال فترة العصور الوسطى.

٥. التفاعلات الدينية والأيديولوجية بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى

تميزت التفاعلات الدينية والأيديولوجية بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى بتفاعل معقد بين المناقشات اللاهوتية، وفترات التسامح الديني والصراع، والاقتراض الثقافي المتبادل والتكيف. من منظور إسلامي، كانت هذه التفاعلات حاسمة في تشكيل تطور الفكر والممارسة الإسلامية، مع التأثير أيضا على المشهد الثقافي الأوسع لعالم البحر الأبيض المتوسط.

أ. المناظرات اللاهوتية

غالبا ما كانت المناقشات اللاهوتية بين المسلمين والبيزنطيين متجذرة بعمق في عقائدهم

الدينيــة وســعت إلى معالجــة الخلافــات الأساســية. لم تكــن هــذه المناقشــات مجــرد تمارين أكاديميــة، ولكنهــا كانــت مركزيــة للمفهــوم الإســلامي للدعــوة (الدعــوة إلى الإســلام) والدفــاع عــن الإيمــان.

أحــد الأمثلــة البــارزة هــو عمــل يوحنــا الدمشــقي (حــوالي ٦٧٦-٧٤٩)، الــذي خــدم في البــلاط الأمــوي وأنتــج بعضــا مــن أقــدم الانتقــادات اللاهوتيــة المســيحية للإســلام. تعكــس كتاباتــه معرفــة مبــاشرة بالمعتقــدات والممارســات الإســلامية، مــما يؤكــد الحــوار اللاهــوتي المعقــد الــذي كان قائمــا بــين الديانتــين(٤٤). ومــن منظــور إســلامي، دفعــت هــذه الانتقــادات العلــماء المســلمين إلى صقــل وتوضيــح مواقفهــم اللاهوتيــة بشــكل أكــثر وضوحــا، مــما ســاهم في تطويــر علــم الــكلام الإســلامي.

شــخصية أخــرى مهمــة في هــذه المناقشــات اللاهوتيــة كانــت بولــس الأنطــاكي، أســقف صيــدا الملــكي. مؤلفــه «رســالة إلى صديــق مســلم»(٤٥) فريــد مــن نوعــه بــين الجــدل البيزنطــي، وذلــك بســبب نهجــه الإيرينــي واســتخدامه المكثــف للاقتباســات القرآنيــة. حيــث ادعــى بولــس بــأن المعتقــدات الإســلامية هــي ســوء فهــم للديانــة المســيحية وليســت هرطقــات صريحــة، وبالتــالي ادعــى أن هدفــه تعزيــز حــوار لاهــوتي أكــثر تصالحيــة(٤٦). وكان لهــذا النهــج صــدى مــع المبــدأ الإســلامي للحكمــة في الخطــاب الدينــي، كــما أكــدت الآيــة القرآنيــة: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحــل: ١٢٥].

حفــزت هــذه التبــادلات اللاهوتيــة أيضــا تطويــر الدفاعيــات الإســلامية. صــاغ علــماء مســلمون مثــل أبي الحســن الأشــعري والغــزالي اســتجابات متطــورة للتحديــات اللاهوتيــة المســيحية، مــما زاد مــن إثــراء الخطــاب اللاهــوتي الإســلامي.

ب. التسامح الديني والتعايش المذهبي

اختلفــت مســألة التســامح الدينــي والتعايــش بــين المســلمين والبيزنطيــين اختلافــا كبــيرا عــبر الزمــان والمــكان. مــن منظــور إســلامي، وفــر مفهــوم أهــل الذمــة (الشــعوب المحميــة) إطــارا لمعاملــة الرعايــا غــير المســلمين داخــل الأراضي الإســلامية.

غالبــا مــا يكــون مفهــوم العيــش المشــترك (العيــش معــا) في إســبانيا في العصــور الوســطى بمثابــة نمــوذج لفهــم هــذه التفاعــلات. في حــين أن بعــض العلــماء قــد صــوروا إســبانيا الإســلامية كمثــال نموذجــي للتســامح الدينــي، تشــير الأبحــاث الحديثــة إلى أن هــذا الــرأي قــد يكــون مثاليــا

(44) Preiser-Kapeller & Mitsiou, op. cit.

(45) Abd al-Radi, A. M. (n.d.). Al-Gharah al-tansiriyyah `ala asalah al-Qur'an al-karim: Adwar al-tasis jadaliyyat al-mashriqiyyin. Shamela. Retrieved from https://shamela.ws/book/8519/26

(46) Preiser-Kapeller & Mitsiou, op. cit.

بشكل مفرط. يجادل فرناندیز موریرا بأن الواقع كان أكثر تعقيدا، مع فترات من التسامح تتخللها حلقات من العنف والقهر، اعتمادا إلى حد كبير على مزاج وسياسات الحكام(٤٧). ويعكس هذا التعقيد التفسيرات والتطبيقات المتنوعة للمبادئ الإسلامية للحكم عبر سياقات تاريخية مختلفة.

في سياق البحر الأبيض المتوسط الأوسع، برزت أماكن مثل قبرص كمناطق فريدة من نوعها للتعايش. على الرغم من الصراعات المستمرة، كانت قبرص بمثابة «أرضية وسط» حيث تقاسم المسيحيون والمسلمون عائدات الضرائب، وانخرطوا في علاقات سياسية وتجارية وثقافية معقدة. سهل هذا الترتيب درجة من التعايش الديني والاقتصادي كانت نادرة في أي مكان آخر في المنطقة(٤٨). وتتماشى أمثلة التعايش هذه مع المبدأ الإسلامي للتعارف (التفاهم المتبادل) كما هو مذكور في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

إن مفهوم التسامح في سياق العصور الوسطى يزداد إشكالية من خلال عمل نيرنبرغ(٤٩)، الذي يجادل بأن العنف ضد الأقليات في العصور الوسطى غالبا ما يخدم وظائف اجتماعية وسياسية معقدة. وبدلا من أن تكون أعمال العنف هذه مجرد تعبير عن التعصب، كثيرا ما كانت تتعرض للاعتراض والشكل من قبل مجموعات متنافسة داخل المجتمع، مما يتحدى الانقسام البسيط بين التسامح والتعصب. ويتردد صدى هذا الفهم الدقيق مع المفهوم الإسلامي للفتنة، الذي يعترف بالديناميكيات الاجتماعية المعقدة التي يمكن أن تؤدي إلى الصراع.

ج. الاستعارة الثقافية والتكيف العلمي

التأثير المتبادل على الممارسات والمعتقدات الدينية بين المسلمين والبيزنطيين واضح في مختلف جوانب حياتهم الثقافية. ومن منظور إسلامي، كان هذا التبادل متجذرا في الأمر القرآني بطلب العلم، بغض النظر عن مصدره.

لقد لعب نقل المعرفة من خلال الترجمة دورا حاسما في هذا التبادل. ترجم العلماء البيزنطيون العديد من النصوص الفلسفية والعلمية اليونانية إلى اللغة العربية، والتي أعيد تقديمها لاحقا إلى أوروبا من خلال وسطاء إسلاميين. لم تحافظ هذه العملية على التراث

(47) Farhat-Holzman, L. (2016). The myth of the Andalusian paradise: Muslims, Christians, and Jews under Islamic rule in Medieval Spain. Modern Language Review, 111(3), 870–871.

(48) Zavagno, op. cit.

(49) Nirenberg, D. Z. (1997). Communities of violence: Persecution of minorities in the Middle Ages. The Jewish Quarterly Review, 88(1/2), 70–73.

الفكـري لكلتـا الحضارتـين فحسـب، بـل أثرتـه أيضـا(٥٠). العلـماء المسـلمون انخرطـوا بشـغف في هـذه المعرفـة وبنـوا عليهـا.

مـن حيـث الممارسـات الدينيـة، أدى التفاعـل بـين الثقافتـين إلى تعديـلات كبـيرة. عـلى سـبيل المثـال، غالبـا مـا تضمنـت الأسـاليب المعماريـة الإسـلامية عنـاصر مـن العـمارة البيزنطيـة، مثـل اسـتخدام القبـاب والفسيفسـاء. يتجـلى هـذا التوليـف بشـكل جميـل في هيـاكل مثـل قبـة الصخـرة في القـدس. عـلى العكـس مـن ذلـك، تأثـر الفـن والأيقونـات الدينيـة البيزنطيـة بالأنماط الهندسـية الإسـلامية والخـط (٥١). تعكـس هـذه التبـادلات الفنيـة التقديـر الإسـلامي للجـمال والحرفيـة كتعبـير عـن الإيمـان.

عـلاوة عـلى ذلـك، فـإن التقاليـد الفكريـة المشـتركة في الطـب والفلسـفة تجسـد هـذا الاقـتراض الثقـافي. تـم دمـج المعرفـة الطبيـة الإسـلامية، المتأثـرة بشـدة بالنصـوص اليونانيـة، في الممارسـات الطبيـة البيزنطيـة، مـما أدى إلى فهـم أكـثر شـمولا وتطـورا للطـب. سـهل هـذا التوليـف للمعرفـة التقـدم في العلاجـات الطبيـة وإنشـاء المستشـفيات التـي كانـت بمثابـة مراكـز لـكل مـن الرعايـة الطبيـة والتعليـم(٥٢). وجـد التركيـز الإسـلامي عـلى البحـث عـن المعرفـة المفيـدة وخدمة الإنسـانية مـن خـلال الطـب أرضيـة مشـتركة مـع التقاليـد الطبيـة البيزنطيـة.

في مجـال الفلسـفة، انخـرط المفكـرون المسـلمون مثـل الفـارابي وابـن سـينا وابـن رشـد بعمـق مـع التقاليـد الفلسـفية اليونانيـة، وخاصـة الفكـر الأرسـطي. لقـد سـعوا إلى التوفيـق بـين هـذه الأفـكار الفلسـفية واللاهـوت الإسـلامي، وخلـق توليفـات جديـدة مـن شـأنها أن تؤثـر لاحقـا عـلى كل مـن الفكـر الإسـلامي والغـربي.

لقـد تميـزت التفاعـلات الدينيـة والأيديولوجيـة بـين المسـلمين والبيزنطيـين في العصور الوسـطى بمناقشـات لاهوتيـة غنيـة، وفـترات مـن التسـامح والـصراع، واسـتعارة ثقافيـة كبـيرة وتكيـف. ومـن منظـور إسـلامي، كان لهـذه التفاعـلات دور فعـال في تشـكيل تطـور اللاهـوت والفلسـفة والعلـوم والفـن الإسـلامي.

لم تشـكل هـذه التبـادلات المشـهد الدينـي والفكـري لكلتـا الحضارتـين فحسـب، بـل سـاهمت أيضـا في إرث مشـترك مـن المعرفـة والتبـادل الثقـافي. إن انخـراط العـالم الإسـلامي في الفكـر والثقافـة البيزنطيـة يعكـس انفتـاح الإيمـان عـلى التعلـم وقدرتـه عـلى تجميـع التقاليـد الفكريـة المتنوعـة في إطـار إسـلامي.

ولقـد أرسـت هـذه الفـترة مـن التفاعـل المكثف الأسـاس للعديـد مـن الإنجـازات الفكريـة والثقافية للعـصر الذهبـي الإسـلامي، مـما يـدل عـلى نضـج ثمـار الحـوار بـين الثقافـات عندمـا تسترشـد

(50) Isaac, T. (2011). Islam, the West, and tolerance: Conceiving coexistence. Comparative Civilizations Review, 64(64), 123–126.

(51) Isaac, op. cit.

(52) O'Boyle, C., Biller, P., & Ziegler, J. (2003). Religion and medicine in the Middle Ages. Albion: A Quarterly Journal Concerned with British Studies, 35(1), 94–96.

بمبادئ الاحترام المتبادل والسعي وراء المعرفة. ولا يزال إرث هذه التفاعلات يسترشد به في فهمنا للعلاقات بين الأديان والتبادل الثقافي في العالم الحديث.

٦. العلاقات الدبلوماسية والثقافية بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى

تميزت العلاقات الدبلوماسية والثقافية بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى بتفاعلات معقدة شملت التبادلات الدبلوماسية والدبلوماسية الثقافية ودور السجناء في النقل الثقافي. ومن منظور إسلامي، كانت هذه العلاقات تسترشد بمبادئ فن الحكم (السياسة الشرعية) ومفهوم التعايش السلمي مع الأنظمة السياسية غير الإسلامية، كما يتضح من مختلف الآيات القرآنية والسنة النبوية.

أ. العلاقات الدبلوماسية

كانت العلاقات الدبلوماسية بين الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الإسلامية متعددة الأوجه، بما في ذلك المعاهدات والمبعوثين والمفاوضات. غالبا ما كانت هذه التفاعلات مدفوعة بالحاجة إلى الاستقرار السياسي والتعاون الاقتصادي، بما يتماشى مع المبدأ الإسلامي المتمثل في السعي إلى السلام عندما يكون ذلك ممكنا، كما هو مذكور في القرآن: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

من الأمثلة البارزة على هذا التعاون الدبلوماسي جزيرة قبرص، التي كانت بمثابة «أرضية مشتركة» حيث تقاسمت كلٌّ من السلطات البيزنطية والعربية عائدات الضرائب، وأنشأت منطقة عازلة(٥٣). تطلّب هذا الترتيب مفاوضات دبلوماسية مستمرة ومثالا على كيف يمكن للدبلوماسية أن تخدم المصالح المتبادلة على الرغم من النزاعات المستمرة. ومن وجهة نظر إسلامية، يعكس هذا النوع من الترتيبات المرونة في الحكم الإسلامي عند التعامل مع الكيانات غير الإسلامية، طالما أنه يخدم الصالح العام للمجتمع المسلم.

كان المشهد الدبلوماسي أكثر تعقيدا بسبب وجود عوامل خارجية مختلفة، مثل المجتمعات التجارية الإيطالية والتوسع المغولي في جميع أنحاء آسيا. سهلت هذه الجهات الفاعلة تكاثر مناطق الاتصال واستلزمت استراتيجيات دبلوماسية يمكن أن تستوعب الهويات الدينية والعرقية المتنوعة(٥٤). كان على الإمبراطورية البيزنطية التنقل في شبكة معقدة من التحالفات والمعاهدات للحفاظ على نفوذها وضمان بقائها. وبالمثل، انخرط الحكام المسلمون، مسترشدين بمبدأ السياسة الشرعية، في دبلوماسية براغماتية لحماية وتعزيز مصالح الأمة (المجتمع الإسلامي).

(53) Zavagno, op. cit.

(54) Preiser-Kapeller & Mitsiou, op. cit.

ب. الدبلوماسية الثقافية

غالبا ما كانت التبادلات الثقافية بمثابة أدوات للدبلوماسية، مما يسهل التفاهم المتبادل ويخفف التوترات السياسية. يتماشى هذا النهج مع المفهوم الإسلامي للدعوة (الدعوة إلى الإسلام) من خلال الحكمة والمثال الحسن، كما هو مذكور في القرآن: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

من الأمثلة البارزة على ذلك تبادل المعرفة، لا سيما من خلال ترجمة النصوص العلمية والفلسفية. ترجم العلماء البيزنطيون العديد من الأعمال اليونانية إلى اللغة العربية، والتي أعيد تقديمها لاحقا إلى أوروبا من خلال وسطاء إسلاميين، مما عزز التراث الفكري المشترك(٥٥). وهذا التبادل الفكري لا يثري الحضارتين فحسب، بل يعمل أيضا كشكل من أشكال الدبلوماسية الثقافية، ويعزز الاحترام المتبادل والتعاون. ومن منظور إسلامي، يتماشى هذا السعي وراء المعرفة، مؤكدا على الطبيعة العالمية للمعرفة في الفكر الإسلامي.

علاوة على ذلك، لعبت الحوارات الدينية واللاهوتية دورا هاما في الدبلوماسية الثقافية. يجسد بولس الأنطاكي «رسالة إلى صديق مسلم» هذا النهج. تهدف طريقته الإيرينية، التي قدمت المعتقدات الإسلامية على أنها سوء فهم بدلا من هرطقات، إلى تعزيز حوار لاهوتي أكثر تصالحية بين المسيحيين والمسلمين(٥٦). وهذه الجهود حاسمة في الحفاظ على العلاقات الدبلوماسية وتعزيز التفاهم الثقافي. وشارك العلماء المسلمون بدورهم في حوارات مماثلة، وغالبا ما يعتمدون على التقاليد الغنية للاهوت الإسلامي (الكلام) للتعبير عن المعتقدات الإسلامية والدفاع عنها في سياق متعدد الثقافات.

ج. تبادل الأسرى والمعرفية الثقافية

غالبا ما لعب السجناء دورا فريدا في التبادل الثقافي بين المسلمين والبيزنطيين. ولم تخدم ممارسة تبادل الأسرى أغراضا سياسية وعسكرية مباشرة فحسب، بل سهلت أيضا نقل المعرفة الثقافية والفكرية. تتماشى هذه الممارسة مع التأكيد الإسلامي على المعاملة العادلة للسجناء، كما هو مذكور في القرآن: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

يمكن للسجناء الذين كانوا علماء أو حرفيين نشر معارفهم ومهاراتهم عبر الحدود الثقافية، وإثراء المجتمع المضيف. في الأراضي الإسلامية، أدى هذا في كثير من الأحيان إلى دمج المعرفة والتقنيات الجديدة في التقاليد الإسلامية القائمة، مما ساهم في ازدهار العلوم والفنون خلال العصر الذهبي الإسلامي.

(55) Farhat-Holzman, 2016

(56) Bogataj, op. cit.

كما ساهم تكثيف التبادل التجاري وحركة الناس بين العالمين البيزنطي والإسلامي في نقل الثقافة. أدى تنقل التجار، من النخبة وغير النخبة، إلى انتشار الممارسات الدينية والثقافية عبر مناطق مختلفة(٥٧). وقد تعززت هذه العملية بوجود سجناء جلبوا معهم، عند إطلاق سراحهم أو إدماجهم في المجتمع المضيف، مساهمات ثقافية وفكرية فريدة. ومن منظور إسلامي، يعكس هذا التنقل والتبادل الطبيعة العالمية للأمة والتركيز الإسلامي على طلب المعرفة والانخراط في تجارة مفيدة.

لقد تميزت العلاقات الدبلوماسية والثقافية بين المسلمين والبيزنطيين في العصور الوسطى بتفاعل ديناميكي بين التبادلات الدبلوماسية والدبلوماسية الثقافية ودور السجناء في النقل الثقافي. لم تشكل هذه التفاعلات المشهد السياسي فحسب، بل سهلت أيضا تبادلا غنيا للمعرفة والممارسات الثقافية التي تركت تأثيرا دائما على كلتا الحضارتين.

ومن منظور إسلامي، تجسد هذه العلاقات مرونة وبراغماتية فن الحكم والدبلوماسية الإسلامية. وهي توضح كيف يمكن تطبيق المبادئ الإسلامية المتمثلة في طلب المعرفة وتعزيز السلام والانخراط في معاملات عادلة مع غير المسلمين في سياقات جيوسياسية معقدة. ساهمت التبادلات الثقافية والفكرية التي نتجت عن هذه التفاعلات بشكل كبير في ازدهار الحضارة الإسلامية خلال هذه الفترة، مما أثرى مجالات مثل الفلسفة، والعلوم، والفن، والعمارة.

علاوة على ذلك، أرست هذه التفاعلات الأساس للحوارات والتبادلات بين الثقافات في المستقبل، وتشكيل تطور كل من الحضارات الإسلامية والغربية. وهي بمثابة مثال تاريخي على الكيفية التي يمكن بها للثقافات والأديان المتنوعة أن تشارك في تبادل وتعاون هادفين، حتى في مواجهة الاختلافات السياسية والأيديولوجية، وهذا درس لا يزال وثيق الصلة في عالمنا المترابط بشكل متزايد.

الخاتمة: التبادل الثقافي بين العالم الإسلامي والإمبراطورية البيزنطية - رؤية تحليلية

تقدم هذه الدراسة تحليلاً شاملاً للتبادل الثقافي بين العالم الإسلامي والإمبراطورية البيزنطية خلال العصور الوسطى، مستندة إلى مصادر تاريخية وأكاديمية متنوعة. لقد كشفت النتائج عن أن هذا التفاعل كان ظاهرة معقدة ومتعددة الأوجه، تجاوزت الصراعات العسكرية لتشمل تفاعلات ثقافية وفكرية غنية. وفيما يلي استعراض لأبرز النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة:

١. الآثار طويلة المدى، إرث حضاري مشترك: كانت الآثار طويلة المدى لهذا التبادل

(57) Preiser-Kapeller & Mitsiou, op. cit.

الثقافي عميقة وشاملة. فقد ساهم الحفاظ على المعرفة الكلاسيكية وتطويرها في العالم الإسلامي في إرساء الأسس الفكرية لعصر النهضة الأوروبية. كما أن التقدم في المجالات الطبية والعلمية، بفضل التوليف بين المعرفة البيزنطية والإسلامية، ترك إرثًا لا يزال مرئيًا في الممارسات الطبية الحديثة. وفي مجال الفنون، أدى التفاعل بين التقاليد البيزنطية والإسلامية إلى ظهور أساليب فنية فريدة، مثل المقرنصات الإسلامية التي أثرت على العمارة الأوروبية.

٢. التبادل الفني والمعماري، إبداع متبادل: كان للتفاعل بين التقاليد الفنية والمعمارية الإسلامية والبيزنطية تأثير دائم على كلا الحضارتين. فقد أدى هذا التفاعل إلى ظهور أساليب فنية جديدة، مثل المقرنصات الإسلامية التي تأثرت بالعناصر البيزنطية، والتي انتشرت لاحقًا في العمارة الأوروبية. كما أن استخدام الخط العربي كعنصر زخرفي في الفنون البيزنطية يعد مثالاً على التلاقح الثقافي الذي تجاوز الحدود الدينية والسياسية.

٣. التجارة والتبادل الاقتصادي، قنوات للتفاعل الثقافي: لعبت التجارة دورًا محوريًا في تسهيل التبادل الثقافي. فقد كانت طرق التجارة التي تربط بين العالم الإسلامي والبيزنطي بمثابة شرايين لنقل السلع والأفكار. وقد أدى تبادل السلع الفاخرة، مثل الحرير والتوابل، إلى خلق شبكات اقتصادية معقدة ساهمت في تعزيز التفاعلات الثقافية. كما أن الابتكارات المالية الإسلامية، مثل نظام الحوالة، سهلت التجارة لمسافات طويلة، مما أدى إلى زيادة التفاعل بين الثقافات.

٤. التفاعلات السياسية والعسكرية، إطار للتبادل الثقافي: على الرغم من أن الصراعات العسكرية كانت سمة بارزة في العلاقات الإسلامية البيزنطية، إلا أن التحالفات السياسية والدبلوماسية لعبت دورًا محوريًا في خلق فترات من الاستقرار النسبي. فقد ساهمت السفارات المتبادلة بين الخلفاء المسلمين والأباطرة البيزنطيين في نقل الأفكار والفنون والهدايا الثقافية، مما أدى إلى خلق فهم متبادل بين الحضارتين.

٥. الحوار الديني والفكري، تفاعل غني: على الرغم من التوترات الدينية، شهدت العلاقات الإسلامية البيزنطية حوارات فكرية ولاهوتية غنية. فقد ناقش العلماء المسلمون والمسيحيون قضايا مثل طبيعة الله وعلاقة الإيمان بالعقل، مما أدى إلى تطور الفكر الكلامي والفلسفي في كلا التقليدين. وقد ساهم هذا الحوار في خلق فهم أعمق للاختلافات الدينية، وإن لم يلغِ الصراعات تمامًا.

٦. المبادئ الإسلامية، إطار أخلاقي وفكري: شكلت المبادئ الإسلامية إطارًا أخلاقيًا وفكريًا لهذه التفاعلات. فعلى سبيل المثال، قدم مفهوم «أهل الكتاب» في الإسلام إطارًا قانونيًا واجتماعيًا للتعامل مع المسيحيين البيزنطيين، مما سمح بدرجة من التعايش في المناطق الحدودية. كما أن المبدأ الإسلامي لطلب العلم، المستمد من القول المأثور: "اطلبوا العلم ولو في الصين»، شجع على نقل المعرفة والترجمة، مما أدى إلى الحفاظ على التراث الكلاسيكي وتطويره.

٧. نقل المعرفة والنهضة الفكرية، حجر الزاوية: كان لنقل المعرفة بين الحضارتين تأثير عميق على مسار التاريخ الفكري. فقد حافظ العلماء المسلمون على التراث اليوناني والروماني وطوروه، خاصة في مجالات الفلسفة والطب والعلوم. وأصبحت مراكز مثل بيت الحكمة في بغداد منارات للعلم، حيث تمت ترجمة أعمال أرسطو وأفلاطون وغيرهما من الفلاسفة اليونان إلى العربية. وقد ساهمت هذه الترجمات، إلى جانب الإضافات الأصلية لعلماء مثل ابن سينا وابن رشد، في إرساء الأسس الفكرية لعصر النهضة الأوروبية.

٨. الدروس المستفادة: أهمية الحوار بين الثقافات

تكشف هذه الدراسة عن أهمية الحوار بين الثقافات في تشكيل الحضارة الإنسانية. فالتفاعلات بين العالم الإسلامي والإمبراطورية البيزنطية تذكرنا بأن الصراع ليس السمة الوحيدة التي تحدد العلاقات بين الحضارات. بل إن التبادل الثقافي، رغم تحدياته، يمكن أن يكون مصدرًا للإثراء المتبادل والتقدم الفكري.

في ضوء النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، تبرز عدة مجالات تستحق مزيدًا من البحث. أولاً، يمكن تعميق فهمنا لدور المرأة في هذه التفاعلات الثقافية، خاصة في مجالات التعليم والإنتاج الفني. ثانيًا، يفتح التحقيق في العوامل البيئية، مثل تغير المناخ والكوارث الطبيعية، نافذة جديدة لفهم تأثير هذه العوامل على أنماط التجارة والاستيطان. ثالثًا، يظل دور الأقليات الدينية والعرقية، مثل اليهود والأرمن، في تشكيل المشهد الثقافي منطقة غنية للبحث.

كما يمكن للدراسات المستقبلية أن تستكشف الأهمية المعاصرة لهذا التراث الثقافي المشترك، وكيفية تأثيره على الحوارات الحديثة بين الأديان والثقافات. بالإضافة إلى ذلك، فإن إجراء تحليلات مقارنة مع فترات تاريخية أخرى، مثل التعايش في الأندلس، يمكن أن يكشف عن أنماط أوسع للتفاعل بين الثقافات. وأخيرًا، يمكن للعلوم الإنسانية الرقمية أن توفر أدوات مبتكرة لرسم خريطة التفاعلات الثقافية عبر الزمان والمكان، مما قد يكشف عن روابط غير مكتشفة سابقًا.

في الختام، تقدم هذه الدراسة رؤية شاملة للتبادل الثقافي بين العالم الإسلامي والإمبراطورية البيزنطية، والتي تجاوزت الصراعات لتشمل تفاعلات ثقافية وفكرية غنية. لقد شكلت هذه التفاعلات إرثًا حضاريًا مشتركًا لا يزال يؤثر على عالمنا اليوم. ومن خلال هذه الرؤية، ندرك أن الحوار بين الثقافات ليس مجرد تبادل أفكار، بل هو عملية ديناميكية تساهم في تشكيل الهويات الثقافية وتطوير الحضارة الإنسانية. وهذا يذكرنا بأهمية الحفاظ على قيم التفاهم والاحترام المتبادل في عالمنا المعاصر، حيث تظل الدروس المستفادة من هذه الفترة التاريخية مصدر إلهام للحوار بين الثقافات.

التوصيات النهائية

بناءً على النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، يمكن تقديم التوصيات التالية:

• استخدام الأدوات الرقمية لتحليل الشبكات الثقافية عبر الزمان والمكان.

• استكشاف الأهمية المعاصرة للتراث الثقافي المشترك في تعزيز الحوار بين الأديان والثقافات.

• التركيز على دور الأقليات في تشكيل التفاعلات الثقافية.

• تعزيز الدراسات المقارنة بين الحضارات لفهم أنماط التفاعل الثقافي.

بهذه الرؤية الشاملة، نأمل أن تسهم هذه الدراسة في تعميق فهمنا للتفاعل الثقافي بين الحضارات، وتقديم رؤى جديدة تساهم في تعزيز الحوار الثقافي في عالمنا المعاصر.

References

1. Abd al-Radi, A. M. (n.d.). Al-Gharah al-tansiriyyah `ala asalah al-Qur'an al-karim: Adwar al-tasis jadaliyyat al-mashriqiyyin. Shamela. https://shamela.ws/book/8519/26

2. Akıl, Z. (2022). An overview of Byzantine response to Ottoman advance. EskiŞehir Osmangazi Üniversitesi Tarih Dergisi.

3. Avicenna. (1999). The canon of medicine (al-Qānūn fī'l-ṭibb) (Vol. 1) (L. Bakhtiar, Ed.; O. C. Gruner & M. H. Shah, Trans.). Great Books of the Islamic World.

4. Badawi, H. (2024). Exploring medieval Mediterranean trade and cultural exchange. ASJP, 5(2), 08-19. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/250055

5. Balta, E. G. (2016). The Islamic-Byzantine frontier: Interaction and exchange among Muslim and Christian communities. The International Journal of Turkish Studies, 22, 87.

6. Barker, J. W. (1966). Justinian and the later Roman Empire. University of Wisconsin Press.

7. Barros, F., & Tavim, J. A. (2021). Mobilities and communities between north africa and portugal: Muslims and jews in the medieval and early modern ages. Ler Historia,

(78), 17–38. https://doi.org/10.4000/LERHISTORIA.8210

8. Bogataj, J. (2019). Byzantine theology and Islam: Paul of Antioch's irenic approach. Edinost in Dialog, 74(1), 151–174.

9. Brandes, W. (2002). W. Treadgold, A history of the Byzantine state and society. Byzantinische Zeitschrift, 95, 716–725.

10. Curran, J. (1998). From Jovian to Theodosius. In A. Cameron & P. Garnsey (Eds.), The Cambridge Ancient History XIII: The Late Empire, A.D. 337–425.

11. Doležal, Stanislav (2022). The Reign of Constantine, 306–337: Continuity and Change in the Late Roman Empire. Cham: Palgrave Macmillan.

12. Drieu, L., Orecchioni, P., Capelli, C., Meo, A., Lundy, J., Sacco, V., Arcifa, L., Molinari, A., Carver, M., & Craig, O. (2021). Chemical evidence for the persistence of wine production and trade in Early Medieval Islamic Sicily. Proceedings of the National Academy of Sciences, 118(10), e2017983118.

13. Durak, K. (2022). The economy of Melitene/Malaṭya and its role in the Byzantine–Islamic trade (seventh to eleventh centuries). Byzantinische Zeitschrift, 115, 829–874.

14. Elmasry, S. (2018). Islamic architecture in Dubai: Renewal and contemporaneity. WIT Transactions on the Built Environment, 177, 221–231.

15. Farhat-Holzman, L. (2016). The myth of the Andalusian paradise: Muslims, Christians, and Jews under Islamic rule in Medieval Spain. Modern Language Review, 111(3), 870–871.

16. Fink, H. S. (1969). The foundations of the Latin states, 1099–1118. In K. M. Setton & M. W. Baldwin (Eds.), A history of the Crusades: I. The First Hundred Years. The University of Wisconsin Press.

17. George, A. (2015). Direct sea trade between early Islamic Iraq and Tang China: From the exchange of goods to the transmission of ideas. Journal of the Royal Asiatic Society, 25(4), 579–624.

18. Isaac, T. (2011). Islam, the West, and tolerance: Conceiving coexistence. Comparative Civilizations Review, 64(64), 123–126.

19. Khan, H. (1982). Contributions of Muslims to medicine and science: Up to the middle of the thirteenth century. Journal of the Islamic Medical Association of North America, 14(1), 10–17.

20. Lopez, R. (1945). Silk industry in the Byzantine Empire. Speculum, 20(1), 1–42.

21. Nicolle, D. (2000). Constantinople 1453: The end of Byzantium. Osprey Publishing.

22. Nirenberg, D. Z. (1997). Communities of violence: Persecution of minorities in the Middle Ages. The Jewish Quarterly Review, 88(1/2), 70–73.

23. Nixon, S. (2009). Excavating Essouk–Tadmakka (Mali): New archaeological investigations of early Islamic trans–Saharan trade. Azania: Archaeological Research in Africa, 44(2), 217–255.

24. O'Boyle, C., Biller, P., & Ziegler, J. (2003). Religion and medicine in the Middle Ages. Albion: A Quarterly Journal Concerned with British Studies, 35(1), 94–96.

25. Ousterhout, R. (2011). Review: Architecture as icon: Perception and representation of architecture in Byzantine art. Journal of the Society of Architectural Historians, 70(1), 109–110.

26. Rabbat, N. (2012). What is Islamic architecture anyway? Journal of Art Historiography, 6, 1–15.

27. Rouzbahani, R., & Fahimifar, A. (2018). The readings of Timurid art based on the ideas of Suhrawardi: A study on geometrical motifs of Goharshad Mosque. Iran University of Science & Technology, 5, 35–54.

28. Shawcross, T. (2020). Ethnic and religious violence in Byzantium. In M. S. Gordon, R. W. Kaeuper, & H. Zurndorfer (Eds.), The Cambridge World History of Violence (pp. 287–312). Cambridge University Press. https://doi.org/10.1017/9781316661291.015

29. Whealey, A. (2013). Muslim motives for conquering the Byzantine Empire 634–720: The evidence from Eastern Christian sources. Russian History, 40(1), 9–26.

30. Yassin, A. A., & Utaberta, N. (2012). Architecture in the Islamic civilization: Muslim building or Islamic architecture. Journal of Islamic Architecture, 2(2), 72–214.

31. Zahra, F., & Shahir, S. (2022). Development and evolution of palmette ornament: An influence on Islamic architecture. Landscape Architecture and Art, 20(20), 75–84.

32. Zavagno, L. (2013). Two hegemonies, one island: Cyprus as a "Middle Ground" between the Byzantines and the Arabs (650–850 A.D.). Reti Medievali Rivista, 14(2), 3–32.

الأحكام الشرعية في ضوء النوازل الفيروسية الطارئة جائحة كورونا وأثرها في أحكام الزكاة والوقف

د. جهاد حمد حمد

ملخص

يهدف هذا البحث إلى توعية المسلمين بالإجراءات الوقائية التي أقرها الإسلام، وتسليط الضوء على الحلول الفقهية للأزمات الطارئة. ويتناول تأثير جائحة كورونا على المستوى العالمي عمومًا، وعلى المجتمعات الإسلامية خصوصًا، مع التركيز على دور الزكاة والوقف في الحد من آثارها الاقتصادية والصحية. كما يناقش التكييف الفقهي للإنفاق في سبيل الله، مثل تعجيل الزكاة لعام أو عامين لتخفيف تداعيات الجائحة، وبيان حكم توجيه أموال الزكاة والوقف لدعم المستشفيات والمصابين. بالإضافة إلى ذلك، يستعرض البحث بعض أحكام الوقف من منظور المصلحة الشرعية، مستندًا إلى فقه السلف في جواز تغيير صورته بالبيع أو النقل، وتوجيه ريعه لمواجهة الأوبئة والكوارث. ويؤكد البحث على ضرورة مواكبة الفقه الإسلامي للتطورات الطبية والطوارئ الصحية، بما يحقق مقاصد الشريعة في حفظ النفس والمال.

كلمات مفتاحية

أحكام الزكاة، أحكام الوقف، الإنفاق في سبيل الله، جائحة كورونا، النوازل الفقهية،

Abstract

This study aims to raise awareness among Muslims about the preventive measures endorsed by Islam and to highlight the jurisprudential solutions for addressing emergent crises. It examines the global impact of the COVID١٩- pandemic, with a particular focus on its effects on Muslim communities. The research emphasizes the role of Zakat and Waqf in mitigating the economic and health-related repercussions of the pandemic. It also explores the jurisprudential adaptation of charitable spending in the path of Allah, such as the permissibility of advancing Zakat payments by one or two years to alleviate the consequences of the crisis. Additionally, it investigates the ruling on allocating Zakat and Waqf funds to support hospitals and assist those affected.

Furthermore, the study reviews certain legal rulings on Waqf from the perspective of

public interest (maslaha), drawing on classical Islamic jurisprudence, which permits altering the form of Waqf through sale or transfer and redirecting its revenues to address epidemics and disasters. The research underscores the necessity of aligning Islamic jurisprudence with medical advancements and public health emergencies to uphold the higher objectives of Sharia, particularly the preservation of life and wealth.

Keywords:

Zakat Rulings, Waqf Regulations, Spending in the Cause of Allah, COVID١٩-Pandemic, Contemporary Fiqh Issues.

***

هدف البحث

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على الأمور التالية:

- تعريف المسلمين بالإجراءات الوقائية التي جعلها الإسلام ديناً وتعبداً من حيث المبدأ، والتي توصل إلى تأمين الحماية من الأوبئة والجوائح.
- البحث في كتب الفقهاء القدامى واستخراج الفتاوى التي تمت بالصلة إلى مسائل البحث.
- قياس المسائل الطارئة التي استجدت أثناء انتشار فيروس كورونا على ما تم استخراجه من فتاوى الفقهاء القدامى.
- البحث عن فتاوى العلماء المعاصرين والمجمعات والمؤتمرات الفقهية واستخراجها إلى المجتمع بشكل متكامل مع أدلتها وعللها.
- مواكبة الفقه الإسلامي لكل المستجدات الطبية الطارئة وتبيان عظمته في إيجاد الحلول لكل طارئ.

أسباب اختيار الموضوع

تكمن أسباب اختيار هذا الموضوع في التالي:

- تسلط جائحة كورونا على يوميات المسلمين وسيطرتها على حياتهم حيث عمت بها البلوى.
- جهل الكثير من المسلمين في الأحكام المترتبة على انتشار هذا الفيروس القاتل.

- قلة المتصدرين للكتابة في هذه المسائل الحديثة والطارئة.

- استتباعاً لرسالتي في: (الأحكام الشرعية في ضوء المستجدات الطبية والبيولوجية العصرية).

- إدلاءً بدلو طلبة العلم في النوازل الفقهية الطارئة وإبقاءً للبحث العلمي حياً بين أهله.

الدراسات السابقة

جل الدراسات السابقة أبحاث جزئية غير مكتملة، وغير متسلسلة على حسب الترتيب الفقهي، وما هي إلا مساهمات لمعرفة الحق والنفع به.

فيما هذا البحث مجزأ في أبحاث متناسقة، تبدأ بأحكام الحجر الصحي والجنائز، منتهية بأحكام العقود والمعاملات، مروراً بتأثير كورونا في أحكام الصلاة والصيام والحج والزكاة والوقف وغيرها.

وهذه بعض الأبحاث التي وجدتها وأفدت منها:

نوازل الزكاة دراسة فقهية تأصيلية لمستجدات الزكاة، للدكتور: عبد الله بن منصور الغفيل.

استثمار الوقف وطرقه القديمة والحديثة، إعداد: أ.د. علي محيي الدين القره داغي.

منهجية البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي المقارن، واتخذت لذلك الخطوات التالية:

- ذكرت أقوال الفقهاء القدماء مع أدلتها، ثم عرضت أراء بعض المعاصرين، وخاصة مجمع الفقه الإسلامي والأزهر الشريف.

- رجحت بين آراء الفقهاء معتمداً على قوة الدليل مستعينًا بالرأي الطبي.

- اعتمدت على أمهات الكتب الفقهية من كل مذهب معتبر.

- ختمت البحث بخاتمة تضمنت النتائج التي توصلت إليها.

وخرجت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وترجمت للفقهاء على الطريقة المتبعة في منهجية البحث العلمي.

وجعلت فهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأعلام المترجم لهم وكذلك فهرس للمصادر والمراجع.

خطة البحث

يتضمن البحث مقدمة وفصلان، يحتوي كل فصل على ثلاثة مباحث، وكل مبحث يحتوي على مطالب، وخاتمة (نتائج البحث).

الفصل الأول: جائحة كورونا وأثرها في أحكام الزكاة

المبحث الأول: تعريف جائحة كورونا.

المبحث الثاني: الإنفاق من مال الزكاة على المصالح العامة جراء كورونا من سهم في سبيل الله.

المبحث الثالث: حكم تعجيل الزكاة لمعالجة آثار كورونا والمصابين بها.

الفصل الثاني: الإنفاق على مرضى كورونا وعلى المستشفيات التي تعالجهم

المبحث الأول: الإنفاق على مرضى كورونا من الزكاة.

المبحث الثاني: الإنفاق من مال الوقف على المستشفيات الموقوفة.

المبحث الثالث: الإنفاق من مال الوقف على المستشفيات غير الموقوفة.

***

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فبعد أن ضربت جائحة كورونا كافة شرائح المجتمع، فمن مصاب أو مفجوع به أو مفلس بسبب الآثار الاقتصادية المدمرة جراء الإقفال العام، وبعد تصنيف هذا الوباء جائحة عالمية من قبل منظمة الصحة العالمية، تظهر عظمة الإسلام في إيجاد حلول للتخفيف من آثار تلك الجائحة.

ففي المقام الأول تبقى مؤسسة الزكاة عاملاً رافعاً لكل المترتبات السقيمة جراء الجائحة، ويبقى سهم في سبيل الله يرمم ما تدمر من المصالح العامة، وهدفاً لسبل السلام وأعمال البر وقُرب الخير.

ففي الإقفال العام وإغلاق المطارات والحدود البرية ما جعل الحياة الاقتصادية تصاب بشلل عام، فمن مستأجر لا يعمل لكي يسدد أجرة منزله، أو صاحب مؤسسة تجارية أُقفلت قسراً لا يستطيع تسديد رواتب موظفيه، ومن بضائع لم يتم إيصالها إلى أصحابها وتسليمها لهم، إضافة إلى الكثير من الأمور المشابهة التي جعلت الحاجة إلى تكييف الفتوى بالإنفاق من سهم في سبيل الله على تلك الحالات ومثيلاتها.

وكذلك الأمر، فجواز تعجيل الزكاة لعام أو عامين من شأنه أن يساعد بشكل فعال في محو آثار كورونا على المتضررين أو التخفيف من حدتها على الأقل.

وتبرز مؤسسة الزكاة أيضاً في بلسمة جراح المصابين بكورونا، إن من حيث الإنفاق على علاج الفقراء منهم، أو على دعم المستشفيات التي تعمل على علاجهم وطبابتهم.

ومن كمال هذا الدين فإنه يمتلك من مفاتيح الخير كالوقف، بحيث يغلق من خلاله مترتبات جائحة كورونا فيما يخص علاج المرضى والإنفاق على المستشفيات الموقوفة والمستشفيات غير الموقوفة، بحيث يؤمن لها السيولة المالية الكافية لتضميد جراح المصابين كدين بأمر الحاكم، أو عطاء بلا مقابل كما تم الترجيح خلال البحث.

وقد حدث وقت كتابة هذا البحث زلزال عظيم في تركيا والشمال السوري، ذهب ضحيته من الشهداء أكثر من خمسين ألفاً، وما تناوله الباحث من الإنفاق من سهم في سبيل الله أو تعجيل الزكاة أو الوقف ينسحب حكمه على النوازل الفيروسية وغيرها كالزلزال المذكور.

الفصل الأول: جائحة كورونا وأثرها في أحكام الزكاة والوقف

المبحث الأول: تعريف جائحة كورونا

المطلب الأول: تعريف الجائحة

الجائحة لغةً: من الجوح، والجوح هو الاستئصال، وجاحتهم السنة جوحاً وجياحة إذا استأصلت أموالهم. وسنة جائحة تعني جدبة. والجوحة والجائحة تعني الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سنة أو فتنة(١). يقول في مقاييس اللغة: الجيم والواو والحاء أصل واحد وهو الاستئصال، يقال جاح الشيء يجوحه استأصله(٢). والجائحة هي المصيبة التي تحل بالرجل في ماله فتجتاحه(٣).

الجائحة اصطلاحاً:

عرفها الجرجاني **الحنفي** بأنها الآفة التي تهلك الثمار وتجتاح الأموال وتستأصلها، وهي كل مصيبة عظيمة وفتنة كبيرة(٤).

(١) ابن منظور: لسان العرب، ٢/ ٤٠٩-٤١٠، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤م، ١٩٧٩م.

(٢) أحمد فارس: معجم مقاييس اللغة، ١/ ٤٩٢، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩م..

(٣) الأزهري: معجم تهذيب اللغة، ٥/ ٨٨، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت (ط١، ٢٠٠١م..

(٤) الجرجاني: التعريفات، ص: ٧٣، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١– ١٤٠٥م.. والجرجاني: هو علي بن محمد فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، وُلد في تاكو. من مصنفاته: التعريفات وشرح مواقف الإيجي. توفي في شيراز سنة ٨١٦ هج، الزركلي: الأعلام ٥/ ٧-٨، ط دار العلم للملايين، بيروت..

وعرفها **المالكية** بأنها: ما لا يُستطاع دفعه كسموٍّي أو جيشٍ أو سارقٍ(٥)، أو ما أتلف من معجوز عن دفعه عادةً قدراً من ثمر أو نبات بعد بيعه(٦).

وعند **الشافعية**، جماع الجوائح هو كل ما أذهب الثمرة أو بعضها بغير جناية آدمي(٧).

وعند **الحنابلة** هي: كل آفة لا صنع للأدمي فيها مثل الريح، البرد، الجراد، والعطش(٨).

التعريف المختار:

الجائحة هي الآفة التي تهلك الحرث والنسل وتجتاح الأموال وتستأصلها، وهي كل مصيبة عظيمة وفتنة كبيرة.

المطلب الثاني: تعريف فيروس كورونا

فيروس كورونا عند منظمة الصحة العالمية

فيروسات كورونا هي فصيلة فيروسات واسعة الانتشار يُعرف أنها تسبب أمراضاً تتراوح من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد حدةً، مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (م أ ر س) ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (السارس). فيروس كورونا المستجد (كوفيد ١٩) هو سلالة جديدة من الفيروس لم يسبق اكتشافها لدى البشر.

وفيروس كورونا من فصيلة فيروسات كورونا الجديد، حيث ظهرت أغلب حالات الإصابة به في مدينة ووهان الصينية نهاية ديسمبر ٢٠١٩م على صورة التهاب رئوي حاد(٩).

ومرض كوفيد-١٩ هو مرض معد يسببه آخر فيروس تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس الجديد ومرضه قبل بدء تفشيه في مدينة ووهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٩م. وقد تحول كوفيد-١٩ الآن إلى جائحة تؤثر على العديد من بلدان العالم(١٠).

وعرف مجمع الفقه الإسلامي هذا المرض بأنه: مرض الفيروس التاجي ٢٠١٩م المعروف

---

(٥) أبو الحسن العدوي المالكي: حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، ٢/٢١٧، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر - بيروت، د.ت. أحمد بن غنيم النفراوي، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ٢/١٢٩. بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م.

(٦) العدوي، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، ٢/٢٨١، محمد الزرقاني: شرح الزرقاني، بيروت، ٣/٣٤٠، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م.

(٧) الشافعي: الأم ٣/٥٨، دار الفكر - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣م. - ١٩٨٣م.

(٨) ابن قدامة: المغني: ٤/٨١، طبع مكتبة القاهرة. تحقيق: طه الزيني ومحمود عبد الوهاب فايد وعبد القادر عطا.

(٩) موقع منظمة الصحة العالمية. http:/www.emro.who.int/ar/healthopics/corona-virus.

(١٠) موقع شبكة الجزيرة (https://is.gd/K9eZ8e.

اختصارًا بكوفيد-١٩: هو التهاب في الجهاز التنفسي بسبب فيروس تاجي جديد. وقد أعلنت منظمة الصحة أن هذا الوباء جائحة عالمية في ١١ مارس ٢٠٢٠م(١١).

ويظن أن الفيروس حيواني المنشأ في الأصل ولكن الحيوان الخازن غير معروف حتى الآن بشكل مؤكد. وهناك شبهات حول الخفاش وآكل النمل. وأما انتقاله من إنسان آخر فقد ثبت أنه واسع الانتشار، وتتراوح العدوى بين حامل الفيروس من دون أعراض إلى أعراض شديدة تشمل الحمى والسعال وضيق التنفس في الحالات المتوسطة إلى الشديدة. قد يتطور المرض خلال أسبوع أو أكثر من معتدل إلى حاد، ونسبة كبيرة من الحالات المرضية تحتاج إلى عناية سريرية مركزة(١٢).

المبحث الثاني: الإنفاق من مال الزكاة على المصالح العامة جراء كورونا من سهم في سبيل الله.

المطلب الأول: سهم في سبيل الله

هل يجوز دفع الزكاة إلى المستشفيات التي تقدم الطبابة للمرضى المصابين بكورونا والمصالح العامة من سهم في سبيل الله؟ اختلف الفقهاء في المقصود من سهم في سبيل الله على أقوال:

القول الأول: الغزو والجهاد، وهو قول الجمهور(١٣)، أبو يوسف(١٤) من الحنفية، والمالكية، والشافعية، ورواية عند الحنابلة.

القول الثاني: الغزو والحج والعمرة، وهو قول محمد بن الحسن من الحنفية، ومذهب

(١١)(مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، توصيات الندوة الطبية الفقهية الثانية لهذا العام، والتي عقدت عبر تقنية مؤتمرات الفيديو يوم ١٦ إبريل ٢٠٢٠، تحت عنوان «فيروس كورونا المستجد كوفيد ـــ ١٩ وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية.»

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) (١ الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: ٢/ ٧٣، دار الكتب العلمية، والمعرفة، مطبعة شركة المطبوعات العلمية بمصر: ١٤٠٦م.. محمد أمين، ابن عابدين: حاشية رد المحتار، على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار ٢/ ٣٤٣، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٨٦م. = ١٩٦٦ م. القاضي عبد الوهاب: الإشراف على نكت مسائل الخلاف ١/ ٤٢٢، تحقيق: الحبيب بن طاهر، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٩م. القرافي: الذخيرة ٣/ ١٤٨، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م/ العمراني: البيان في مذهب الإمام الشافعي ٣/ ٤٢٦، المحقق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج – جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١م. - ٢٠٠٠ م. النووي: روضة الطالبين وعمدة المفتين ٢/ ٣٢١، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٢م./ ١٩٩١م. البهوتي: كشاف القناع عن متن الإقناع ٢/ ١٠٧، مكتبة النصر الحديثة بالرياض، ط: د ت. رجحه ابن قدامة في المغني ٩/ ٣٢٦، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤١٧م. - ١٩٩٧ م.

(١٤) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي القاضي الحنفي، ولد سنة ١١٣م. ولازم أبا حنيفة ١٧ سنة. له مصنفات من أشهرها: كتاب الخراج، وتوفي سنة ١٨٢م.. ينظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥م. - ١٩٨٥ م..

الحنابلــة(١٥).

القــول الثالــث: الجهــاد والدعــوة إلى اللــه، وهــو قــرار المجمــع الفقهــي الإســلامي، والنــدوة الأولى لقضايا الــزكاة المعــاصرة(١٦).

القــول الرابــع: كل أوجــه الطاعــات والقربــات والمصالــح العامــة، وجميــع ســبل الخــير، وهــو قــول أشــهب مــن المالكيــة(١٧)، وقــول ابــن العــربي(١٨).

وفخــر الديــن الــرازي(١٩)، والســيد صديــق حســن خــان(٢٠)(٢١)، وجــمال الديــن القاســمي(٢٢)،

---

(١٥) (٣ المغنــي ٩/٣٢٦، بدائــع الصنائــع ٢/٧٣، حاشــية رد المحتــار ٢/٣٤٣. محمــد بــن الحســن: ابــن فرقــد، فقيــه العــراق أبــو عبــد اللــه الشــيباني، الكــوفي، صاحــب أبي حنيفــة. ولــد بواســط ســنة ١٣٢م.، ونشــأ بالكوفــة وأخــذ عــن أبي حنيفــة بعــض الفقــه، وتمــم الفقــه عــلى القــاضي أبي يوســف. غلــب عليــه الــرأي وســكن بغــداد، وولي القضــاء للرشــيد بعــد القــاضي أبي يوســف، وكان مــع تبحــره في الفقــه يــضرب بذكائــه المثــل. كان الشــافعي يقــول: «كتبــت عنــه وقــر بختــي ومــا ناظــرت ســميناً أذكى منــه». تــوفي ســنة ١٨٩م. بالــري. ينظــر: الذهبــي، ســير أعــلام النبــلاء ٩/١٣٤.

(١٦) قــرارات المجمــع الفقهــي الإســلامي بمكــة العــدد ٣ (ص ٢١٠ في دورتــه الثامنــة: القــرار الثــاني (ص ١٨٧. فتــاوى وتوصيــات نــدوات قضايــا الــزكاة المعــاصرة (ص ٢٥. القــرار الرابــع بشــأن جمــع وتقســيم الــزكاة والعــشر في باكســتان في الــدورة الثامنــة مــن العــدد ٣ (ص ٢١١، قــرار (٤..

(١٧) القــرافي: الذخــيرة ٦/٣٦٠، لعمــوم اللفــظ. أشــهب بــن عبــد العزيــز بــن داود بــن إبراهيــم القيــسي، الإمــام، مفتــي مــصر. ولــد ســنة ١٤٠م.، وقــال فيــه الشــافعي: «مــا أخرجــت مــصر أفقــه مــن أشــهب». قيــل إنــه كان عــلى خــراج مــصر، وكان صاحــب أمــوال وحشــم. تــوفي ســنة ٢٠٤م.. ينظــر: الذهبــي، ســير أعــلام النبــلاء ٩/٦٠٠.

(١٨) ابــن العــربي: الإمــام العلامــة الحافــظ القــاضي أبــو بكــر، محمــد بــن عبــد اللــه بــن محمــد بــن عبــد اللــه، ابــن العــربي الأندلــسي الإشــبيلي المالــكي. بلــغ رتبــة الاجتهــاد، وتفقــه بالإمــام أبي حامــد الغــزالي، والفقيــه أبي بكــر الشــاشي. صنــف عارضــة الأحــوذي في شرح جامــع أبي عيــسى الترمــذي، وفــسر القــرآن المجيــد. تــوفي ســنة ٥٤٣م.. ينظــر: الذهبــي، ســير أعــلام النبــلاء ٤٣/١٩٧.

(١٩) فخــر الديــن الــرازي: العلامــة الكبــير ذو الفنــون فخــر الديــن محمــد بــن عمــر بــن الحســين القــرشي البكــري الطبرســتاني الأصــولي المفــسر، كبــير الأذكيــاء والحكــماء والمصنفــين. ولــد ســنة أربــع وأربعــين وخمســمائة، وتــوفي بهــراة يــوم عيــد الفطــر ســنة ســت وســتمائة ولــه بضــع وســتون ســنة. المصــدر: الذهبــي، ســير أعــلام النبــلاء، ٢١/٥٠١.

(٢٠) صِدّيــق حســن خــان القنوجــي (١٢٤٨-١٣٥٧م.: ابــن الســيد العلامــة حســن، المعــروف بســيد أولاد حســن، وُلــد في بلــدة بانــس بريلي شــمالي الهنــد. لــه مــن الحســنات العلميــة مــا يغنــي شــهره عــن الذكــر والفضائــل. تــزوج مــن الملكــة وأطلقــت يــده في الإصلاحــات، وبــاشر الحكــم في شــؤون كثــيرة نيابــة عــن زوجــه. كــما أنشــأ مكتبــات عامــة كبــيرة غنيــة بالنــوادر. مــن مؤلفاتــه: فتــح البيــان في مقاصــد القــرآن، أبجــد العلــوم، عــون البــاري شرح تجريــد البخــاري للزبيــدي. المصــدر: القنوجــي، أبجــد العلــوم، ص ٢٧١-٢٨٢. المحقــق: عبــد الجبــار الــزكار، وزارة الثقافــة والإرشــاد القومــي، دمشــق - دار الكتــب العلميــة، ١٩٧٨م..

(٢١) واختــاره الكاســاني للمحتــاج: يمكــن الرجــوع إلى: البدائــع، ٢/٤٥. تفســير المنــار، ١٠/٤٣١، ١١/٩٩، الهيئــة المصريــة العامــة للكتــاب، ١٩٩٠م. الــرازي، مفاتيــح الغيــب أو التفســير الكبــير، ١٦/٨٧، دار إحيــاء الــتراث العــربي – بــيروت، ط ٣، ١٤٢٠م.. شــلتوت، الإســلام عقيــدة وشريعــة، ص ١٠٥، دار الــشروق – مــصر، ط ١٨، ٢٠٠١م. الطاهــر بــن عاشــور، التحريــر والتنويــر، ١٠/٢٤٠-٢٣٧، الــدار التونســية، ١٩٨٤م. القرضــاوي، فقــه الــزكاة، ص ٦٢٠، مكتبــة وهبــة، ط ٢، ١٤١٤م..

(٢٢) القاســمي: محمــد جــمال الديــن القاســمي الكيــلاني الحســني الدمشــقي، كان إمــام الشــام في عــصره. نشــأ مقلــداً وصوفيــاً لكنــه تحــول إلى منهــج الســلف. ولــد في دمشــق ســنة ١٢٨٢م. / ١٨٦٦م. مــن كتبــه: منتخــب التوســلات والأوراد المأثــورة، دلائــل التوحيــد. كــما قــدّم رشــيد رضــا مقدمــة لكتابــه قواعــد التحديــث. كتــب الشــيخ محمــد نــاصر العجمــي عــن عائلــة القاســمي بعنــوان آل القاســمي ونبوغهــم في العلــم والتحصيــل، حيــث ترجــم فيــه لجــده وأبيــه وأعمامــه وأبنائهــم. انظــر: مجلــة البيــان..

والسيد رشيد رضا(٢٣)، والشيخ محمود شلتوت(٢٤)، والشيخ حسنين مخلوف(٢٥)(٢٦).

أدلة القول الأول:

أن المراد من سبيل الله عند الإطلاق هو الغزو، وأكثر ما جاء في القرآن هو من ذلك(٢٧).

الحديث: «لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: لغازٍ في سبيل الله، أو لعاملٍ عليها، أو لغارمٍ، أو لرجل اشتراها بماله، أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين، فأهداها المسكين للغني» (٢٨).

وجه الدلالة: لأن سبيل الله عند الإطلاق إنما ينصرف إلى الجهاد، فإن كل ما في القرآن من ذكر سبيل الله إنما أريد به الجهاد إلا اليسير، فيجب أن يحمل ما في آية الزكاة على ذلك (٢٩).

أدلة القول الثاني:

الحديث: خرج أبو معقل حاجًّا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فلما قَدِمَ قالت أم معقل: قد علمت أن عَلَيّ حِجَّة، فانطلقا يمشيان حتى دخلا عليه، فقالت: يا رسول

(٢٣) السيد محمد رشيد رضا: ولد في قرية القلمون (جنوبي طرابلس الشام - لبنان، وسافر إلى مصر سنة ١٨٩٨، حيث اتصل بالشيخ محمد عبده والتحق بالأزهر سنة ١٨٩٩. مارس التدريس في الجامع الكبير بطرابلس وجامع البشوية في بيروت.أصدر في القاهرة مجلة المنار للرد على المتحاملين على الإسلام. من مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم المشهور بـ تفسير المنار، و شبهات النصارى وحجج الإسلام. المصدر: خيرالدين الزركلي، الأعلام، ١٢٦/٦..

(٢٤) (٦ الشيخ محمود شلتوت (١٣١٠م. - ١٣٨٣م. / ١٨٩٣م - ١٩٦٣م: عالم إسلامي مصري وشيخ الجامع الأزهر (١٩٥٨-١٩٦٣م. نال إجازة العالمية سنة ١٩١٨م، وعُيّن وكيلاً لكلية الشريعة، ثم عضواً في جماعة كبار العلماء، ثم شيخاً للأزهر سنة ١٩٥٨م. كما كان عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٦م، وكان أول حامل للقب الإمام الأكبر. ولد في محافظة البحيرة سنة ١٨٩٣. من مؤلفاته: فقه القرآن والسنة، مقارنة المذاهب. المصدر: القرضاوي، شلتوت لم يفتي بجواز التعبد بالمذهب الجعفري، ١٣٨٣م. - ١٩٦٣م، وموقع ويكيبيديا: المصدر..

(٢٥) الشيخ حسنين مخلوف: من كبار علماء الأزهر، ولد سنة ١٣٠٧م. / ١٨٩٠م، وتفقه على مذهب المالكية. درس في الأزهر، ثم التحق بسلك القضاء قاضيًا شرعيًا حتى سنة ١٩٥٠م. من كتبه: كلمات القرآن تفسير وبيان، حكم الشريعة في مأتم ليلة الأربعين. توفي سنة ١٩٩٠م. المصادر: محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨م. / ١٩٩٨م. محمد حسام الدين، فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف، مجلة الأزهر، السنة ٦٣، الجزء ٥، ١٤١١م. / ١٩٩٠م..

(٢٦) الكاساني: البدائع، ٧٣/٢. الرازي، التفسير الكبير، ٨٧/١٦. تفسير المنار، ٤٣١/١٠. الإسلام عقيدة وشريعة، ص ١٠٥. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤٠-٢٣٧. القرضاوي، فقه الزكاة، ص ٦٢٠-٦٢٦..

(٢٧) النووي: المجموع شرح المهذب ٢١٢/٦. إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي- القاهرة. عام النشر: ١٣٤٤ - ١٣٤٧م...

(٢٨) أبو داود، السنن في الزكاة، باب من يجوز له أخذ الزكاة وهو غني، برقم: (١٦٣٥، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام- الرياض، ١٤٢٩م.. مالك: الموطأ، ٢٦٨/١، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة ومن يجوز له أخذها، برقم: (٢٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٠٦م. - ١٩٨٥ م..

(٢٩) ابن قدامة: الشرح الكبير على متن المقنع ٧٠١/٢، عام النشر ١٤٠٣م. - ١٩٨٣ م، تصوير: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت.

اللـه، إنّ عَـلَيَّ حجـة، وإن لأبي معقـل بكـرًا، قـال أبـو معقـل: صدقـتِ، جعلتُـه في سـبيل اللـه، فقـال رسـول اللـه (صـلى اللـه عليـه وسـلم): «أَعْطِهَـا فلتحـج عليـه؛ فإنـه في سـبيل اللـه»(٣٠).

الآثـار الموقوفـة الدالـة عـلى أن الحـج مـن سـبيل اللـه، كالـذي ورد عـن ابـن عبـاس وابـن عمـر(٣١).

أدلة القول الثالث:

أن اللفـظ عـام، فـلا يجـوز قـصره عـلى بعـض أفـراده إلا بدليـل صحيـح، ولا دليـل عـلى ذلـك(٣٢).

أنه لا يعرف لكلمة «سبيل الله» في القرآن معنى غير البر العام، والخير الشامل(٣٣).

أن النبـي (صـلى اللـه عليـه وسـلم) ودى صحابيًّـا لم يعـرف قاتلـه مـن إبـل الصدقـة، كـما جـاء في الحديـث: "أَنَّ نَفَـرًا مِـن قَوْمِـه انْطَلَقُـوا إلى خَيْـبَرَ، فَتَفَرَّقُـوا فِيهَـا، ووَجَـدُوا أَحَدَهُـمْ قَتِيـلاً، وقالـوا لِلَّـذِي وُجِـدَ فيهـم: قـدْ قَتَلْتُـمْ صَاحِبَنَـا، قالـوا: مـا قَتَلْنَـا ولاَ عَلِمْنَـا قَاتِـلاً، فَانْطَلَقُـوا إلى النبـيِّ (صَـلَّى اللَّـهُ عليـه وسـلَّمَ)، فَقالـوا: يـا رَسـولَ اللَّـه، انْطَلَقْنَـا إلى خَيْـبَرَ، فَوَجَدْنَـا أَحَدَنَـا قَتِيـلاً، فَقَـالَ: الكُـبْرَ الكُـبْرَ فَقـالَ لهـمْ: تَأْتُـونَ بالبَيِّنَـة عـلَى مَـن قَتَلَـهُ قالـوا: مـا لَنَـا بَيِّنَـةٌ، قـالَ: فَيَحْلِفُـونَ قالـوا: لا نَـرْضَى بأَيْمَـانِ اليَهُـودِ، فَكَـرِهَ رَسـولُ اللَّـهِ صَـلَّى اللـهُ عليـه وسـلَّمَ أَنْ يُبْطِـلَ دَمَـهُ، فَـوَدَاهُ مِئَـةً مِـن إبِـلِ الصَّدَقَـةِ»(٣٤).

ووجـه الدلالـة: أنـه إذا جـاز دفـع الـزكاة في ديـة قتيـل دَفْعًـا للنـزاع، أي مـن أجـل المحافظـة عـلى الأمـن الاجتماعـي، فمـن بـابٍ أولى جـوازُ صرفهـا للمحافظـة عـلى رعايـة مصالحهـم العامـة.

أدلة القول الرابع:

أن إرادة المعنـى الخـاص، وهـو الجهـاد ومـا كان في معنـاه، هـو الظاهـر مـن أسـلوب الحـصر في آيـة الصدقـات. فالتعميـم يشـمل جهـات كثـيرة، وهـذا ينـافي أسـلوب حـصر المصـارف في ثمانيـة أصنـاف(٣٥).

---

(٣٠) أبـو داود، السـنن في المناسـك، بـاب العمـرة، برقـم: (١٩٨٨. أحمـد: المسـند، مسـند النسـاء، ٤٥/ ٧١، برقـم: (٢٧١٠٧، المحقـق: شـعيب الأرنـؤوط، مؤسسـة الرسـالة، الطبعـة الأ///ولى، ١٤٢١م. - ٢٠٠١ م. والحديـث ضعيـف، يُنظـر: المجمـوع ٢١٢/٦..

(٣١) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ص ٧٢٣-٧٢٤، تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦م...

(٣٢) سعود الفنيسان: مصرف وفي سبيل الله بين العموم والخصوص، ص ٥٢، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤م...

(٣٣) يُنظر: شلتوت: تفسير القرآن، ص ٦٥١.

(٣٤) البخـاري، الصحيـح في الديـات، بـاب القسـامة، برقـم: (٦٨٩٨، موسـوعة الحديـث الشريـف، الكتـب السـتة، دار السـلام- الريـاض، ١٤٢٩م.. ومسـلم، الصحيـح في القسـامة، بـاب القسـامة والمحاربـين والقصـاص والديـات، برقـم: (١٦٦٩. موسـوعة الحديـث الشريـف، الكتـب السـتة، دار السـلام- الريـاض، ١٤٢٩م...

(٣٥) يوسف القرضاوي: فقه الزكاة، ص ٦٢٧..

أن الجهاد في الإسلام لا ينحصر في الغزو الحربي والقتال بالسيف، فقد صح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه سئل: أي الجهاد أفضل؟ فقال: «كلمة حق عند سلطان جائر»(٣٦).

وقال (صلى الله عليه وسلم): «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»(٣٧).

أن الدعوة إلى الله لو لم تكن داخلة في معنى الجهاد بالنص، لوجب إلحاقها بالقياس؛ فكلاهما يُراد به نصرة دين الله والدفاع عنه، ومقاومة أعدائه، وإعلاء كلمته.

فلا عجب أن نلحق بالجهاد - بمعنى القتال - كل ما يؤدي غرضه، ويقوم بمهمته من قول أو فعل؛ لأن العلة واحدة، وهي نصرة الإسلام(٣٨).

يصح صرف ذلك في كل ما كان طريقاً إلى الله عز وجل، هذا معنى الآية لغة، والواجب الوقوف على المعاني اللغوية حيث لم يصح النقل هنا شرعاً(٣٩).

قال ابن حجر(٤٠) في (الفتح): «وقد حمله بعضهم على ظاهره، فحكى القاضي عياض عن بعض العلماء جوازَ صرف الزكاة في المصالح العامة»(٤١).

المطلب الثاني: الترجيح

يترجح القول الرابع، ويشمل الغزو والحج والعمرة والدعوة إلى الله وكل أوجه الطاعات والقربات والمصالح العامة، للأسباب الآتية:

أصل دلالة كلمة (سبيل الله) في الشرع عامة لجميع أبواب الخير، ثم ما طرأ عليها التضييق بالجهاد أو الغزاة. قال ابن الأثير في النهاية: «وسبيل الله عام يقع على كل عمل

(٣٦) أبو داود: السنن في الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم: (٤٣٤٤. الترمذي: الجامع في الفتن، باب ما جاء في أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، برقم: (٢١٧٤. موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام- الرياض، ١٤٢٩م.. ابن ماجه: السنن في الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، برقم: (٤٠١١. موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام- الرياض، ١٤٢٩م...

(٣٧) أبو داود: السنن في الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، برقم: (٢٥٠٤. النسائي: السنن في الجهاد، باب وجوب الجهاد، برقم: (٣٠٩٨. موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة، دار السلام- الرياض، ١٤٢٩م...

(٣٨) القرضاوي: فقه الزكاة، ص ٦٢٧..

(٣٩) الروضة الندية شرح الدرر البهية: صديق حسن خان، ٢٠٦/١، دار ابن عفان، القاهرة، ١٩٩٩م، الطبعة الأولى، تحقيق علي حسين الحلبي، وطبعة دار المعرفة أيضاً. سعود الفنيسان: مصرف في سبيل الله بين العموم والخصوص (٣٨..

(٤٠) ابن حجر: أحمد بن علي، من أئمة العلم، أصله من عسقلان بفلسطين، وُلِد بالقاهرة، تولّى قضاء مصر مرات ثم اعتزل. من تصانيفه: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة وفتح الباري شرح صحيح البخاري. توفي سنة ٨٥٢م.. المصدر: السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٣٦/٢، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ط، د.ت..

(٤١) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٢٣٥/١٢، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م.. القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، شيخ الإسلام، وُلِد سنة ٤٧٦م.. من مؤلفاته: ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك، والشفا في شرف المصطفى. تُوفي سنة ٥٤٤م.. المصدر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢١٢/٢٠..

خالص سلك به طريق التقرب إلى الله تعالى بأداء الفرائض والنوافل وأنواع التطوعات، وإذا أطلق فهو في الغالب واقع على الجهاد، حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه»(٤٢).

أن جميع الآيات التي ذكر فيها سبيل الله مقيداً بالجهاد بالنفس، ذكر معها الجهاد بالمال، مما يفيد توسيع مفهوم الجهاد في سبيل الله بما هو أعم من الغزو(٤٣).

كما جاء إطلاق الجهاد في النصوص بما هو أوسع من الغزو، في مثل قوله تعالى: {وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيراً} (٤٤).

وقد صدر تأييدًا لهذا القول قرارٌ من المجمع الفقهي الإسلامي بمكة، بما يلي:

«وبعد تداول الرأي ومناقشة أدلة الفريقين قرر المجلس بالأكثرية ما يلي:

نظرًا إلى أن القول الثاني قد قال به طائفة من علماء المسلمين، وأن له حظا من النظر في بعض الآيات الكريمة مثل قوله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٤٥).

ومن الأحاديث الشريفة، مثل ما جاء في سنن أبي داود أن رجلا جعل ناقة في سبيل الله فأرادت امرأته الحج فقال لها النبي (صلى الله عليه وسلم): «اركبيها فإن الحج في سبيل الله».

ونظرًا إلى أن القصد من الجهاد بالسلاح هو إعلاء كلمة الله تعالى، وأن إعلاء كلمة الله تعالى كما يكون بالقتال يكون بالدعوة إلى الله تعالى ونشر دينه، بإعداد الدعاة، ودعمهم، ومساعدتهم على أداء مهمتهم، فيكون كِلاَ الأمرين جهادًا؛ لما روى أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: {جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم».

ونظرا إلى أن الإسلام مُحَارَبٌ بالغزو الفكري والعقدي من الملاحدة واليهود والنصارى وسائر أعداء الدين، وأنّ لهؤلاء مَن يدعمهم الدعمَ المادي والمعنوي، فإنه يتعين على المسلمين أن يقابلوهم بمثل السلاح الذي يغزون به الإسلامَ، وبما هو أنكى منه.

ونظرًا إلى أن الحروب في البلاد الإسلامية أصبح لها وزارات خاصة بها، ولها بنود مالية في ميزانية كل دولة، بخلاف الجهاد بالدعوة، فإنه لا يوجد له في ميزانيات غالب الدول

---

(٤٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/٣٣٨-٣٣٩، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩م. - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي. ابن الأثير: محمد بن محمد الشيباني، وُلِد بجزيرة ابن عمر سنة ٥٤٤م.، وله مصنفات بديعة ورسائل وسيعة، منها: النهاية في غريب الحديث، والإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في تفسير القرآن الكريم. تُوفي بالموصل سنة ٦٠٦م.. المصدر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٥/٨٨٩، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م..

(٤٣) مصرف {وفي سبيل الله} بين العموم والخصوص، ص٢٠..

(٤٤) سورة الفرقان، الآية ٥٢..

(٤٥) (١ سورة البقرة: الآية:٢٦٢..

مساعدة ولا عون. لذلك كله فإن المجلس يقرر – بالأكثرية المطلقة – دخول الدعوة إلى الله تعالى وما يُعِين عليها ويدعم أعمالها في معنى: {وَفِي سَبِيلِ اللهِ} (٤٦) في الآية الكريمة.

كما صدرت بذلك الخصوص فتوى الندوة الأولى لقضايا الزكاة المعاصرة في مصرف في سبيل الله على النحو التالي(٤٧)(٤٨).

وفي سنة ثمان وعشرين بعث صاحب مصر بمال لينفق على نهر الكوفة إن أذن الخليفة العباسي في ذلك، فجمع القائم بالله الفقهاء، وسألهم عن هذا المال، فأفتوا بأن هذا فيء للمسلمين يصرف في مصالحهم، فأذن في صرفه في مصالح المسلمين(٤٩).

وخلاصة القول: تركت جائحة كورونا آثاراً بشعة على كل الأصعدة فقد تضرر الاقتصاد العالمي أيما تضرر، وتبع ذلك خسائر مادية ضخمة على صعيد الشركات والأفراد والمستأجرين وغير ذلك كثير من المصالح العامة مما يجعل للمتضررين حظاً وافراً من مال الزكاة ومن سهم في سبيل الله بالتحديد.

المبحث الثالث: حكم تعجيل الزكاة لمعالجة آثار كورونا والمصابين

المطلب الأول: حكم تعجيل الزكاة لمعالجة آثار كورونا

اختلف الفقهاء في تعجيل الزكاة التجارية الحولية بعد بلوغ النصاب، على قولين:

القول الأول: جواز تعجيل الزَّكاة: وذهب إليه أبو حنيفة والشافعي وأحمد(٥٠)وإسحاق(٥١)

(٤٦) (٢ سورة التوبة (٦٠..

(٤٧) القرار الرابع بشأن جمع وتقسيم الزكاة والعشر في باكستان في الدورة الثامنة من العدد ٣ (ص ٢١١، قرار (٤..

(٤٨) عبد الله بن منصور الغفيل. نوازل الزكاة دراسة فقهية تأصيلية لمستجدات الزكاة، ص ٤٤٦. الناشر: دار الميمان للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، القاهرة - الطبعة: الأولى، ١٤٣٠م. - ٢٠٠٩ م..

(٤٩) جلال الدين السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ٢/٢٨٦، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة: الأولى ١٣٨٧م. - ١٩٦٧م.

(٥٠) الكاساني: بدائع الصنائع (٢/٥٠، السرخسي: المبسوط (٢/١٧٦، مطبعة السعادة – مصر د ت. ابن قدامة: المغني (٢/٤٧٠، مكتبة القاهرة الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م - ١٩٦٩ م. البهوتي: كشاف القناع (٥/١٠٠، وزارة العدل في السعودية الطبعة: الأولى، (٢٠٠٠ - ٢٠٠٨ م. النووي: روضة الطالبين (٢/٢١٢، الشربيني: مغني المحتاج (٢/١٣٢، حققه وعلّق عليه: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥م. - ١٩٩٤ م. ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٤/٥٩-٦٠، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧م...

(٥١) إسحاق بن راهويه: الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفّاظ، وُلِدَ في سنة ١٦٣. عن الإمام أحمد قال: «لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظيراً». قال الحاكم: «إسحاق بن راهويه إمام عصره في الحفظ والفتوى». سكن نيسابور، وتوفي بها سنة ٢٣٣م.. الذهبي: سير أعلام النبلاء ١١/٣٥٨..

والأوزاعـي(٥٢) وأبـو عبيـد(٥٣) وابن شـبرمة(٥٤).

القول الثاني: المنع من تقديم الزكاة، وهو مذهب مالك(٥٥)، وقول ربيعة(٥٦) والظاهرية(٥٧).

أدلة القول الأول:

الحديـث: أن العبـاس سـأل رسـول اللـه (صـلى اللـه عليـه وسـلم) في تعجيـل زكاتـه، قبـل أن يحـول الحـول، مسـارعة إلى الخـير، فـأذن لـه في ذلـك(٥٨).

قـال الشـافعي: أن للـه تبـارك وتعـالى حقـاً عـلى العبـاد في أنفسـهم وأموالهـم: فالحـق الـذي في أموالهـم إذا قدَّمـوه قبـل محلّـه: أجزأهـم وأيّـده بذكـر صـور مـن تقديـم الشريعـة لبعـض الواجبات، واسـتدل بتقديـم ابـن عمـر لـزكاة الفطـر: «وَكَانُـوا يُعْطُـونَ قَبْـلَ الْفِطْـرِ بِيَـوْمٍ أَوْ يَوْمَـيْنِ»(٥٩).

القيـاس: الماليـة قبـل تمـام شروط وجوبهـا، كالمتـاع قبـل السَّراح، والكفَّـارة قبـل الحِنْـث، ومثلهـا الزكاة(٦٠).والقيـاس عـلى جـواز تعجيـل قضـاء الديـن قبـل حلـول الأجـل، وأداء كفـارة اليمـين بعـد الحلـف وقبـل الحنـث، وكفـارة القتـل بعـد الجـرح قبـل الزهـوق.

واسـتدل أيضـاً بالحديـث: استسـلَفَ رسـولُ اللَّـه (صـلَّى اللَّـهُ عليـهِ وسـلَّمَ) بَكْـراً، فجاءتـهُ إبـلٌ مـنَ الصَّدقـة، قـالَ أبـو رافـعٍ: فأمـرَني رسـولُ اللَّـه صـلَّى اللَّـهُ عليـه وسـلَّمَ أن أقـضيَ الرَّجـلَ بَكْـرَهُ، فقلـتُ: لا أجـدُ في الإبـلِ إلَّا جمـلاً خِيـارًا رباعيًـا، فقـالَ رسـولُ اللَّـهِ (صـلَّى اللَّـهُ عليـهِ

---

(٥٢) الأوزاعـي: عبـد الرحمـن بـن عمـرو بـن يُحمـد، شـيخ الإسـلام، وعـالم أهـل الشـام. قيـل: كان مولـده في بعلبـك سـنة ٨٨م.، في حياة الصحابـة. ثـم تحـول إلى بـيروت مرابطًـا بهـا حتـى تـوفي سـنة ١٥٧م.. احترقـت كتبـه زمـن الرجفـة. عـن مالـك قـال: «الأوزاعـي إمـام يُقتـدى بـه». الذهبـي: سـير أعـلام النبـلاء ١٠٧/٧..

(٥٣) أبـو عبيـد: القاسـم بـن سـلام بـن عبـد اللـه، إمـام، حافـظ، مجتهـد، ذو الفنـون. مولـده سـنة ١٥٥هـ. وهـو مـن أئمـة الاجتهـاد. لـه: كتـاب الأمـوال، وكتـاب الغريـب، وكتـاب فضائـل القـرآن، وكتـاب الطهـور، وكتـاب الناسـخ والمنسـوخ. تـوفي سـنة ٢٢٤هـ. الذهبـي: سـير أعـلام النبـلاء ٤٩٠/١٠.

(٥٤) عبـد اللـه بـن شـبرمة: الإمـام العلامـة فقيـه العـراق، قـاضي الكوفـة. كان ومغـيرة والحـارث العـكلي يسـهرون في الفقـه. تـوفي سـنة ١٤٤هـ. الذهبـي: سـير أعـلام النبـلاء ٣٤٨/٦.

(٥٥) ابـن عبـد الـبر: التمهيـد (٤/٥٩-٦٠. ابـن رشـد: بدايـة المجتهـد ونهايـة المقتصـد (٣٦/٢، دار الحديـث – القاهـرة، تاريـخ النـشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. القـاضي عبـد الوهـاب: الإشراف عـلى نكـت مسـائل الخـلاف، ٣٨٦/١، طبعـة دار ابن حـزم، ط ١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩. اللخمـي: التبـصرة ٩٤٢/٣، طبعـة وزارة الأوقـاف والشـؤون الإسـلامية، قطـر، ط١، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١..

(٥٦) ربيعـة الـرأي: ربيعـة بـن أبي عبـد الرحمـن فـروخ، الإمـام، مفتـي المدينـة، وعـالم الوقـت أبـو عثـمان، كان مـن أئمـة الاجتهـاد، ومـن أوعيـة العلـم. الذهبـي: سـير أعـلام النبـلاء ٩٠/٦ ومـا بعدهـا..

(٥٧) ابن حزم: المحلى بالآثار ٢١١/٤، المحقق: عبدالغفار سليمان البنداري، دار الفكر - بيروت، د. ت.

(٥٨) أبـو داود: السـنن في الـزكاة، بـاب في تعجيـل الـزكاة، رقـم: (١٦٢٤، والترمـذي: الجامـع في الـزكاة، بـاب مـا جـاء في تعجيـل الـزكاة، رقـم: (٦٧٨، وابـن ماجـه: السـنن في الـزكاة، بـاب تعجيـل الـزكاة قبـل محلهـا، رقـم: (١٧٩٥، وضعفـه أحمـد، وقـال: ليـس بـشيء، القـرافي: الذخـيرة ١٣٧/٣.

(٥٩) الشافعي: الأم ٦٧/٧-٦٦. البخاري: الصحيح في الزكاة، باب صدقة الفطر على الحر والمملوك، رقم: (١٥١١..

(٦٠) الشافعي: الأم ٦٧/٧..

وسلَّمَ): «أعطه إياه فإن خيار الناس أحسنهم قضاءً»(٦١).

وقال الخطابي(٦٢): الأجل إذا دخل في الشيء رفقاً بالإنسان؛ فإن له أن يسوس من حقه ويترك الارتفاق به، كمن عجل حقاً مؤجلا لآدمي، وكمن أدى زكاة مال غائب عنه، وإن كان على غير يقين من وجوبها عليه، لأن من الجائز أن يكون ذلك المال تالفاً في ذلك الوقت(٦٣).

ولكن نصّ الحنابلة: على أن أداءها حين وجوبها أفضل، خروجا من الخلاف. وجماهيرهم: أن ما لا يشترط فيه الحول لا يجوز تعجيله، خلافاً لبعض الشافعية في العشر.

ونص الشافعية والحنابلة في الخارج من الأرض أنه يشترط أن يكون التعجيل بعد نبات الزرع وطلوع الطلع في النخل، لأنه إن عجل قبل عجله على سببه، فلم يجز، كمن يقدم زكاة المال على النصاب(٦٤).

أدلة القول الثاني: الحديث: «لا زكاة على مال حتى يحول عليه الحول»(٦٥)، وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من استفاد مالاً فلا زكاة فيه حتى يحول عليه الحول عند ربه»، قال الترمذي: وقد روي موقوفا على ابن عمر(٦٦).

وجه الدلالة:

أن للزكاة وقتاً، فلا يجوز تقديم العبادة عن وقتها، مثل غيرها من العبادات، واستدل مالك أيضاً: بأن الذي أدّاها قبل أنْ يتقارب ذلك بمنزلة الذي يصلِّي الظهر قبل أن تزول الشمس(٦٧).

(٦١) مسلم: الصحيح في المساقاة، باب جواز اقتراض الحيوان واستحباب توفيته خيراً مما عليه، رقم (١٦٠٠، وانظر الماوردي: الحاوي الكبير ٣/١٥٩. المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

(٦٢) الخطابي: الإمام العلامة، الحافظ اللغوي، أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف، ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة، له شرح الأسماء الحسنى وكتاب: الغنية عن الكلام وأهله، وغير ذلك، توفي الخطابي ببست في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٧/٢٣. المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م. (٢/٥٤).

(٦٣) الخطابي: معالم السنن.

(٦٤) المرداوي: الشرح الكبير المطبوع مع المقنع والإنصاف، ١٩٠/٧، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي - د عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م. البهوتي: كشاف القناع (١٠٤/٥)..

(٦٥) الترمذي: الجامع في الزكاة، باب ما جاء لا زكاة على المال حتى يحول عليه الحول، رقم: (٦٣٢، أبو داود: السنن في الزكاة، باب في الزكاة السائمة، رقم: (١٥٧٣، ابن ماجه: السنن في الزكاة، باب من استفاد مالاً، رقم: (١٧٩٢)..

(٦٦) الترمذي: الجامع في الزكاة، باب ما جاء لا زكاة على المال حتى يحول عليه الحول، رقم: (٦٣٢)..

(٦٧) المدونة ١/٣٣٥، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)..

المطلب الثاني: المناقشة

حديث {من استفاد مالاً فلا زكاة فيه حتى يحول عليه الحول} قال الترمذي: وقد روي موقوفاً على ابن عمر.

جوّز المالكية: تقديم زكاة العين والماشية بزمن يسير كشهر مع الكراهة(٦٨)، في تقديم الزكاة عن وقتها مصلحة للمتضررين بجائحة كورونا وهي تختلف عن العبادة كالصلاة التي هي مؤقتة بوقت محدد، فالهدف من هذه خاص، ومن الزكاة عام فيختلفان.

قرار مجمع الفقه والترجيح: أجاز مجمع الفقه الإسلامي تعجيل الزكاة من أجل التعويض على أضرار فيروس كورونا وهم الفقهاء المعاصرون. وهذا قرار مجمع الفقه الإسلامي القائل: يجوز تعجيل الزكاة لعام أو عامين بسبب جائحة كورونا مع كون المال بلغ نصاباً، وكذا يجوز تأخيرها بشروط ضيقة في حال تعذر وصول المال حقيقة أو حكما، أو القدرة على تحويله للمستحق(٦٩).

الترجيح:

يترجح جواز تعجيل الزكاة لعام أو عامين مع كون المال بلغ نصاباً نظراً لقوة أدلة القائلين به، وبسبب جائحة كورونا التي تجعلنا نقدم المصلحة العامة والراجحة وهي معالجة آثار هذه الجائحة.

الفصل الثاني: الإنفاق على مرضى كورونا وعلى المستشفيات التي تعالجهم

المبحث الأول: الإنفاق على مرضى كورونا من الزكاة

المطلب الأول: آراء الفقهاء المعاصرين

اجتهدت المؤسسات العلمية في العالم الإسلامي لإصدار الفتوى المناسبة في حكم الحالة المذكورة، واختلفت استنباطاتهم في تكييف الحكم من أجل الوصول إلى القرار الموافق لمقاصد التشريع الإسلامي. نذكر بعض الفتاوى، وهي تبيح الإنفاق على المرضى والمستشفيات.

١ - مجمع الفقه الإسلامي:

(٦٨) القرافي: الذخيرة ٣/١٣٧..

(٦٩) توصيات الندوة الطبية الفقهية الثانية لهذا العام، والتي عقدت عبر تقنية مؤتمرات الفيديو يوم ١٦ ابريل ٢٠٢٠، تحت عنوان «فيروس كورونا المستجد (كوفيد ـــ ١٩ وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية..

أ- يجوز الصرف من الزكاة في تكاليف علاج من أصيب بمرض كورونا إذا كان فقيراً.

ب- لا يجوز صرف أموال الزكاة مباشرة للجهات الرسمية لتأجير المحاجر الصحية.

جـ - المنقطع الذي ليس له ما يرجع به إلى بلده بسبب الإجراءات الاحترازية لمكافحة الفيروس فإنه يعطى من الزكاة قدر ما يصل به إلى بلده ولو كان ذا يسار في بلده(٧٠).

٢ - دار الإفتاء المصرية:

جاء في أجوبة دار الإفتاء المصرية جواز دفع الزكاة إلى المستشفيات التي جرى العرف أنها تعالج المرضى الفقراء مجاناً، لاسيما الزكاة للمصابين بكورونا. وبنوا الفتوى على أن الزكاة تمليك للفقراء لسد حاجتهم، ولا شك أن الحاجة للدواء حاجة ملحة؛ فلا حرج أن نعطي من الزكاة ما يرفع هذه الحاجة.

كما بنوها على قول جمع من الفقهاء الذين أجازوا صرف الزكاة إلى جميع وجوه الخير من المصالح العامة، والتي لا يختص بالانتفاع بها شخص محدد، كالمستشفيات الحكومية التي يلجأ إليها المرضى الفقراء وذوي الدخل المحدود؛ وذلك تفسيراً لقوله تعالى: في مصارف الزكاة {وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ} (٧١)(٧٢).

تقول دار الإفتاء: يجوز صرف الزكاة في دعم المستشفيات المجانية بما يرجع بشكل مباشر في علاج فقراء المرضى إلا كالأجهزة الطبية والأدوية والمستلزمات والأسرة .. عملاً بقول بعض العلماء الذين جعلوا مصرف (وفي سبيل الله) مجالاً للتوسع في صرف الزكاة في كل القرب وسبل الخير ومصالح الناس عند الحاجة إلى ذلك(٧٣).

٣ - المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث:

أجاز المجلس دفع زكاة المال أو زكاة الفطر للمستشفيات في ظل أزمة كورونا، وبنى هذا الفتوى على مبدأ التعاون على البر المطلوب شرعاً من المسلمين، فقال: «ودعم المستشفيات هو ضرب من ضروب التعاون على البرّ ومن صور فعل الخير، ويمكن أن يكون ذلك كلّه من مال الصدقة التي تعدّ من الحقوق الواجبة في المال، علماً بأنّه لا حدَّ للصدقة، حيث يمكن للمرء أن يتصدّق بما يزيد على مقدار الزكاة الواجبة، شريطة ألّا يؤدّي ذلك إلى الإخلال بحاجات من يعولهم من أهله»(٧٤). (١).

(٧٠) مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي توصيات الندوة الطبية الفقهية الثانية لهذا العام، والتي عقدت عبر تقنية مؤتمرات الفيديو يوم ١٦ إبريل ٢٠٢٠، تحت عنوان «فيروس كورونا المستجد (كوفيد ـــ ١٩ وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية».

(٧١) سورة التوبة: الآية ٦٠.

(٧٢) المفتي د. علي جمعة رقم الفتوى ٢٢٤٢، www.dar-alifta.org/ar/fatawa/A9.

(٧٣) المفتي د. علي جمعة رقم الفتوى ٢٢٤٢، www.dar-alifta.org/ar/fatawa/A9.

(٧٤) البيان الختامي للجلسة التكميليّة للدورة الطارئة الثلاثين للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث المنعقدة بتقنية التواصل

ولعل ما أدلى به الدكتور خالد حنفي – الأمين العام المساعد للمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث – في تصريحاته للجزيرة مباشر، يفيدنا في تفسير البيان الرسمي من مجلس الإفتاء الأوروبي، فقد قال حنفي: «الرأي الذي نرجحه هو جواز إعطاء غير المسلم من الزكاة، فإذا كانت المستشفى قاصرة على الفقراء من المسلمين وغير المسلمين جاز دفع الزكاة لها.» كفاية المحتاجين في الزكاة في النموذجين السابقين كان أحد مبررات دفع الزكاة للمصابين بكورونا أن الحاجة القائمة تهدد حياة العالم – جائحة كورونا – ويلزم تقديم العون والمساعدة للحد منه، كل حسب طاقته(٧٥). (٢).

فهذه أكبر المؤسسات الفقهية في العالم الإسلامي والتي تمارس الإجتهاد الجماعي تبيح دفع الزكاة لعلاج المرضى الفقراء في المستشفيات، وللمستشفى نفسه. وبناء على ذلك: يجوز دفع الزكاة لعلاج المرضى بكورونا وعلى المستشفيات التي تعالجهم.

المطلب الثاني: الكفاية للفقراء من أموال الزكاة

هذه نبذة من آراء الفقهاء تبين المقدار الذي يُعطى للفقير والمسكين من مال الزكاة، ليتبين إن كان المريض بكورونا يحق له الأخذ من مال الزكاة لينفقه على العلاج أم لا؟ اختلف الفقهاء في ذلك على أقوال ثلاثة:

القول الأول: إعطاء الفقير والمسكين من الزكاة أقل من النصاب - مائتي درهم - فإن أعطي قدره أو أكثر جاز مع الكراهة، وهو المذهب عند الحنفية(٧٦).

القول الثاني: إعطاء الفقير والمسكين من الزكاة ما يكفيهما ويكفي من يعولون سنة كاملة، وهو مذهب المالكية(٧٧)، وقول للشافعية(٧٨)، ومذهب الحنابلة(٧٩).

القول الثالث: إعطاء الفقير والمسكين من الزكاة ما تحصل به الكفاية على الدوام، وهو

(نيسان ٢٠٢٠ الشبكي شعبان ١٤٤١هـ (www.e-cfr.org/blog/2020/04/17.

(٧٥) الزكاة للمصابين بكورونا، نظرة في أقوال الفقهاء - إسلام أون لاين (https://islamonline.ne.

(٧٦) الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: ٢/ ٤٨.

(٧٧) الحطاب: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ٢/ ٣٤٣، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ. شرح مختصر خليل، لمحمد بن عبد الله الخرشي، دار الفكر، ٢/ ٢١٥.

(٧٨) النووي: المجموع شرح المهذب، دار الإرشاد، تحقيق وإكمال محمد نجيب المطيعي ٦/ ١٧٥، تحفة المحتاج في شرح المنهاج ٧/ ١٦٤، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، د ط، عام: ١٣٥٧هـ/ ١٩٨٣م..

(٧٩) البهوتي: شرح منتهى الإرادات المسمى: ١/ ٤٥٣، عالم الكتب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
منصور البهوتي: كشاف القناع على متن الإقناع ٢/ ٢٨٤، دار الفكر، بيروت، لبنان سنة ١٤٠٢هـ.

المذهب لدى الشافعية(٨٠)، ورواية عند الحنابلة، ورجحه ابن تيمية(٨١)، وهو قرار فتاوى وتوصيات الندوة الثامنة، لقضايا الزكاة المعاصرة المنعقدة في قطر(٨٢).

دليل القول الأول: أن إعطاء الفقير نصاباً أو أكثر يصيره غنياً(٨٣)(٨٤).

دليل القول الثاني: أن وجوب الزكاة يتكرر كل حَوْل، فينبغي أن يأخذ ما يكفيه إلى مثل.

أدلة القول الثالث: استدلوا بحديث قبيصة بن المخارق (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «يا قَبيصةُ، إنَّ المَسألةَ لا تَحِلُّ إلَّا لأحَدِ ثلاثةٍ: رجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالةً فحَلَّتْ له المَسألةُ، فسألَ حتى يُصيبَها، أو يُمسِكَ. ورجُلٍ أصابَتْه جائحةٌ فاجتاحَتْ مالَه، فحَلَّتْ له المَسألةُ، فسألَ حتى يُصيبَ قِوامًا مِن عَيشٍ، أو قال: سِدادًا مِن عَيشٍ. ورجُلٍ أصابَتْه فاقةٌ حتى يقولَ ثلاثةٌ مِن ذَوي الحِجا مِن قَومِه: لقد أصابَتْ فُلانًا الفاقةُ، فقد حَلَّتْ له المَسألةُ، فسألَ حتى يُصيبَ قِوامًا أو سِدادًا مِن عَيشٍ، ثمَّ يُمسِك. أما ما سِواهنَّ من المَسألةِ يا قَبيصةُ، سُحتٌ، يأكُلُها صاحِبُها سُحتًا»(٨٥).

ووجه الدلالة: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أجاز المسألة للمحتاج حتى يصيب ما يسد حاجته، فدل على إعطائه ما تحصل به الكفاية على الدوام(٨٦). أن القصد إغناؤه من الفقر، ولا يحصل إلا بذلك(٨٧).

مناقشة قول الحنفية: أن إعطاء الفقير نصاباً أو أكثر يصيره غنياً: يناقش: بعدم التسليم بحصول الإغناء بهذا المقدار، ثم لو حصل فإنه لا يتحقق غناه إلا بعد القبض، وأما قبله فهو فقير، ولا مانع من إغنائه عن الفقر من الزكاة(٨٨).

مناقشة قول المالكية والحنابلة: أن وجوب الزكاة يتكرر كل حَوْل، فينبغي أن يأخذ ما

---

(٨٠) الشربيني: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ٤/ ١٨٦. قال النووي في المجموع ٦/ ١٩١: قال أصحابنا: والمعتبر في قولنا يقع موقعا من كفايته: المطعم والملبس والمسكن، وسائر ما لا بد منه على ما يليق بحاله، بغير إسراف ولا إقتار لنفس الشخص ولمن هو في نفقته. تحفة المحتاج في شرح المنهاج ٧/ ١٦٤.

(٨١) ينظر: المرداوي: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ٧/ ٢٥٦ (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير..

(٨٢) جاء في فتاوى وتوصيات ندوات قضايا الزكاة المعاصرة ما يلي: «يُقصد بالكفاية كل ما يحتاج إليه هو ومَن يعولهم من مطعم وملبس ومسكن وأثاث وعلاج وتعليم أولاده وكتب علم إن كان ذلك لازما لأمثاله وكل ما يليق به عادة من غير إسراف ولا تقتير». توصيات الندوة الثامنة، لقضايا الزكاة المعاصرة المنعقدة في قطر في الفترة من (٢٣-٢٦ ذو الحجة ١٤١٨ هـ/الموافق ٢٠-٢٣/ ٤/ ١٩٩٨ م تنظيم الهيئة الشرعية العالمية للزكاة..

(٨٣) بدائع الصنائع ٢/ ٤٨..

(٨٤) البهوتي: كشاف القناع عن متن الإقناع ٢/ ٢٨٤. راجعه وعلّق عليه: هلال مصيلحي مصطفى هلال، مكتبة النصر الحديثة بالرياض، الطبعة: د ت ط، وصَوّرتْها: دار الفكر ببيروت، ودار عالم الكتب ببيروت.

(٨٥) مسلم: الصحيح في الزكاة، باب من تحل له المسألة، رقم: (١٠٤٤.

(٨٦) النووي: المجموع ٦/ ١٧٥.

(٨٧) ابن حجر الهيثمي: تحفة المحتاج في شرح المنهاج ٧/ ١٦٤، المكتبة التجارية بمصر، د ط، عام: ١٣٥٧هـ/ ١٩٨٣م.

(٨٨) ينظر: بدائع الصنائع ٢/ ٤٨.

يكفيه. يُناقش: بأنه قد لا يتمكن من أخذ الزكاة كل حول، كما أن أخذه ما يكفيه من الزكاة يغنيه عن زكاة الأعوام القادمة، فيستفيد منها غيره من الفقراء(٨٩).

الترجيح: يترجح القول الثالث القائل بإعطاء الفقير والمسكين من الزكاة ما تحصل به الكفاية على الدوام، للأسباب التالية:

كان من سياسة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، أنه قال: (إذا أعطيتم فأغنوا) (٩٠).

يقول النووي: والمعتبر في قولنا يقع موقعاً من كفايته المطعم والملبس والمسكن وسائر ما لا بد له منه على ما يليق بحاله بغير إسراف ولا إقتار لنفس الشخص ولمن هو في نفقته(٩١).

وجاء في حاشية الدسوقي: يجوز أن يدفع من الزكاة للفقير في مرة واحدة من عين أو حرث أو ماشية كفاية سنة من نفقة وكسوة، وإن اتسع المال زيد العبد ومهر الزوجة(٩٢).

يقول الخطابي: الحد الذي ينتهي إليه العطاء في الصدقة هو الكفاية التي تكون بها قوام العيش وسداد الخلة، وذلك يعتبر في كل إنسان بقدر حاله ومعيشته ليس فيه حد معلوم يحمل عليه الناس كلهم مع اختلاف أحوالهم(٩٣).

قال في حاشية الروض المربع: «ومن تمام الكفاية ما يأخذه الفقير ليتزوج، إن لم يكن له زوجة، واحتاج إلى النكاح»(٩٤).

وجاء في فتاوى وتوصيات ندوات قضايا الزكاة المعاصرة ما يلي: «يُقصد بالكفاية كل ما يحتاج إليه هو ومَن يعولهم من مطعم وملبس ومسكن وأثاث وعلاج وتعليم أولاده وكتب علم إن كان ذلك لازماً لأمثاله، وكل ما يليق به عادة من غير إسراف ولا تقتير. وهو من أجود ما يكون في تعريف الكفاية»(٩٥).

---

(٨٩) الغفيلي: نوازل الزكاة ٣٥٨.

(٩٠) عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق: ٤/ ٤٤٩. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري ١/ ٣٩٤. أسنى المطالب في شرح روض الطالب ومعه حاشية الرملي الكبير، دار الكتاب الإسلامي، د ط، د ت..

(٩١) المجموع شرح المهذب (٦/ ١٩١. النووي: محي الدين يحيى بن شرف والنووي نسبة إلى مدينة في حران ولد سنة ٦٣١ هجري، ترك كماً من المؤلفات منها: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ورياض الصالحين، والأذكار وغيرها. توفي سنة ٦٧٦ هجري ودفن في نوى. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٦٥-١٦٦، دار المعرفة- بيروت، د.ت، النعيمي، عبد القادر: الدارس في تاريخ المدارس ٦/ ٣٦، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٠م.

(٩٢) الشيخ الدردير: الشرح الكبير وحاشية الدسوقي: دار الفكر، الطبعة: د. ط د. ت (١/ ٤٩٤..

(٩٣) الخطابي حمد بن محمد: معالم السنن وهو شرح سنن أبي داود (٢/ ٦٨..

(٩٤) عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي: حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع (٣/ ٣١١، الطبعة الأولى - ١٣٩٧ هـ..

(٩٥) من فتاوى وتوصيات الندوة الثامنة لقضايا الزكاة المعاصرة، المنعقدة في قطر في الفترة من (٢٣-٢٦ ذو الحجة ١٤١٨ هـ / الموافق ٢٠-٢٣/ ٤/ ١٩٩٨ م، بتنظيم الهيئة الشرعية العالمية للزكاة..

وخلاصة القول: أن دفع الزكاة لعلاج المصابين بمرض كورونا ليس أمراً طارئاً، ويوجد من آراء الفقهاء ما يدل على جوازه، ولا يتعارض مع الكفاية المعتبرة في القدر المحدد للفقير، لأن علاج الفقير يدخل في الكفاية.

المبحث الثاني: الإنفاق من مال الوقف على المستشفيات

المطلب الأول: حكم الإنفاق من مال الوقف على المستشفيات وأوقافها

قبل أن نبدأ بتبيان حكم الإنفاق من مال الوقف، لا بد أن نعرف الوقف لغة واصطلاحاً.

الوقف لغةً:

الوقف هو الحبس والمنع، ويُشتهر استعمال المصدر باسم المفعول، فيقال: هذه الدار وقف، أي موقوفة. وتَحبيسُ الشيءِ يعني أن يُبَقَّى أَصْلُهُ، ويُجْعَلَ ثَمَرُهُ في سَبيلِ اللهِ، وكلُّ مَا حُبِسَ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ يُعَدُّ حبيساً[٩٦].

الوقف اصطلاحاً:

اختلف الفقهاء في تعريف الوقف على أقوال عدة:

ذهب أبو حنيفة إلى أن الوقفَ هو حبسُ العين على حكم ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة ولو في الجملة، ومعناه بقاء العين على ملك الواقف، مع منعه من التصرف فيها[٩٧].

وذهب الصاحبان من الحنفية إلى أن الوقف: حبس الواقف العين الموقوفة على حكم ملك الله تعالى، على وجه تعود منفعته إلى العباد[٩٨].

وذهب المالكية إلى أن الوقف من حيث هو مصدر هو: إعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديراً، ومن حيث هو اسم ما أُعطيَت منفعته مدة وجوده[٩٩].

وعرَّفه الشافعية بأنه: حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود[١٠٠].

(٩٦) ابن منظور: لسان العرب (٦/ ٤٥، الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص٥٣٧. تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م..

(٩٧) الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه (٣/٣٥٧-٣٥٨، علي الفرغاني المرغيناني: الهداية شرح بداية المبتدي (٣/ ١٥. المحقق: طلال يوسف، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان..

(٩٨) الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه ٣/٣٥٧-٣٥٨، والهداية ٣/ ١٥..

(٩٩) محمد عليش: منح الجليل شرح مختصر خليل ٨/ ١٠٨، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م..

(١٠٠) محمد بن أحمد بن حمزة الرملي: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، ٥/ ٣٨٥، هـ-١٩٨٤م، الأنصاري: أسنى المطالب في شرح

وعرَّفه الحنابلة بأنه: هُوَ تَحْبِيسُ الْأَصْلِ وَتَسْبِيلُ الْمَنْفَعَةِ(١٠١).

التعريف المختار: هُوَ تَحْبِيسُ الْأَصْلِ وَتَسْبِيلُ الْمَنْفَعَةِ، وهو تعريف الحنابلة بسبب ما يتمتع به من الدقة والشمولية، وأنه جامع مانع.

المطلب الثاني: الإنفاق من مال الوقف على المستشفيات الموقوفة(١٠٢) أثناء الجوائح

اختلف الفقهاء في مسألة الإنفاق من مال الوقف على المستشفيات الموقوفة، على قولين:

القول الأول: يجوز بأمر الحاكم كدين يُرَد، وهو قول الحنفية(١٠٣)، وهو قول مجمع الفقه الإسلامي(١٠٤).

القول الثاني: الجواز

وهو وجه عند الحنفية(١٠٥)، وهو قول المالكية(١٠٦) وقول عند الحنابلة(١٠٧).

نصوص فقهاء القول الأول

جعل الأحناف أمر مال الوقف أثناء الجوائح والأوبئة للحاكم، فيأخذه على أن يكون ديناً يرده من خزينة الدولة، وذلك عند أخذه من أوقاف المساجد أو الفقراء.

وجاء في فتاوى قاضيخان:

روض الطالب ٢/٤٥٧، ومعه حاشية الرملي، دار الكتاب الإسلامي، د.ت..

(١٠١) ابن قدامة: الشرح الكبير ٦/١٨٥، مطبعة المنار، عام النشر: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣، المرداوي: الإنصاف: ٣/٧. مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م..

(١٠٢) تمتلك جامعة كامبردج أوقافاً بمبلغ ٨,٢ مليار دولار، وجامعة أكسفورد بمبلغ ٥,٧ مليار دولار، وجامعة تورنتو الكندية حيث تبلغ أوقافها ٢,٥٩٠ مليار دولار. المصدر.

(١٠٣) فتاوى قاضيخان ٣/١٧٧، دار الكتب العلمية، بيروت، نظام الدين البرنهابوري: الفتاوى العالمكيرية المعروفة بالفتاوى الهندية ٢/٤٦٤، مطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، الطبعة الثانية، ١٣١٠ هـ..

(١٠٤) توصيات الندوة الطبية الفقهية الثانية لهذا العام، والتي عقدت عبر تقنية مؤتمرات الفيديو يوم ١٦ أبريل ٢٠٢٠، بعنوان «فيروس كورونا المستجد (كوفيد ـــ ١٩ وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية»..

(١٠٥) الفتاوى الهندية ٢/ ٤٦٤..

(١٠٦) مسائل أبي الوليد ابن رشد: ٢/ ١٢٤١، تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، الناشر: دار الجيل، بيروت - دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م. نوازل العلمي: ٢ / ٣١٣ - ٣١٤-٣٤٤- ٣٤٥. تحقيق المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب..

(١٠٧) المبدع في شرح المقنع، ٥ / ٣٥٥ - ٣٥٧. دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ط قطر..

«إذا اجتمع من مال الوقف على الفقراء أو على المسجد الجامع ثم نابت الإسلام نائبة بأن غلبت جماعة من الكفرة فاحتيج في ذلك إلى مال لدفع شرهم، قال رحمه الله تعالى: ما كان من غلة المسجد الجامع يجوز للحاكم أن يصرف ذلك على وجه القرض إذا لم يكن للمسجد حاجة إلا ذلك المال، ويكون ذلك ديناً»(١٠٨).

وأما المال الموقوف على الفقراء إذا حل الوباء، فقد جاء تفصيله في الفتاوى الهندية:

«وأما المال الموقوف على الفقراء، فهذا على ثلاثة أوجه: إما أن يصرف إلى المحتاجين، أو إلى الأغنياء من أبناء السبيل، أو إلى الأغنياء من غير أبناء السبيل.

في الوجه الأول والثاني: جائز لا على وجه القرض.

في الوجه الثالث: المسألة على قسمين، إما أن رأى قاض من قضاة المسلمين جواز ذلك أو لم ير.

ففي القسم الأول: جاز الصرف لا بطريق القرض.

وفي القسم الثاني: يصرف على وجه القرض فيصير ديناً في مال الفيء، كذا في الواقعات الحسامية»(١٠٩).

موقف فقهاء مجمع الفقه الإسلامي

أباح فقهاء مجمع الفقه الإسلامي أن تقترض الدولة من مال الوقف أثناء جائحة كورونا. وهذا جزء من نتائج مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي:

- للوقف في زمن وباء كورونا دور بارز في التكافل الاجتماعي من خلال تفريج الكربات وسد حاجات الأفراد والدولة تحقيقاً لحفظ المقاصد الضرورية.

- يجوز اقتراض الدولة من ريع الأوقاف عند الضرورة، كجائحة كورونا(١١٠).

نصوص فقهاء القول الثاني

قال الحنفية في المال الموقوف على الفقراء:

(١٠٨) فتاوى قاضيخان: ٣/ ١٧٧، الفتاوى الهندية: ٢/ ٤٦٤..

(١٠٩) الفتاوى الهندية: ٢/ ٤٦٤..

(١١٠) توصيات الندوة الطبية الفقهية الثانية لهذا العام، والتي عقدت عبر تقنية مؤتمرات الفيديو يوم ١٦ أبريل ٢٠٢٠، تحت عنوان «فيروس كورونا المستجد وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية»..

«... وفي الوجه الثالث المسألة على قسمين: إما أن رأى قاض من قضاة المسلمين جواز ذلك أو لم ير، ففي القسم الأول جاز الصرف، لا بطريق القرض»(١١١). وبهذا قال فقهاء المالكية، حيث قالوا: «تفرغ الأحباس بعضها في بعض»(١١٢).

وجاء في نوازل العلمي: «الأحباس كلها -إذا كانت لله- بعضها من بعض، وذلك مقتضى فتوى أبي محمد العبدوسي»(١١٣)، كما نقل فتاوى بهذا الشأن للبرزلي(١١٤) وابن ماجشون(١١٥)(١١٦).

وجاء فيهما أيضاً: قال أصبغ(١١٧) وابن ماجشون: «إن ما يقصد به وجه الله يجوز أن ينتفع ببعضه من بعض، وروى أصبغ عن ابن القاسم مثل ذلك في مقبرة قد عفت فيبني قوم عليها مسجداً: لم أر به بأساً. قال: وكذلك ما كان لله فلا بأس أن يستعان ببعضه على بعض » .

وقد رأى بعض المتأخرين أن هذا القول أرجح في النظر، لأن استنفاد الزائد في سبيل الخير أنفع للمحبس، وأنمى لأجره(١١٨).

وقال العبدوسي في الجواب عن جمع أحباس فاس: «يجوز جمعها، وجعلها نقطة واحدة وشيئاً واحداً لا تعدد فيه، وأن تجمع مستفادات ذلك كله، ويقام منه ضروري كل مسجد من تلك المستفادات المجتمعة»(١١٩).

وأفتى بعض علماء الحنابلة بجواز عمارة وقف من ريع وقف آخر على جهته. قال في

(١١١) الفتاوى الهندية: ٢/ ٤٦٤..

(١١٢) مسائل أبي الوليد ابن رشد: ٢/ ٢٤١..

(١١٣) العبدوسي: عبد الله بن محمد العبدوسي، إمام فقيه، عالم صالح، محدث حافظ. وُلِّي الفتيا بالديار المغربية، وانتهت إليه الرياسة فيها. من مؤلفاته: «الفتاوى» (نقلها الونشريسي في «المعيار المعرب»، إلا أنه لم يجمعها في ديوان. توفي سنة تسع وأربعين وثمانمائة. السخاوي: «الضوء اللامع» ٥/ ٦٧..

(١١٤) الإمام البُرْزُلي المالكي أبو القاسم بن أحمد بن محمد البَلَوِي القيرواني، المعروف بالبرزلي، أحد أئمة المالكية في المغرب. سكن تونس، وانتهت إليه الفتوى فيها، وكان يُنعت بشيخ الإسلام. وُلِد في حدود سنة ٧٤١ هـ الموافق ١٣٤٠ م وعَمَّر طويلاً. قال السخاوي: توفي بتونس عن مئة وثلاث سنين. من كتبه: «جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام»، و«الديوان الكبير في الفقه». توفي سنة ٨٤٤ هـ الموافق ١٤٤٠ م. الأعلام للزركلي (٥/ ١٧٢..

(١١٥) ابن الماجشون: العلامة الفقيه، مفتي المدينة، أبو مروان عبد الملك بن الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون التيمي مولاهم المدني المالكي، تلميذ الإمام مالك. كان مفتي أهل المدينة في زمانه. توفي سنة ٢١٣ هـ، وقيل: سنة أربع عشرة. الذهبي: «سير أعلام النبلاء» ١٠/ ٣٥٩..

(١١٦) نوازل العلمي: ٢/ ٣١٣-٣١٤..

(١١٧) أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع، الفقيه المالكي المصري. قال عبد الملك بن الماجشون في حقه: «ما أخرجت مصر مثل أصبغ»، قيل له: «ولا ابن القاسم؟» قال: «ولا ابن القاسم». من مؤلفاته: «كتاب الأصول» في عشرة أجزاء، «تفسير غريب الموطأ»، و«كتاب آداب الصيام». توفي يوم الأحد، لأربع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائتين. ابن العماد: «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» ٢/ ٥٦. دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م..

(١١٨) نوازل العلمي: ٢/ ٣٤٤-٣٤٥..

(١١٩) المصدر السابق: ٢/ ٣٤٤-٣٤٥..

المبدع: «ويصرف ثمنه - أي الموقوف في حالة بيعه - في مثله»، وزاد: «أو بعض مثله»، قاله أحمد، لأنه أقرب إلى غرض الواقف.

ثم قال: وظاهر كلام الخرقي أنه لا يتعين المثل، واقتصر عليه في المغني، والشرح، إذ القصد النفع، لكن يتعين صرف المنفعة في المصلحة التي كانت الأولى أن تصرف إليها، لأن تغيير المصرف مع إمكان المحافظة عليه لا يجوز.

وكذلك الفرس إذا لم يصلح للغزو بيع واشتري بثمنه ما يصلح للجهاد، وعنه رواية أخرى: يصرفه على الدواب الحبس، وما فضل من حصره وزيته جاز صرفه إلى مسجد آخر، والصدقة به على فقراء المسلمين. واختاره الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وقال أيضاً: وفي سائر المصالح، وبناء مساكن لمستحق ريعه القائم بمصلحته(١٢٠).

فهذه الفتاوى تجعل النظر إلى جميع الجهات نظرة واحدة، قائمة على ذمة واحدة، حسب المصالح المعتبرة. وهذا ما رجحه ابن تيمية: فتتبع مصلحة الوقف، ويدار مع المصلحة حيث كانت(١٢١).

الخلاصة:

أن الوقف المتشابه يجوز جمع إنتاجه المالي في صندوق واحد، ويجوز أيضاً بيع وقف قليل الإنتاج وضم ثمنه إلى وقف منتج أو لمصلحة راجحة، بل يجوز جمع جميع الأوقاف في ذمة واحدة ينفق منها على غيرها، على حسب مصلحة الوقف، والله أعلم.

المبحث الثالث: الإنفاق من مال الوقف على المستشفيات التي ليس لها وقف أثناء كورونا

المطلب الأول: حكم الإنفاق على المستشفيات غير الموقوفة

اختلف العلماء في حكم الإنفاق على المستشفيات غير الموقوفة على قولين:

القول الأول: ينفق الحاكم من خزينة الدولة، فإن عجز فمن الصدقات والتبرعات، وهو

(١٢٠) المبدع في شرح المقنع، ٥ / ١٨٧-١٨٨، بتصرف غير مخل. ترجمة ابن تيمية في الصفحة التالية. ابن تيمية: هو أحمد بن عبد الحليم الحراني، تقي الدين أبو العباس، ولد بحران سنة ٦٦١ هـ. العلامة الفقيه المفسر شيخ الإسلام. من مصنفاته: مجموع الفتاوى، منهاج الاستقامة، وتعارض العقل والنقل. توفي في سجن دمشق سنة ٧٢٨ هـ. صلاح الدين الصفدي: فوات الوفيات ١ / ٧٤، دار صادر - بيروت، ط١، ١٩٧٣ م..

(١٢١) مجموع الفتاوى، ٣١ / ٣٦١. جمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، عام النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م. وانظر بحث: استثمار الوقف وطرقه القديمة والحديثة، إعداد أ. د. علي محيي الدين القره داغي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي (١٣/ ٤٩٤ التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة..

قـول المالكيـة(١٢٢).

القـول الثـاني: ينفـق مـن مـال الوقـف بمشـورة القضـاة، وهـو وجـه عنـد المالكيـة(١٢٣)، ووجـه عنـد الشـافعية(١٢٤)، ورجحـه ابـن تيميـة مـن الحنابلـة(١٢٥).

نصوص فقهاء القول الأول

أمـا المالكيـة فقـد جعلـوا مـا لا وقـف عليـه أن ينفـق عليـه السـلطان مـن خزينـة الدولـة، فـإن عجـز يتوجـه الخطـاب للعامـة، ويصبـح مـن فـروض الكفايـات. وفي تفصيـل ذلـك يقـول العلامـة الونشريـسي:

«لا بـد لمتـولي النظـر في الحبـس مـن مراعـاة قصـد المحبِّـس واتبـاع شرطـه إن كان جائـزاً، فـما خصـه المحبـس بنـوع لا يـصرف في غـير ذلـك النـوع، والأنـواع التـي لا حبـس عليهـا يجـب عـلى الإمـام وهـو السـلطان أن يفعلـه مـن بيـت المـال، فـإن عجـز الإمـام أو أهـل النظـر فيـه توجـه الخطـاب عـلى الجماعـة مـن بـاب فـروض الكفايـات التـي إن تـرك الجميـع أثمـوا، وإن قـام بهـا البعـض سـقط عـن الباقـين الفـرض»(١٢٦).

وهـذا الـذي قالـه الونشريـسي طبقـه أهـل الكويـت، فقـد شـارك في المسـاعدة كل مـن لـه قـدرة عـلى العطـاء بنفسـه أو مالـه، كلٌّ عـلى حسـب اسـتطاعته. فتحـدث بهـا النـاس، بـل وبمثـل هـذا يرفـع اللـه الوبـاء والبـلاء، فجزاهـم اللـه خـيراً.

نصوص فقهاء القول الثاني

كان الحِكْـرُ حـلاً لمواجهـة البلايـا والأوبئـة، والحكـر هـو عقـد إجـارة يُقصَدُ بـه اسـتبقاء الأرض مُقـرَّرةً للبناء والغـرس، أو لأحدهـما(١٢٧).

ففـي القاهـرة، سـنة ثـلاث وثلاثـين وثمـان مائـة للهجـرة، كان الطاعـون قـد حـلّ بمـصر، وأفنـى خلقـاً لا يُحصَـوْنَ، فجمـع السـلطان المملـوكي القضـاة الأربعـة، واسـتفتاهم وقـال: «إن دام

(١٢٢) الونشريسي: المعيار الـمُعْرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والـمغرب، (٥/ ٣٦٣. تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية – بيروت..

(١٢٣) فتاوى الونشريسي (٥/ ٣٦٣..

(١٢٤) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (٥/ ٣٩٦ الجويني: نهاية المطلب في دراية المذهب (٨/ ٣٥١-٣٥٤ دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (٥/ ٣٩٦..

(١٢٥) مجموع الفتاوى: ٣١ / ٣٦١. نقلاً عن بحث: استثمار الوقف وطرقه القديمة والحديثة إعداد أ. د. علي محيي الدين القره داغي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي (١٣/ ٤٩٤ التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة..

(١٢٦) فتاوى الونشريسي (٥/ ٣٦٣..

(١٢٧) ابن عابدين: حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار ٤/ ٣٩١، ٢٤..

هـذا الطاعـونُ عـلى النّـاس خَرِبَـتْ مـصر».

فقالـوا: يـا مولانـا السُـلطان! لا تهتـمَّ؛ فـإنّ بمـصرَ أربعـةً وعشريـن ألـف حِكْـر فلو مـات في كلّ يـوم مِـن كلّ حكـر واحـدٌ، مـا تأثّـرتْ لـه مـصر، ومـوتُ الحِكْـر هنـا بمعنـى بَيْـع عقـارات الوَقْـف الخـيري التـي حُكِّـرت، أو العقـارات الأميريَّـة المُحَكَّـرَة، وصرف الثمـن، في هـذا الظـرف الطـارئ؛ لـدرء هـذه المفسـدة العامـة، ومـن إطلاقـات الحِكْـر أنّـه يُطْلَـق عـلى الأرض دون الأَنْقـاض(١٢٨).

وقـد سـئل العلامـة الونشريـسي عـن: المصالـح التـي تـصرف فيهـا فضلـة الحبـس (الوقـف)؟ فـكان مـما أجـاب: الشـطر الـذي يَفضُـل يـصرف في مثلهـا...، وهـذا هـو الـذي ارتضـاه بعـض العلـماء.... وإن صرف في غـير ذلـك مـما هـو مصلحـة للمسـلمين، فقـد قيـل ذلـك وعمـل بـه بعـض قضـاة قرطبـة رحمهـم اللـه، فهـذا مـا ظهـر لي، والقـاضي يجتهـد ويُراعـي الأصلـح(١٢٩).

ولا مصلحـة أهـم الآن مـن مواجهـة جائحـة كورونـا بمعالجـة النـاس وحمايتهـم مـن المـوت الجماعـي، وتعويـض المتضرريـن جـراء الوبـاء عـلى الصعيـد الاجتماعـي والاقتصـاري.

والأمـة الإسـلام حيـة لا تمـوت فقـد يجـود الخـيرون بمـا يخفـف عـلى النـاس ويكـون سـبباً في رفـع البـلاء بالصدقـة والنفقـة يذكـر ابـن كثـير فيقـول: ولمـا كان الطاعـون بـ»بـلاد الشـام» سـنة (٧٤٩هـ)، كـثرت المـوتى، وزاد ضـمان المـوتى جـدًّا، فتـضرر النـاس ولا سـيما الصعاليـك، فإنـه يؤخـذ عـلى الميـت شيء كثـير جـدًّا، فرسـم نائـب السـلطنة بإبطـال ضـمان النعـوش والمغسـلين والحمالـين، ووقـف نعوشًـا كثـيرة في أرجـاء البلـد(١٣٠).

وقـرر الشـافعية: أن مخالفـة شرط الواقـف مـع الـضرورة جائـزة إذ مـن المعلـوم أنـه لا يقصـد تعطيـل وقفـه وثوابـه... (١٣١). وفي مسـألة الوقـف منقطـع الأول: إذا قـال القائـل: وقفـت داري هـذه عـلى مـن سـيولد لي، ولا ولـد لـه، أو وقفـتُ عـلى المنتظَريـن دون الموجوديـن منهـم، فهـذا الوقـف لا مـصرف لـه مـن جهـة الأول.

وللأئمـة: في صحـة هـذا الوقـف قـولان مرتبـان عـلى القولـين في الوقـف المنقطـع الآخـر، فمـن صححـه جعـل أحـد الوجـوه- أن الوقـفَ يـصرف إلى الأقربـين بالمحبِّـس.، والثـاني - أنـه يـصرف إلى المسـاكين. والثالـث: أنـه يـصرف إلى المصالـح العامـة(١٣٢).

---

(١٢٨) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ٢: ١٣١. الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة: ١٤٠٤ -، م.١٩٨٤..

(١٢٩) فتاوى الونشريسي (٥/ ٣٦٣. بتصرف. أحمد بن يحيى الونشريسي المعروف بأبو العباس الونشريسي، ولد حوالي سنة (٨٣٤هـ / ١٤٣٠م، من علماء الجزائر الأعلام وفقهائها البارزين في القرن التاسع الهجري، قال عنه أحمد بابا: «شيخ الإسلام ومفتي الأنام الفرد العلامة الحافظ القدوة العارف المجتهد المعمر ابن سعيد بن محمد العقباني التلمساني قاضي بجاية، وتلمسان وله في ولاية القضاء مدة تزيد على أربعين سنة. من كتبه: المعيار المُعْرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب، ايضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك. توفي سنة ٩١٤هـ. الزركلي: الأعلام ١/ ٢٦٩-٢٧٠..

(١٣٠) البداية والنهاية (١٤/ ٢٢٦ مطبعة السعادة – القاهرة، د ت..

(١٣١) الرملي: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (٥/ ٣٩٦، الجويني: نهاية المطلب في دراية المذهب (٨/ ٣٥١..

(١٣٢) الجويني: نهاية المطلب في دراية المذهب (٨/ ٣٥١..

وقال الشوكاني(١٣٣): ومن وضع مالاً في مسجد أو مشهد لا ينتفع به أحد جاز صرفه في أهل الحاجات ومصالح المسلمين. ومن ذلك ما يوضع في الكعبة وفي مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم)(١٣٤).

المصالح العامة المقصود بها الحاجات الأساسية للمجتمع، وهي التي لا ملك فيها لأحد، والتي لا يختص بالانتفاع بها أحد، فملكها لله، ومنفعتها لخلق الله. وأولاها وأحقها: الدفاع عن البلاد والتكوين الحربي، وتوفير الأمن في المجتمع، وتحقيق التكافل الاجتماعي. ويشمل العدد والعدة على أحدث المخترعات البشرية، ويشمل المستشفيات، وإعداد دعاة يظهرون جمال الإسلام وسماحته، ويشمل العمل على دوام الوسائل التي يستمر بها حفظة القرآن كما نزل(١٣٥).

وهذا ما رجحه ابن تيمية من أن يربط التصرف في أموال الوقف بالمصالح الراجحة أكثر من غيرها، حيث قال - بعد جواز تغيير الوقف وبيعه -: «فتتبع مصلحة الوقف، ويدار مع المصلحة حيث كانت»، وقد ثبت عن الخلفاء الراشدين - كعمر وعثمان - أنهما غيرا صورة الوقف للمصلحة. بل فعل عمر ما هو أبلغ من ذلك حيث حول مسجد الكوفة القديم فصار سوق التمارين، وبنى لهم مسجداً آخر في مكان آخر، والله أعلم(١٣٦).

الخلاصة: جواز تغيير صورة الوقف بيعاً وإعادة إعمار أو نقل إلى مكان آخر، كل ذلك حسب مصلحة الوقف. وأثناء الأوبئة والجوائح ككورونا وتحويل الصرف إلى جهة أخرى، كالإنفاق على المصابين والمتضررين والمستشفيات حسب المصلحة والحاجة.

المطلب الثاني: الترجيح

يترجح الإنفاق على المرضى الفقراء والمستشفيات من مال الوقف أثناء جائحة كورونا للأسباب التالية:

- توجد مصلحة راجحة للمسلمين بسبب الجمود الاقتصادي الهائل الذي ضرب العالم من أقصاه إلى أقصاه.
- استناداً إلى فعل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث حول مسجد الكوفة القديم

(١٣٣) (١ الشوكاني: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، أحد أبرز علماء أهل السنة والجماعة وفقهائهم، ولد في هجرة شوكان في اليمن ١١٧٣ هـ ونشأ بصنعاء. له مؤلفات كثيرة تجاوزت ١١٤ مؤلفًا، منها: «نيل الأوطار في الحديث»، و«إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول». وُلي قضاءها سنة ١٢٢٩ هـ وتوفي حاكمًا بها سنة ١٢٥٠ هـ. محمد بن علي الشوكاني. أحمد فريد المزيدي: الرسائل الفقهية للإمام الشوكاني. (ط. الأولى (٢٠٠٥. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. ص. ٧-١١.

(١٣٤) (٢ الشوكاني: «الدراري المضية شرح الدرر البهية» (٢/ ٢٩٩، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م..

(١٣٥) (٣ مجموع الفتاوى: ٣١ / ٣٦١. نقلاً عن بحث: استثمار الوقف وطرقه القديمة والحديثة، إعداد أ. د. علي محيي الدين القره داغي. مجلة مجمع الفقه الإسلامي (١٣/ ٤٩٤ التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة..

(١٣٦) (٤ شلتوت: «الإسلام عقيدة وشريعة»، ص ١٠٥. بتصرف..

فصار سوق التمارين وبنى لهم مسجداً آخر في مكان آخر.

- استناداً إلى فعل السُلطان المملوكي عند حلول الطاعون بمصر حيث جمع القضاة الأربعة، واستفتاهم فقالوا: بجواز بيع الوقف وصرفه على الآفات والأوبئة.
- بناء على جمع الوقف كله في نقطة واحدة ومصلحة واحدة حسب المصلحة الراجحة.

الخاتمة: نتائج البحث

١- مرض الفيروس التاجي ٢٠١٩م المعروف اختصارًا بكوفيد ١٩: هو التهاب في الجهاز التنفسي بسبب فيروس تاجي جديد، وقد أعلنت منظمة الصحة أن هذا الوباء جائحة عالمية في ١١ مارس ٢٠٢٠م.

٢- جواز الدفع للمتضررين من آثار كورونا من مال الزكاة ومن سهم في سبيل الله بالتحديد بعد أن حلت جائحة كورونا وتركت آثارًا بشعة على كل الأصعدة. فقد مات أكثر من مليوني شخص، وتضرر الاقتصاد العالمي أيما تضرر، وتبع ذلك خسائر مادية ضخمة على صعيد الشركات والأفراد والمستأجرين وغير ذلك كثير من المصالح العامة.

٣- يترجح جواز تعجيل الزكاة لعام أو عامين مع كون المال بلغ نصابًا، نظرًا لقوة أدلة القائلين به، وبسبب جائحة كورونا التي تجعلنا نقدم المصلحة العامة والراجحة وهي معالجة آثار هذه الجائحة، وهي كثيرة جدًا.

٤- يجوز دفع الزكاة لعلاج المرضى بكورونا وعلى المستشفيات التي تعالجهم.

٥- أن دفع الزكاة لعلاج المصابين بمرض كورونا ليس أمرًا طارئًا، ويوجد من آراء الفقهاء ما يدل على جوازه. ولا يتعارض مع الكفاية المعتبرة في القدر المحدد للفقير، لأن علاج الفقير يدخل في الكفاية.

٦- التعريف المختار للوقف هو: «تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة».

٧- أن الوقف المتشابه يجوز جمع إنتاجه المالي في صندوق واحد، ويجوز أيضًا بيع وقف قليل الإنتاج وضم ثمنه إلى وقف منتج أو لمصلحة راجحة. بل يجوز جمع جميع الأوقاف في ذمة واحدة ينفق منها على غيرها، على حسب مصلحة الوقف.

٨- يترجح الإنفاق على المرضى الفقراء والمستشفيات من مال الوقف أثناء الجوائح والأوبئة والزلازل المدمرة، وخاصة جائحة كورونا.

هذا وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم

كتب التفسير

٢ - تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: ١٩٩٠ م.

٣ - مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

كتب الحديث وعلومه

٤ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.

٥ - جامع الترمذي: موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة دار السلام - الرياض، ١٤٢٩ هـ.

٦ - سنن ابن ماجة: موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة دار السلام - الرياض، ١٤٢٩ هـ.

٧ - سنن أبي داود: موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة دار السلام - الرياض، ١٤٢٩ هـ.

٨ - سنن النسائي: موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة دار السلام - الرياض، ١٤٢٩ هـ.

٩ - صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة دار السلام - الرياض، ١٤٢٩ هـ.

١٠ - صحيح مسلم: مسلم، موسوعة الحديث الشريف، الكتب الستة دار السلام - الرياض، ١٤٢٩ هـ.

١١ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

١٢ - المسند: الإمام أحمد، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٣ - مصنف عبد الرزاق: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.

١٤ - شرح سنن أبي داود المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م.

١٥ - معالم السنن: الخطابي.

١٦ - الموطأ: الإمام مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.

١٧ - النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
كتب الحنفية
١٨ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: الكاساني، دار الكتب العلمية، والمعرفة، مطبعة شركة المطبوعات العلمية بمصر: ١٤٠٦ هـ.

١٩ - حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار: محمد أمين ابن عابدين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦م.

٢٠ - الفتاوى العالمكيرية المعروفة بالفتاوى الهندية: نظام الدين البرنهابوري، مطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، الطبعة: الثانية، ١٣١٠هـ.

٢١ - فتاوى قاضيخان، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

٢٢ - المبسوط: السرخسي، مطبعة السعادة – مصر د ت.

٢٣ - الهداية شرح بداية المبتدي: علي الفرغاني المرغيناني، المحقق: طلال يوسف الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان، د ت.
كتب المالكية
٢٤ - الإشراف على نكت مسائل الخلاف: القاضي عبد الوهاب، تحقيق: الحبيب بن طاهر، طبعة دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م.

٢٥ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ابن رشد، دار الحديث – القاهرة، تاريخ النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٦ - التبصرة: اللخمي، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

٢٧ - حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني: العدوي المالكي، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر - بيروت، د ت.

٢٨ - الذخيرة: القرافي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤ م.

٢٩ - شرح الزرقاني: محمد الزرقاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١ م.

٣٠ - شرح مختصر خليل: محمد بن عبد الله الخرشي، دار الفكر، بيروت، د ت.

٣١ - الشرح الكبير وحاشية الدسوقي: الشيخ الدردير، دار الفكر، الطبعة: د. ط د. ت.

٣٢ - الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني: أحمد بن غنيم النفراوي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥ م.

٣٣ - المدونة: الإمام مالك بن أنس، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٣٤ - مسائل أبي الوليد ابن رشد: تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، الناشر: دار الجيل، بيروت - دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٣٥ - المعيار المُعْرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب: الونشريسي، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٦ - منح الجليل شرح مختصر خليل: محمد عليش، دار الفكر - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٣٧ - مواهب الجليل لشرح مختصر خليل: الحطاب، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٢ هـ.

٣٨ - نوازل العلمي: تحقيق المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

كتب الشافعية

٣٩ - الأم: الشافعي، دار الفكر – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٠ - أسنى المطالب في شرح روض الطالب ومعه حاشية الرملي الكبير: زكريا الأنصاري. دار الكتاب الإسلامي، د ط، د ت.

٤١ - البيان في مذهب الإمام الشافعي: العمراني، المحقق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

٤٢ - تحفة المحتاج في شرح المنهاج: ابن حجر الهيثمي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، بدون طبعة، عام النشر: ١٣٥٧ هـ - ١٩٨٣ م.

٤٣ - الحاوي الكبير: الماوردي، المحقق الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

٤٤ - روضة الطالبين وعمدة المفتين: النووي. تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.

٤٥ - المجموع شرح المهذب: النووي، إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي- القاهرة، عام النشر: ١٣٤٤ - ١٣٤٧ هـ.

٤٦ - مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: الشربيني، حققه وعلّق عليه: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٤٧ - نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: محمد بن أحمد بن حمزة الرملي، دار الفكر، بيروت ط أخيرة - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٤٨ - نهاية المطلب في دراية المذهب: الجويني، دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

كتب الحنابلة

٤٩ - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: المرداوي (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير).

٥٠ - الإنصاف: المرداوي، مطبعة السنة المحمدية الطبعة: الأولى، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م.

٥١ - حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي: الناشر: (بدون ناشر) الطبعة الأولى - ١٣٩٧ هـ.

٥٢ - الشرح الكبير على متن المقنع: ابن قدامة، عام النشر ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، تصوير: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت. مطبعة المنار، عام النشر: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣.

٥٣ - الشرح الكبير: المرداوي (المطبوع مع المقنع والإنصاف) (٧/ ١٩٠) تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي - د عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة، القاهرة - الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٥٤ - شرح منتهى الإرادات المسمى: دقائق أولي النهى لشرح المنتهى: البهوتي عالم الكتب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

٥٥ - كشاف القناع عن متن الإقناع: البهوتي. راجعه وعلّق عليه: هلال مصيلحي مصطفى هلال، مكتبة النصر الحديثة بالرياض، الطبعة: د ت ط، وصَوّرتْها: دار الفكر ببيروت، ودار عالم الكتب. د ت.

٥٦ - المبدع في شرح المقنع: ابن مفلح، دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٥٧ - المغني: ابن قدامة، المحقق: د عبد اللَّه بن عبد المحسن التركي، د عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

الفقه المقارن ومتفرقات

٥٨ - الإسلام عقيدة وشريعة: شلتوت، دار الشروق – مصر، ط ١٨، ٢٠٠١ م.

٥٩ - الأموال: أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية،

الطبعــة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

٦٠ - بدائــع الزهــور في وقائــع الدهــور: ابــن إيــاس، الهيئــة المصريــة العامــة للكتــاب ســنة: ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م.

٦١ - التحريــر والتنويــر: الطاهــر بــن عاشــور، الــدار التونســية للنــشر – تونــس، ســنة النــشر: ١٩٨٤ هـ.

٦٢ - البداية والنهاية: ابن كثير، مطبعة السعادة – القاهرة، د ت.

٦٣ - الــدراري المضيــة شرح الــدرر البهيــة: الشــوكاني، دار الكتــب العلميــة، الطبعــة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٦٤ - الروضــة النديــة شرح الــدرر البهيــة: صدّيــق حســن خــان، دار ابــن عفــان، القاهــرة ١٩٩٩م، الطبعــة الأولى، تحقيــق عــلي حســين الحلبــي، وطبعــة دار المعرفــة أيضاً.

٦٥ - فقه الزكاة: القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

٦٦ - المحــلى بالآثــار: ابــن حــزم، المحقــق: عبدالغفــار ســليمان البنــداري، دار الفكــر - بــيروت، د ت.

٦٧ - مــصرف وفي ســبيل اللــه بــين العمــوم والخصــوص: ســعود الفنيســان، مكتبــة التوبــة، ط١، ١٤٢٤ هـ.

٦٨ - نــوازل الــزكاة دراســة فقهيــة تأصيليــة لمســتجدات الــزكاة: د عبــد اللــه بــن منصــور الغفيل، النــاشر: دار الميــمان للنــشر والتوزيع، الريــاض، القاهرة - الطبعــة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

المعاجم وكتب التراجم

٦٩ - أبجــد العلــوم: القنوجــي، المحقــق: عبــد الجبــار الــزكار، وزارة الثقافــة والإرشــاد القومــي دمشــق - دار الكتــب العلميــة ســنة: ١٩٧٨م.

٧٠ - الأعلام: الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت. ١٩٩٠م.

٧١ - تتمــة الأعــلام للــزركلي: محمــد خــير رمضــان يوســف - دار ابــن حــزم- بــيروت- ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

٧٢ - التعريفات: الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ.

٧٣ - الدارس في تاريخ المدارس: النعيمي، عبد القادر، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٠م.

٧٤ - الرســائل الفقهيــة للإمــام الشــوكاني: محمــد بــن عــلي الشــوكاني، أحمــد فريــد المزيــدي: دار الكتــب العلمية بــيروت - لبنــان، الطبعــة الأولى، ســنة ٢٠٠٥م.

٧٥ - سير أعلام النبلاء: الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ط٣، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٧٦ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد، دار ابن كثير، دمشق - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٧٧ - طبقات الشافعية الكبرى: السبكي، دار المعرفة- بيروت، د.ت.

٧٨ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: السخاوي، بيروت، دار مكتبة الحياة. د.ط، د.ت.

٧٩ - فوات الوفيات: صلاح الدين الصفدي، دار صادر - بيروت الطبعة: الأولى ١٩٧٣م.

٨٠ - القاموس المحيط: الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٨١ - لسان العرب: ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ م.

٨٢ - معجم تهذيب اللغة: الأزهري، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت (ط١)، ٢٠٠١ م.

٨٣ - معجم مقاييس اللغة: أحمد فارس، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ.

٨٤ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خالكان، دار صادر – بيروت، الطبعة: ١، ١٩٩٤ م.

المجمعات الفقهية والمجلات العلمية

٨٥ - البيان الختامي للجلسة التكميليّة للدورة الطارئة الثلاثين للمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث المنعقدة (نيسان) ٢٠٢٠ بتقنية التواصل الشبكي شعبان ١٤٤١هـ.

٨٦ - توصيات الندوة الثامنة، لقضايا الزكاة المعاصرة المنعقدة في قطر في الفترة من (٢٣-٢٦ ذو الحجة ١٤١٨ هـ/الموافق ٢٠-٢٣/٤/١٩٩٨ م) تنظيم الهيئة الشرعية العالمية للزكاة.

٨٧ - فتاوى وتوصيات ندوات قضايا الزكاة المعاصرة القرار الرابع بشأن جمع وتقسيم الزكاة والعشر في باكستان في الدورة الثامنة.

٨٨ - مجلة الأزهر: محمد حسام الدين، فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف، السنة الثالثة والستون، الجزء الخامس، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٨٩ - مجلة مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة: استثمار الوقف وطرقه القديمة والحديثة، إعداد أ.د. علي محيي الدين القره داغي.

٩٠ - مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، توصيات الندوة الطبية الفقهية الثانية لهذا العام، والتي عقدت عبر تقنية مؤتمرات الفيديو، يوم ١٦ ابريل

٢٠٢٠م، تحت عنوان (فيروس كورونا المستجد كوفيد ـــ ١٩ وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية).

فهرس المواقع الالكترونية

91 - https://islamonline.ne الزكاة للمصابين بكورونا ، نظرة في أقوال الفقهاء - إسلام أون لاين

92 - https://albayan.co.uk/article2.aspx?ID =2479. مجلة البيان

93 - www.dar-alifta.org/ar/fatawa/A9 موقع دار الافتاء المصرية

94 - https://is.gd/K9eZ8e: موقع شبكة الجزيرة

95 - www.e-cfr.org/blog/2020/04/17/ موقع المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث

96 - www.emro.who.int/ar/healthopics/corona-virus موقع منظمة الصحة العالمية.

97 - https://ar.wikipedia.org/wiki/ موقع ويكيبيديا

98 - www.dd sunnah.net/news/view/action/view/id/961

99 - http://allwatannews.net/Bahrain/article/882681

عمليات بيع النقود وصرفها والمتاجرة بها: حكمها الشرعي وآثارها

The selling, exchange and trading of currency: Its Islamic legal rulings and implications.

د. جهاد خليل سيف الدين[1]

Dr .Jihad Khalil Seif El Dine

ملخص البحث

يناقش البحث عمليات بيع النقود والمتاجرة بها والمضاربة عليها، ويبين موقف الشَّرع الإسلامي من هذه العمليات، ويوضِح الفرق بين الصَّرف وبين المتاجرة بالنقود، ويُبيِّن الوظائف الأساسية للنقود والضَّوابط والشُّروط الواجب توافرها في عقد الصَّرف حتى يكون مُباحًا. كما يوضِحُ أن المتاجرة بالنقود دون الالتزام بالأحكام الشَّرعية هي من الأمور التي تؤثر تأثيرًا كبيرًا في سوق النقد وعلى الاقتصاد والمجتمع. وتؤدي إلى أزمات وتقلبات اقتصادية حادة.

الكلمات المفتاحية:

البيع، النُّقود، الصَّرف، المتاجرة، المضاربة.

Abstract

The research examines the processes of selling, trading, and speculating on money, clarifying the perspective of Islamic law on these practices. It distinguishes between currency exchange and money trading, outlines the fundamental functions of money, and specifies the essential conditions and regulations required for a currency exchange contract to be deemed permissible. Furthermore, it emphasizes that engaging in money trading without adhering to Islamic legal principles can significantly impact the monetary market, economy, and society, potentially leading to severe economic crises and fluctuations.

Keywords

Selling, Currency, Monetary, Exchange, Trade, Speculation.

***

(١) دكتوراه في الدراسات الإسلامية (من كلية الشريعة – جامعة بيروت الإسلامية) وباحث في الاقتصاد الإسلامي والفكر االمعاصر.

إشكالية البحث

تتمثل إشكالية البحث في التساؤل عمّا إذا كانت المتاجَرة في العُمْلات مشروعة أم لا. وهل وَضَعَ الشَّرع الإسلامي ضوابط وقيود تضبط هذه التِّجارة؟

الهدف من البحث

يهدف البحث إلى بيان موقف الشَّرع الإسلامي من عمليات بيع النقود والمتاجرة بها، والتحذير من أنّ المضاربة على النقود والمتاجرة بها لها آثار سلبية وخطيرة، خاصةً إذا انتشرت بين كافة شرائح المجتمع وَمورِسَت من دون إذن السُّلُطات النَّقدية.

سبب اختيار الموضوع

إنّ الذي دعى إلى الكتابة في هذا الموضوع، هو شيوع عمليات بيع النقود والمتاجرة بها والمضاربة عليها بين عدد كبير من أفراد المجتمع، لذا كان لا بد من بيان شروط عقد الصَّرف والضوابط الشَّرعية التي تضبط عمليات المتاجرة بالنقود، حتى لا يقع هؤلاء الأفراد في آفة الربا.

منهج الدراسة

سلكتُ في بحثي المنهج الاستقرائي التحليلي، واستندتُ فيه على صياغة النُّصوص قرآنًا وسنة وعلى أقوال وآراء الفقهاء والباحثين في مجال الاقتصاد الإسلامي، واستقراء الأدبيات السابقة لموضوع الدراسة.، جامعًا شتات الموضوع من كتب الفقه قديمها وحديثها، إضافة إلى الكتب الاقتصادية المتعلقة بموضوع الصَّرف والمتاجرة بالنقود، وبيان موقف المجامع الفقهية والمؤسسات العِلْمية حول حكم بيع وشراء العملات.

المقدمة

إنّ النقود ضرورة من ضرورات البشر وحاجاتهم العامة إلى البيع والشراء، فظهور النقود سهّل عمليات تبادل السِّلع والخدمات وقضى على صعوبات نظام المقايضة المعَقَّد، فالإنسان بحاجة إلى وسيط تبادلي يجلب بواسطته السِّلع والمنافع والخدمات فوُجِدَت النقود لتقوم بهذا الدور كونها معيار تُقَوَّم بواسطته السِّلع والمنافع والخدمات.

فالنقود ليست غاية بحدّ ذاتها وإنما هي وسيلة لتلبية مطالب الناس وحاجاتهم. ولكن

مـن الملاحـظ في العـصر الحـالي وخاصـة أثنـاء الأزمـات الاقتصاديـة أنّ هنـاك فئـةً ليسـت بالقليلـة مـن النـاس يقومـون بعمليـات المضارَبـة والمتاجَـرة بالنُّقـود ويجعلونهـا سـلعة تُبـاع وتُشـتَرى في حـين مـا هـي إلا وسـيلة لتبـادل السـلع والخدمـات. ولا شـك بـأنّ التَّـداول بالنقود في عصرنـا الحـالي أمـرٌ لا مفـرّ منـه، فبيـع النَّقـد بالنَّقـد وصرف العُمْـلات أمـرٌ مُسَـهِّلٌ لعمليـات البيع والـشراء، خاصـةً وأنّ العُمْـلات تختلـف قيمتهـا وسـعر صرفهـا مـن بلـدٍ إلى آخـر، ولكـن الخطـورة تَكمُـنُ في انتشـار عمليـات المتاجـرة بالنقـود بـين شريحـة واسـعة مـن النـاس مـن دون الاطـلاع عـلى حُكـم الشريعـة الإسـلامية في هـذه المسـألة ومـن دون الوقـوف عـلى أيـة ضوابـط تضبـط هـذه العمليـات، مـع الملاحظـة أن جعـل النقـود محـلاً للتجـارة يُخْرِجهـا عـن وظيفتهـا الأساسـية ويَجْعلهـا سـلعةً تُبـاع وتُشـتَرى مـما يـؤدي إلى التقليـل مـن الحركـة الاقتصاديـة وتعطيلهـا وركون النـاس إلى التعامـل بالنقـد والقعـود عـن التجـارة والصناعـة والإنتـاج.

مـن هنـا جـاءت هـذه الورقـة البحثيـة، لِتُبَـيِّنَ موقـف الشريعـة الإسـلامية مـن عمليـات تـداول النقـود، ولِتُوضِـح الفـرق بـين عمليـات بيـع النَّقـد بالنَّقـد أو مـا يُعـرَف بالصَّرافـة وبـين عمليـات المتاجـرة والمضاربـة بالنقـود. خاصـة وأننـا في عـصرٍ طَغَـت فيـه أسـواق المـال الغربيـة عـلى أسـواق المـال الإسـلامية، ففـي ظـل مـا نعيشـه مـن اضْطِـراب في هـذه الأسـواق فيـما يتعلـق بتفـاوت أسـعار صرف العُمْـلات، وجـدتُ لزامًـا عـليَّ أن أطـرح هـذه المسـألة بـين يَـديْ المسـلمين، ليقفـوا عـلى رأي الشَّريعـة في هـذا النـوع مـن البيـع الـذي يحتاجـه كل مسـلم في حياتـه اليوميـة، حتـى يكـون عـلى بينـة مـن أمـره، قبـل أن يُقْحِـمَ نفسـه فيـه ويختلـطَ عليـه الأمـر.

فتضمن البحث: مقدمة وتمهيدًا وثلاثة مباحث وخاتمة.

بينـتْ المقدمـة أهميـة النقـود وأوضحـت أنهـا وسـيلة لتلبيـة حاجـات النـاس ومطالبهـم. وعـرّف التمهيـد عنـوان البحـث، وجـاء المبحـث الأول في وظائـف النقـود، والمبحـث الثـاني عـن حكـم بيـع النقـد بالنقـد (الـصَّرف)، والمبحـث الثالـث عـن الآثـار الناتجـة عـن بيـع النقـود والمتاجـرة بهـا. أمـا الخاتمـة، فكانـت لأبـرز نتائـج البحـث وأهـم التوصيـات.

***

التمهيد: التعريف بالبيع، والنُّقود، والصَّرف، والمتاجرة

تقـضي المعالجـةُ العِلميـةُ لأي موضـوعٍ، العنايـةَ بتحديـدِ مُسَـمَّياتِ الألفـاظ والمفاهيم المسـتخدمة. لـذا لا بـد مـن تعريـف مصطلحـات عنـوان البحـث لغـةً واصطلاحًا.

أولًا: تعريف البيع

١- البيـع لغـةً: «هـو إعطـاءُ شيءٍ في مُقابَلَـةِ شيءٍ، أو مُقابلـةُ شيءٍ بـشيءٍ، وأبعْـتُ الـشيْء،

عرضْتُـهُ للبيـع»[2]. فهـو مُطْلَـق المبادلـة. «وهـو ضـدّ الشِّراء. والبيـعُ: الـشِّراءُ أيضًـا، وهـو مـن الأضّـداد. وبعـتُ الـشَّيءَ، شريتُـهُ، وفي القـرآن الكريـم: ﴿ئى ئي بج بح﴾[3] أي باعـوه»[4].

«والـشراءُ والبيـعُ يتلازمـان، فالمشـتري دافـعٌ للثَّمـن وآخـذُ المثَمَّـن، والبائـعُ دافـعُ المثَمَّـن، وآخـذُ الثّمـن، فلفـظُ البيـع والـشراء يُسـتعمل كلُّ واحـدٍ منهـما في موضـع الآخـر»[5].

يتضـح مـن خـلال المعنـى اللغـوي لكلمـة البيـع أنهـا تعنـي (أخـذٌ وعطـاء)، أي إعطـاءُ شيءٍ مـاديٍّ لتأخـذَ مقابلَـه شـيئًا آخـر. وهـو مـن المبادَلـة إمـا بنقـود أو بـشيء آخـر مـاديّ. فهـو عمليـة انتقـال السـلعة أو المنفعـة أو الخدمـة مـن البائـع إلى المشـتري مُقابـلَ عائـدٍ مـاديّ مجـزٍ.

٢- البيـع اصطلاحًـا: «هـو مُبادلـة المـال بالمـال تمليـكًا وتملّـكًا، وهـو الإيجـابُ والقبـول إذا تضمّـن عينـين للتّمليـك»[6]. «وهـو عقـد مُعاوَضـة ماليـة يُفيـد مُلـك عـينٍ أو منفعة عـلى التَّأْبيـد»[7]، فالبيـعُ هـو «مبادلـة مـالٍ ولـو في الذِّمـة أو منفعـة مُباحـة كممـرٍ في دارِ أحدهـما عـلى التَّأبيـد غـير ربًـا وقـرض»[8].

يتضـح مـن خـلال المعنـى الاصْطلاحـي للبيـع، أنّ البيـع هـو مـن المبادلـة، ولا بـد في البيـع أن يقـعَ عـلى مـا يُعتَـبرَ مـالاً شرعًـا، وأن يكـون عـلى سـبيل التَّأبيـد لا التَّأقيـت.

ثانيًا: تعريف النقود

١- النقـود لغـةً: للنقـد في اللغـة معـانٍ عديـدة، فقـد يـأتي النقـد بمعنـى الإعطـاء: يُقـال: «نَقَدْتُـهُ الدّراهِـمَ، ونقـدْتُ لـهُ الدَّراهِـمَ، أيْ أعطيتُـهُ، فانْتَقَدَهـا أي قَبَضَهـا»[9].

وقـد يـأتي بمعنـى التَّمييـز: أي تَمْييـز النَّقـد الصَّحيـح مـن النَّقـد المزيَّـف بإخـراج المزيَّـف منـه. يُقـال: «نَقَـدْتُ الدّراهِـمَ وانْتَقَدْتُهـا. إذا أخرجـتَ منهـا المزيـف»[10].

---

(٢) الحطـاب الرعينـي، شـمس الديـن، أبـو عبـد اللـه بـن عبـد الرحمـن الطرابلـسي، (ت:٩٥٤ه). مواهـب الجليـل في شرح مختـصر خليـل. ط٢. بـيروت: دار الفكـر، (١٤١٢ه=١٩٩٢م). كتـاب البيـوع. ٢٢٢:٤.

(٣) يوسف: ٢٠.

(٤) مرتـضى الزبـدي، محمـد بـن محمـد بـن عبـد الـرزاق الحُسـيني، أبـو الفيـض، (ت:١٢٠٥ه). تـاج العـروس مـن جواهـر القامـوس. تحقيـق: مجموعـة مـن المحققـين. مـصر: دار الهدايـة، د.ت. بـاب: شرى. ٤٥٣:١٠.

(٥) الراغـب الأصفهـاني، الحسـين بـن محمـد بـن المفضـل، (ت: ٥٠٢ه). المفـردات في غريـب القـرآن. ط١. تحقيـق: صفـوان عدنـان داوودي. دمشـق: دار القلـم،١٤١٢ه. بـاب: شَـطَرَ. ٤٥٣:١٠.

(٦) ابـن قدامـة، أبـو محمـد، موفـق الديـن، عبـد اللـه بـن أحمـد، (ت:٦٢٠ه). المُغْنـي. القاهـرة: مكتبـة القاهـرة، (١٣٨٨ه=١٩٦٨م). كتـاب البيـوع. ٤٨:٣.

(٧) الخطيـب الشربينـي، شـمس الديـن، محمد بـن أحمـد، (ت: ٩٧٧ه). مُغْنـي المُحتاج. ط١. بـيروت: دار الكتـب العلميـة، (١٤١٥ه=١٩٩٤م). كتاب البيـع. ٣٢٣:٢.

(٨) ابـن عثيمـين، محمـد بـن صالـح، (ت:١٤٢١ه). الـشرح الممتـع عـلى زاد المسـتقنع. ط١. القاهـرة: دار ابـن الجـوزي، (١٤٢٢ه=١٤٢٨م). بـاب: مبادلـة مـال ولـو في الذمـة أو منفعـة.٨:٩٥.

(٩) الجوهـري، أبـو نـصر، إسـماعيل بـن حـماد، (ت: ٣٩٣ه). الصِّحـاح، تـاج اللغـة وصحـاح العربيـة. ط٤. تحقيـق: أحمـد عبـد الغفـور عطـار. بـيروت: دار العلـم للملايـين، (١٤٠٧ه=١٩٨٧م). مـادة: نقـد. ٥٤٤:٢.

(١٠) المصدر نفسه. ص ٥٤٤.

وقد يأتي النقد بمعنى الوازِنُ الجيد، فالدراهم نقدٌ أي وازنٌ جيدٌ»[11].

يُلاحظ أنّ القاسم المشترك لهذه المعاني اللغوية هو الإبْراز فالإعطاء لا يتحقق إلا ببرُوزِ النَّقد وكذلك قبضهُ لا يتم إلا ببروزه وتميزه عن غيرهِ، أما الوازن الجيد فهو بارزٌ أيضًا، ومن هنا وُصِفَ بكونهِ جيدًا، وقد وَردَ في (مقاييس اللغة) أنّ «النونُ والقافُ والدّال أصلٌ صحيحٌ يدلّ على إبرازِ شيءٍ وبُروزِهِ، ومن الباب: نقدُ الدِّرهَمِ، وذلك أن يُكشَفَ عن مالِهِ في جودته أو غير ذلك»[12].

٢- النقود اصطلاحًا:

للوقوف على المعنى الاصْطلاحي للنقود لا بدّ بداية من تعريف النقود عند علماء الاقتصاد، ثم بعد ذلك يتم عرض المعنى الاصْطلاحي للنقود عند الفقهاء.

فقد عرّف كثيرٌ من الاقتصاديين النقود من خلال وظائفها التي تؤدّيها، فجاءت تعريفاتهم كالآتي:

- النقد: «هو كل ما هو مقبول عمومًا في الدَّفع مُقابِل السِّلع، أو في الإبراء من جميع التِزامات الأعمال»[13].

- النقود هي: «شيء يُستخدَم كوسيط للتبادل»[14].

- هي كل: «شيء يقبله الجميع قبولاً عامًا بحكم العُرف، أو القانون أو قيمة الشيء نفسهُ، ويكون قادرًا على أن يكون وسيطًا في عمليات التبادل المختلفة للسِّلع والخَدمات ويكون صالحًا لتسوية الدُّيون وإبراء الذِّمم»[15].

يتضح من التّعاريف أعلاه أنّ الاقتصاديين متفقون على أنّ الصِّفة الأساسية للنقود هي قبولها قبولاً عامًا، وشيوع استعمالها بين الأفراد والجماعات كوسيط للتبادل.

أما النقود في اصطلاح الفقهاء، فقد تناول الفقهاء موضوع النقود في مواضعَ شَتَّى من كتب الفقه، فقد تحدثوا عنها في باب زكاة الذهب والفضة، وباب الرِّكاز، وباب الرّبا، وغير ذلك، وقد أطلق الفقهاء كلمة النُّقود على الذَّهب والفضة وبعضهم فرّق بين أن يكونا مَضْروبينِ أو غير مَضْروبين، ومن دون الغوص في تعاريف الفقهاء للنَّقود، سأوردُ تعريف

(١١) الجوهري. تاج اللغة وصحاح العربية. مادة: نقد. ص ٥٤٤.

(١٢) ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرَّازي، أبو الحسين، (ت:٣٩٥ه). معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: دار الفكر، (١٣٩٩ه=١٩٧٩م). مادة نقد. ٤٦٧:٥.

(١٣) علي، عبد المنعم السيد، (معاصر). اقتصاديات النقود والمصارف. ط٢. بغداد: مطبعة الديواني،١٩٨٦م. ٢٩:١.

(١٤) إسماعيل، عوض فاضل إبراهيم، (معاصر). النقود والبنوك. الموصل: دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٠م. ص ٢٤.

(١٥) الشمري، ناظم محمد نوري، (معاصر). النقود والمصارف. الموصل: مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٧م. ص ٣٤.

مجلة الأحكام العدلية كونه تعريفًا شاملاً، يُلَخِّصُ آراء الفقهاء حول النقود، فقد ورد فيها: «أنّ النقود جمع نَقد، وهو عبارة عن الذهب والفضة، سواء كانا مسْكوكين، أو لم يكونا كذلك»[16].

وورد في مجلة (مجمع الفقه الإسلامي) تعريف أكثر شمولية وواقعية، بأنها: «كلّ شيء يلقى قبولاً عامًا كوسيط للتبادل، مهما كان الشيء وعلى أي حال يكون»[17] وقد أضاف عليها بعض العلماء أن يكون «مخزنًا للقيم ومقياسًا للأسعار»[18].

وعلى هذا تُعرَّف النقود بأنها كل ما يلقى قبولاً عامًا، وسيطًا للتبادل ومخزنًا للقيمة ومقياسًا للأسعار، على أي صورة كان ومن أي مادة اتُّخِذ، وهذا ما أشار إليه الإمام مالك في المدوّنة: «ولو أنّ الناس أجازوا بينهم الجلودَ حتى تكون لها سِكَّةٌ وعيْنٌ لكَرِهتُها أن تُباعَ بالذَّهبِ والوَرِقِ نَظِرَةً»[19].

من هنا قرّر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي أنّ: «العُمْلة الورقية نقدٌ قائمٌ بذاته لهُ حُكم النَّقديْن من الذَّهب والفضة، ولها صفة الثَّمَنِيَّة. لذلك تأخذ أحكام النقود في كل الالتزامات التي تفرضها الشريعة فيها»[20].

ثالثًا: تعريف الصرف

١- الصرف لغةً: «هو ردُّ الشَّيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره، يُقال: صَرَفْتُهُ فانْصرَفَ»[21] ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾[22] وقد يأتي الصرْفُ بمعنى الإنفاق إذْ يكثر استعماله في باب البيع، يقال: «صَرَفَ المالَ: أنفَقَهُ، والنقد بمثله بدّلهُ»[23]. يتضح من التَّعاريف أعلاه أنّ الصَّرف يعني التبديل والإنفاق، ولا تعارض بينهما، لأنّ الصَّرف مُتَضَمِّنٌ حقيقة البيع، لما في البيع من إنفاق على شراء السلع والخدمات وتبديل وتحويل للسلعة من يد البائع إلى يد المشتري، والثمن من يد المشتري إلى يد البائع.

(١٦) المولى خسرو، محمد بن فرامرز بن علي، (ت:٨٨٥ه). درر الحكام في شرح مجلة الأحكام. تحقيق وتعريف: فهمي الحسيني. بيروت: دار الكتب العلمية. المادة: ١٣٠. ١:١٠١.

(١٧) المنيع، عبد الله بن سليمان بن محمد، (معاصر). مجلة مجمع الفقه الإسلامي. جدة: منظمة المؤتمر الإسلامي، (١٤١٧ه=١٩٩٦م). العدد التاسع. باب: الصرف وبيع الذهب والفضة. ١:٣٩.

(١٨) الأشقر، عمر بن سليمان، (ت: ٢٠١٢م)، وآخرون. بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة. النقود وتقلب قيمة العملة. ط١. عمان: دار النفائس، (١٤١٨ه=١٩٩٨م). ١:٢٦٧.

(١٩) الإمام مالك، مالك بن أنس بن عامر الأصبحي، (ت:١٧٩ه). المدونة. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥ه=١٩٩٤م).٣:٥.

(٢٠) أبو سارة، جميل، (معاصر). قرارات المجمع الفقهي الإسلامي. مكة: رابطة العالَم الإسلامي. قرار رقم: ٢٢(٦/٥) حول العملة الورقية. ١:٢٢. الدورة الخامسة. ٨-١٦ربيع الثاني ١٤٠٢ه.

(٢١) الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن. باب: صرف. ١:٤٨٢.

(٢٢) التوبة: ١٢٧.

(٢٣) مصطفى، إبراهيم، وآخرون. المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. القاهرة: دار الدعوة، د.ت. باب: الصاد. ١:٥١٣.

٢- الصرف اصطلاحًا: «هو بيع النَّقد بالنَّقد مضروبًا أو غير مضروب»[24]. وهو نوع من أنواع البيع جاء في (المبسوط) أنّ: «الصَّرف اسمٌ لنوعٍ بيعٍ، وهو مُبادَلةُ الأثمان بعضها ببعضٍ»[25]. وواضح أنّ إطلاق لفظ الثمن في باب الصرف يُراد به بيع الذهب والفضة أي بيع النقد لأنّ الذهب والفضة هما النقدان السائدان في ذلك الوقت.

ولا بدّ أن يكونا مختلفيْن ومُسْتقِلَيْن بذاتهما [26]. بمعنى إن الصَّرف هو بيع الذهب بالفضة، والفضة بالذهب، فالصرف هو «اسمٌ لبيع أحد النقديْن بالآخر»[27]. أما «إذا بيع الذهب بذهبٍ أو الفضة بفضةٍ سُمّيَت مُراطَلَة، وإذا بيعت الفضةُ بذهبٍ سُمّيَ صَرْفًا»[28].

جاء في مجلة الأحكام العدلية أنَه: «لو أعطى شخصٌ آخر جنيهًا مصريًا أو ليرةً عثمانيةً وأخذ منه مقابلها نقودًا فضّية أو نقودًا ذهبية من (أجزاء الليرة) فذلك البيع هو بيع الصرف»[29].

وقد جاء المفهوم المعاصِر للصرف عند الاقتصاديين متوافقًا مع هذا التعريف فقد جاء في المعجم الوسيط: «الصرف هو مُبادَلَة عُمْلَة وطنية بعُملَة أجنبية، ويُطلَق على سعر المبادلة أيضًا»[30].

رابعًا: تعريف المتاجرة

١- المتاجرة لغةً: هي من التجارة ومعناها: «تقليب المال لغرض الربح»[31].

٢- المتاجرة اصطلاحًا: «هي محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرُّخُص وبيعها بالغلاء»[32].

---

(٢٤) الرَّملي، محمد بن أبي العباس، شمس الدين، (ت:١٠٠٤ه). نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (حاشية الشبراملس). بيروت: دار الفكر، (١٤٠٤ه=١٩٨٤م). ٥:٤.

(٢٥) السرخسي، محمد بن أحمد، شمس الأئمة، (ت:٤٨٣ه). المبسوط. بيروت: دار المعرفة، (١٤١٤ه=١٩٩٣م). كتاب الصرف. ٢:١٤.

(٢٦) هذا رأي المالكية وبعض الشافعية حيث جعلوا الصرف مخصوصًا ببيع النقد بخلاف جنسه وهذا يختلف عن رأي الحنابلة والحنفية وكثير من فقهاء الشافعية الذين عرّفوا الصرف بأنه بيع النقد بالنقد من جنسه أو من غير جنسه. وفي الحقيقة إنّ تعريف المالكية هو الذي يتوافق مع العقل والمنطق خاصة في الاقتصاد المعاصر لأنّ عُمْلَة كل بلد أصبحت مُوَحَّدة من حيث القيمة والإصدار والقوة الشرائية والقوة الإبرائية. أما في القديم فكانت الدَّراهم الفضية والدنانير الذهبية تختلف في أوزانها واحجامها وجودتها فكان تبادل الدينار بمثله لهُ ما يُبرِّره ويدعو إليه. أما مع ضبط العُملة وتوحيدها فلم يعد هناك حاجة لبيع الدينار بمثله لعدم الفائدة فيه.

(٢٧) النووي، أبو زكريا، يحيي بن شرف، (ت:٦٧٦ه). المجموع شرح المهذب. بيروت: دار عالم الكتب، (١٤٢٣ه=٢٠٠٣م). ٥١:١.

(٢٨) النووي. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (١٣٩٢ه). باب: الربا. ج١١. ص ٩-١٠.

(٢٩) المولى خسرو. دُرر الحكام في شرح مجلة الأحكام. المادة:١٢١. ١١٣:١.

(٣٠) مصطفى. المعجم الوسيط. باب الصاد. ٥١٣:١.

(٣١) مصطفى. المعجم الوسيط. باب: التاء. ٨٢:١.

(٣٢) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ولي الدين الحضرمي، (ت: ٨٠٨ه). تاريخ ابن خلدون. بيروت: دار إحياء التراث العربي،

المبحث الأول: وظائف النقود

للنقـود وظائـف عديـدة يمكـن اشـتقاقها مـن تعاريـف الفقهـاء لهـا، فقـد ذكـرتُ في التمهيـد بعضًـا مـن تعريفـات الفقهـاء للنقـود، ومـن خـلال التَّدقيـق في هـذه التَّعاريـف يتبـين أنّ للنقـود وظيفتـيْن رئيسـتَيْن هـما: النقـود وسـيط للمبادلـة، ومقيـاس للقيـم.

فكونهـا وسـيط للمبادلـة، فهـي مـن هـذا المنْطَلَـق تتوسـط عمليـة مبادلـة السـلع والخدمـات بالنقـود (عمليـة البيـع)، ثـم مبادلـة النقـود بالسـلع والخدمـات (عمليـة الـشراء)، فالنقـود هـي مَـنْ تَسْـمَح بمبادلـة سـلعة أو خدمـة بسـلعة أو خدمـة أخـرى بطريقـة غـير مبـاشرة، وبهـذا فهـي تُفَـكِّك عمليـة البيـع والـشراء الموحـدة في ظـل المقايضـة إلى عمليتـيْن منفصِلَتـيْن. فالنقـود وسـيلة إلى المقصـود، جـاء في (حاشـية ابـن عابديـن) «واعلـم أنّ كلاً مـن النَّقديْـن ثمـنٌ أبـدًا»[33]. وجـاء في موضـع آخـر مـن هـذا الكتـاب: «والثمـنُ غـير مقصـود بـل وسـيلة إلى المقصـودِ، إذ الانتفـاع بالأعيـان لا بالأثمـانِ، فبهـذا صـار النَّمـن بمنزلـة آلات الصُّنَّـاع»[34].

إذًا النقـود هـي أداة ووسـيلة وليسـت هدفًـا بحـد ذاتهـا، بـل هـي وسـيلة إلى تحقيـق الهـدف. فالمقصـود مـن النقـود «المعاملـة لا الانتفـاع»[35]. يقـول الإمـام الغـزالي (رحمـه اللـه): «إنّ الدّراهـم والدنانـير لا غـرض في أعيانِهـما، إذ لا تَصْلُـح لمَطْعَـم ولا مَـشْرب ولا مَنكـح ولا ملبـس وإنمـا هـي والحصبـاء بمثابـة واحـدة ولكنهـما محبوبـانِ لأنهـما وسـيلة إلى جميـع المحـابّ»[36].

أمـا الوظيفـة الثانيـة للنقـود فهـي مقيـاس للقيمـة، بمعنـى أنهـا تسـمح بتحديـد عـدد الوحـدات النقديـة اللازمـة التـي تُدفَـع للحصـول عـلى السـلع والخدمـات، وذلـك مـن اهـم مـا يميـز النقـود هـو أنهـا مُعـادِل عـام مُقَيِّـم للسـلع والخدمـات، أي مِقيـاس عـام للقيمـة. وقـد قـدّم الإمـام الغزالي إيضاحًـا وافيًـا يبـين مـن خلالـه أهميـة النقـود كمخـزن للقيـم فيقـول: «خَلَـقَ اللـه تعـالى الدراهم والدنانـير وبهـما قـوام الدنيـا وهـما حجـرانِ لا منفعـة في اعيانهـما ولكـن يضطـر الخَلْـق إليهـما، مـن حيـث أنّ كلّ إنسـانٍ مُحتـاج إلى أعيـانٍ كثـيرة في مَطْعَمـهِ وملبسـهِ وسـائر حاجاتـه، وقـد يعجـزُ عـمّا يحتـاج إليـه، ويملـك مـا يسـتغني عنـه، كمـن يملـك الزَّعفـران مثـلاً وهـو مُحتـاج إلى جمـلٍ يركبـه والعكـس صحيـح، ولا مُناسـبة بـين الزَّعفـران والجمـل حيـث يُقـال يُعطـى منـه مثلـه في الـوزن أو الصـورة، فـلا يـدري كـم يسـاوي الجمـل بالزعفـران فتتعـذَّر المعامـلات. فافتقـرت هـذه الأعيـان المتنافـرة المتباعـدة إلى متوسـط بينهـما، لذلـك خلـق اللـه الدنانـير والدراهـم حاكمـيْنِ

د.ت. ٣٩٤:١.

(٣٣) ابـن عابديـن، محمـد بـن عمـر بـن عبـد العزيـز، (ت:١٢٥٢ه). رد المحتـار عـلى الـدر المختـار (حاشـية ابـن عابديـن). ط٢. بـيروت: دار الفكـر، (١٤١٢ه= ١٩٩٢م). ٥٣١:٤.

(٣٤) ابن عابدين. رد المحتار على الدر المختار. كتاب البيوع. ٥٠١:٤.

(٣٥) ابـن رشـد الحفيـد، أبـو الوليـد محمـد بـن أحمـد، (ت: ٥٥٩٥). بدايـة المجتهـد ونهايـة المقتصـد. القاهـرة: دار الحديـث، (١٤٢٥ه=٢٠٠٤م). ١٢:٢.

(٣٦) الغـزالي، محمـد بـن محمـد الغـزالي الطـوسي، أبـو حامـد، (ت: ٥٥٠٥). إحيـاء علـوم الديـن. بـيروت: دار المعرفـة. كتـاب: ذم الجـاه والريـاء. ٢٧٩:٣.

ومتوسِطَيْنِ بين سائر الأموال حتى تُقدَّر الأموال بهما. فيُقال هذا الجمل يساوي مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يساوي مائة فهما من حيث أنهما متساويان بشيء واحد إذن متساويان، وإذا أمكن التعديل بالنقديْن، فخلقهما الله لتتداولهما الأيدي ويكونا حاكِمَيْنِ بين الأموال بالعدل ولحكمة أخرى وهي التَّوسل بهما إلى سائرِ الأشياء»[37].

من هنا تُعتَبرَ النقود مقياسًا للقيمِ ومعدلاً للاستبدال، وخاصة بين السلع الكبيرة الحجم التي تصعب تجزئتها إلى وحداتٍ صغيرة دون أن تفقد قيمتها. لذلك «لما عَسُرَ إدْراكُ التساوي في الأشياءِ المختلِفةِ الذواتِ، جُعِلَ الدينار والدرهم لتقويمها (أي لتقديرهما)»[38].

من خلال وظيفة النقود كمقياس للقيم تم القضاء على صعوبات نظام المقايضة، وتحررت عمليات التبادل من قيد البحث عن الطرف الآخر الرَّاغب في المبادلة الرَّاضي آنيًا بما يعرضه الطرف الأول، وهذا يوسع آفاق التبادل وييسّره.

من هنا تُعتبر النقود وسيط للمبادلة ومقياسًا للقيم، وهاتان الوظيفتان الرَّئيستان لها. ومنهما تتفرّع وظيفتان أخريان:

أولهما: مخزن للقيم: فالنقود هي أداة لتخزين القيم، فالإنسان قد ينتج أو يملك قيمًا تفيض عن حاجته الآنية، لذا فهو يفكر في ادِّخارها لحين احتياجه إليها، أو لحين احتياجه إلى ما يمكنها احرازه من السلع الأخرى، ولكن ليست كل السلع المنتَجة تقبل التخزين بسهولة وبدون تكاليف، ولأجل ذلك كانت النقود، فهي تتمتع بخاصِيّة صلاحيتها للتخزين، فالقيم الأخرى حتى وإن كان بعضها يقبل التخزين، فقد لا يستطيع الإنسان أن يلبيَ حاجاتهِ منها لأنها لا يمكن تحويلها إلى سيولة بشكل سريع أما النقود فهي سيولة بحد ذاتها، ويستطيع الإنسان أن يشتري بها أي سلعة أو خدمة يريدها دون أن ينتظر وقت معين. كما أنها تتميز بسهولة حفظها.

وثانيهما: تسديد الديون، أي هي وسيلة للدفع الآجل، وهذه الوظيفة إنما تنهض على أساس قبول الناس بالنقود كعوض لما لهم في ذمم الآخرين من حقوق ولو كان هذا العوض مؤجلاً. إنّ قبول الناس بالنقود لهذا الغرض هو نابعٌ من قدرة النقود في حفظ حقوقهم فهي مخزن للقيم ولها القابلية في التحول إلى أي شيء يرغبونه وبلا عناء. فالنقود مثلما هي أداة صالحة لتسوية المبادلات الآنِيَّة فهي أداة مناسبة لتسوية المبادلات الآجِلة.

المبحث الثاني: حكم بيع النَّقد بالنَّقد (الصَّرف)

الأصل في الصَّرف أنه مَشْروع على سبيل الإباحة، ولكن قد يصير محرمًا إذا اشتُرِطَ فيه تأجيل قبض أحد البدليْن، أو مندوبًا لقضاء حاجة المضّطر إلى الحصول على جنسٍ آخر من

(٣٧) المصدر نفسه. باب: تمييز ما يحبه الله عما يكرهه. ٤:٩١.

(٣٨) ابن رشد الحفيد. بداية المجتهد ونهاية المقتصد. 151:3.

ا لنَّقد .

والأدلة على مَشْروعية بيع النّقد بالنَّقد ثابتة بكتاب الله (عزَّ وجلَّ)، وسنة نبيّه ﷺ، ومن المعقول.

فمن الكتاب وَرَدَ قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[39] فالآية تُبيّن أنّ جميع أنواع البُيوع مُباحة إذا كانت خالية من الرِّبا أو من البيوع المحرّمة، وبيع النقد بالنقد هو نوعٌ من أنواع البيوع إذن هو مشروع بدلالة هذه الآية، طالما أنّ الصّرف ليس فيه ظُلْمٌ للناس أو أكل لأموالهم بالباطل وما دام كذلك فهو من البيع الحلال.

وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ﴾[40]. ففي هذه الآية نهى الله (عزّ وجلّ) المؤمنينَ أن يأكلوا أموالهم بعضهم ببعض بغير وجه حق، وقد استثنى من ذلك أخذ الأموال عن طريق التجارة الحلال إذا توافر فيه شرط الرِّضا، فالتجارة الحلال هي المستثناة في هذه الآية، والصَّرف نوع من أنواع البيع والتجارة وليس فيه ظلم للناس إذا كان ضمن شروط معينة، فيعتبر مُباحًا بِنَصّ الآية التي تحدثت بشكل عام عن التجارة الحلال التي فيها رضى لكلا الجانبين.

أما السنة النبوية، فقد وردت أحاديث كثيرة تدل على إباحة الصرف منها:

- قول رسول الله ﷺ: «لا تبيعوا الذَّهبَ بالذَّهبِ إلا سواءً بسواءٍ، والفِضَّةَ بالفِضَّةِ إلا سواءً بسواءٍ، وبيعوا الذَّهبَ بالفضَّةِ، والفضَّةَ بالذَّهبِ كيف شئتم»[41]. دلّ هذا الحديث على جواز بيع الذهب بالفضة والفضة بالذهب وهذا هو الصَّرف.

و«عن مالك بن أوس بن الحدثان[42] (رضي الله عنه) أنه التمَسَ صرفًا بمائةِ دينارٍ، قال: فدعاني طلحةُ بنُ عبيد الله، فتراوضْنا حتى اصْطَرَفَ مني، فأخذَ الذَّهبَ يُقَلِّبُها في يده ثم قالَ: حتى يأتيَ خازني منَ الغابة، وعمرُ يسمعُ ذلك، فقالَ: والله لا تفارقُهُ حتى تأخذَ منه، قال رسول الله ﷺ: الذَّهبُ بالذَّهبِ ربًا إلا هاءَ وهاءَ[43]، والبرُّ بالبرِّ ربًا إلا هاء وهاء

(٣٩) البقرة:٢٧٥.

(٤٠) النساء: ٢٩

(٤١) البخاري، محمد إسماعيل أبو عبد الله، (ت:٢٥٦ه). صحيح البخاري. ط١. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. بيروت: دار طوق النجاة،١٤٤٤ه. كتاب البيوع. باب: بيع الذهب بالذهب. ٣:٧٤. ح:٢١٧٥.

(٤٢) هو أبو سعيد، مالك بن أوس بن الحدثان بن الحارث بن عوف النصريُّ، المدني، الفقيه، الإمام الحُجَّة، أدرك حياة النبي ﷺ واخْتُلِفَ في صحبته. حدَّثَ عن جماعة من الصحابة منهم: عمر، وعلي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وغيرهم. حدّثَ عنه: الزّهري، ومحمد بن المنكدر، وآخرون. شهد فتح بيت المقدس مع عمر. اشتهر بالبلاغة والفصاحة. توفي بالمدينة سنة ٩١ه أو ٩٢ه. ينظر: الذهبي، أبو عبد الله، شمس الدين، (ت:٧٤٨ه). سير أعلام النبلاء. ط١. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٠٥ه=١٩٨٥م). ج٤. ص ١٧١-١٧٢. والحافظ المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، جمال الدين، (ت:٧٤٢ه). تهذيب الكمال في أسماء الرجال. ط١. تحقيق: بشار عواد معروف، (١٤٠٠ه= ١٩٨٠م). ج٢٧. ص ١٢١-١٢٤.

(٤٣) هاء وهاء: يقول أحدهما هاء يعني خذْ، ويقول الآخر هاء يعني: هات. والمُراد أنهما يتقابضانِ في المجلس قبل التَّفرق. البخاري. صحيح البخاري. كتاب البيوع. باب: ما يذكر في بيع الطعام. ٣:٦٨.

والشـعيرُ بالشـعيرِ رِبًـا إلا هـاءَ وهـاءَ، والتمـرُ بالتمـرِ رِبًـا إلا هـاءَ وهـاءَ»[44].

فـدل عـلى أنّ الـصَّرف مَـشْروع طالمـا أنـه حصـلَ في نفـس المجلـس، أي سَـلِّم وتسـلم (خُـذْ وهـات) بدليـل أنّ سـيدنا عمـر بـن الخطـاب (رضي اللـه عنـه) نهـاه أن يسـلمه الذهـب وبعـد فـترة مـن الزمـن يسـتلم الفضـة. «فطلحـة لم يكـن يعلـم أنّ التَّقابـض في المجلـس شرطٌ في صحـة عقـد الـصَّرف، فـأراد أن يُصـارِفَ صاحـبَ الذهـبِ. فيأخُـذَ الذهـبَ ويؤخِـرَ دفْـعَ الدَّراهِـم إلى مجـيءِ الخـادمِ فإنمـا قالـهُ لأنـهُ ظـنَّ جـوازَهُ كسـائرِ البياعـات، ومـا كان بَلَغَـهُ حكـم المسـألة فأبلغـهُ إيـاهُ عمـر(رضي اللـه عنـه)، فَـترَكَ المصارَفَـةَ»[45].

وعـن عـلي (رضي اللـه عنـه) قـال: «قـال رسـول اللـه ﷺ: الدينـار بالدينـار، والدرهـم بالدرهـم لا فضـل بينهـما، مـن كانـت لـه حاجـة بـورق فليصرفهـا بذهـبٍ، وإن كانـت لـه حاجـة بذهـبٍ فليصرفهـا بـورق والـصرفُ هـاءٌ وهـاءٌ»[46].

فـدلّ الحديـث عـلى جـواز الـصرف بدليـل قولـه ﷺ: (فليصرفهـا)، جـاء بصيغـة الأمـر ليقـضيَ حاجـة المحتـاج، فـدلّ الحديـث عـلى أنّ بيـع النقـد بالنقـد إذا كان التَّقابُـض والتسـلم والتسـليم في نفـس المجلـس فهـو منـدوب، مـن هنـا أراد النبـي ﷺ أنّ يـدلَّ المسـلمين عـلى مَخْـرج مـن الوقـوع في الربـا عنـد بيـع الذهـب أو الفضـة بجنسـه أو بغـير جنسـه. قـال ﷺ: «الذهـبُ بالذهـبِ وزنًـا بـوزنٍ، مثـلاً بمثـلٍ، والفضـةُ بالفضـةِ وزنًـا بـوزنٍ مثـلاً بمثـلٍ، فمـن زادَ أو اسـتزاد فهـو ربًـا»[47] فهـذا الحديـث يـدلّ عـلى أنّ الزيـادة الحاصلـة عنـد مُبادلـة النَّقـد بجنسـهِ يُعَـدّ رِبًـا.

قـال رسـول اللـه ﷺ: «الذهـبُ بالذهـبِ، والفضـةُ بالفضـةِ، والـبرُّ بالـبرِّ، والشَّـعيرُ بالشَّـعيرِ والتمـرُ بالتمـرِ والملـحُ بالملـح، مثـلاً بمثـل يـدًا بيـد، فمـن زاد أو اسْـتزاد فقـد أرْبى الآخِـذُ والمعطـي فيـه سـواء»[48] وفي روايـة أخـرى يزيـد بقولـه: «إلا مـا اختلفـت ألوانُـهُ»[49].

وبهـذه الأحاديـث النبويـة الشريفـة، يتبـيّن بـأن بيـع الأثمـان بعضهـا ببعـض جائـزٌ إذا توافـرت فيهـا شروط صحتـه وهـذا هـو الـصرف، فقـد سُـئل رسـول اللـه ﷺ عـن الـصَّرف فقـال: «إذا كان يـدًا بيـدٍ فـلا بـأس، وإن كان نسـاءً فـلا يَصْلـح»[50]، فهـذا نـصٌ ظاهـرٌ في مشروعيـة الـصرف إذا توافـرت فيـه الـشروط. كـما أنّ أغلـب الفقهـاء أجمعـوا عـلى جـواز الـصَّرف وإباحتـه، «فليـس في

(٤٤) البخاري. صحيح البخاري. كتاب البيوع. باب: بيع الشعير بالشعير. ٣:٧٤. ح: ٢١٧٤.

(٤٥) النووي. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. كتاب البيوع. باب: الربا. ١١:١٣.

(٤٦) الدارقطني، علي بن عمر، أبو الحسن، (ت:٣٨٥ه). سنن الدارقطني. ط١. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٢٤ه=٢٠٠٤م). كتاب البيوع. ٣:٤٢١. ح:٢٨٨٠. قال الألباني صحيح. ابن ماجة، أبو عبد الله، (ت: ٢٧٣ه). سنن ابن ماجة. ط١. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الجيل، (١٤١٨ه=١٩٩٨م). ٣:٥٨٨. ح:٢٢٦١.

(٤٧) مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١ه). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب المساقاة. باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا. ٣:١٢١٢. ح:١٥٨٨.

(٤٨) المصدر نفسه. كتاب: المساقاة. باب: الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا. ٣:١٢١١. ح:١٥٨٤.

(٤٩) اختلفت ألوانه: يعني أجناسه. ينظر: المصدر نفسه. ٣:١٢١١. ح:١٥٨٨.

(٥٠) البخاري. صحيح البخاري. كتاب المساقاة. باب: التجارة في البرّ. ٣:٥٥. ح:٢٠٦٠. نساءً: أي متأخرًا. ينظر: المصدر نفسه.

الـصرف اختـلاف»[51].

ومـما يـدل عـلى **انعقـاد الإجـماع** عـلى مشروعيـة الـصرف مـا نُقـلَ مـن الإجـماع عـلى بعـض المسـائل المتعلقـة بالـصرف فمثـلاً. يُفسَـد الـصَّرف إذا لم يتـم التَّقابُـض قبـل التفـرق، فقـد وردَ في كتـاب (الإجـماع): «وأجمعـوا أنّ المتصارِفَـيْن إذا تفرقـا قبـل أن يتقابضـا، أنّ الـصرف فاسـد»[52]. فلا يُعقَـل أن يكـون الإجـماع منعقـدًا عـلى فسـاد الـصرف إذا لم يتـم التَّقابُـض قبـل التفـرق دون أن يكـون انْعَقـدَ ابتـداءً عـلى مشروعيـة الـصرف نفسـه.

أمـا مـن المعقـول: فالعقـل والمنطـق يـدلان عـلى مشروعيـة الـصرف لأنّ النـاس بحاجـة إليـه، «وحاجـات النـاس تنـزل منزلـة الـضَّرورة»[53]. والـصرف يُحقِّـق مصالـح العِبـاد ويعمـل عـلى تيسـير مُعاملاتهـم، وذلـك لقضـاء حاجاتهـم، فقـد يكـون شـخص بحاجـة إلى ذهـب وليـس معـه إلا فضـة، كـما أنّ الـصرف يجـري آلاف المـرات يوميًـا ولا غنـى عنـه في عصرنـا الحـاضر، وذلـك لكـثرة تنقّـل النـاس بـين البلـدان، فربمـا يكـون معهـم عُمْلـة بلدانهـم الأصليـة فيحتاجـون إلى عملـة البلـد المسـتضيفة لهـم، فـلا يسـتطيعون الـشراء ولا قضـاء حوائجهـم إلا بمبادلـة العمـلات بعضهـا ببعـض، وهـذا هـو الـصرف.

وبعـرض الأدلـة مـن الكتـاب والسـنة وإجـماع الفقهـاء ومـن المعقـول، يتبـيّن بـأن بيـع النقـد بالنقـد مُبـاحٌ وجائـزٌ شرعًـا. ولكـن قـد يصبـح الـصرف غـير مبـاح وقـد يصبـح حرامًـا إذا تـم الإخـلال بالـشروط التـي ينبغـي أن تتوفـر فيـه. فمـن خـلال الأحاديـث النبويـة الشريفـة التـي ذَكَرتُهـا أعـلاه وإجـماع الفقهـاء يتبـين بـأنّ للـصرف شروط يجـب توافرهـا حتـى يكـون جائـزًا ومـن هـذه الـشروط مـا يـلي:

- التّقابض قبل الافتراق:

يُشـترط في عقـد الـصرف قبـض البَدَلـين جميعًـا قبـل مفارقـة أحـد المتَصارفـين للآخـر، منعًـا مـن الخصومـة والمنازَعـة والوقـوع في الرِّبـا، فـإن افـترق المتَعاقِـدانِ قبـل قبـض العَوضـيْن أو أحدهـما فسـد العقـد عنـد بعـض الفقهـاء وبطـلَ عنـد البعـض الآخـر. كي لا يصبـح العقـد بيعًـا للدَّيْـن بالدَّيْـنِ فيحصـل الرِّبـا. فيصبـح البيـع في هـذه الحالـة غـير جائـز. «وقـد أَجْمَـعَ أهـلُ العلـمِ عـلى أَنّ بيـعَ الدَّيْـن بالدَّيْـنِ لا يجـوزُ»[54].

(٥١) الترمـذي، محمـد بـن عيـسى بـن سـورة بـن مـوسى، (ت: ٢٧٩ه). سـنن الترمـذي. تحقيـق: أحمـد محمـد شـاكر وآخـرون. ط٢. مـصر: مكتبـة ومطبعـة مصطفـى البـابي الحلبـي، (١٣٩٥ه=١٩٧٥م). بـاب: مـا جـاء في الـصرف. ٣:٥٣٤.

(٥٢) ابـن المنـذر، أبـو بكـر محمـد بـن إبراهيـم، (ت: ٣١٩ه). الإجـماع. ط١. تحقيـق: خالـد بـن محمـد المـصري. القاهـرة: دار الآثـار، د.ت. كتـاب البيـوع. ١:١١٠.

(٥٣) السـيوطي، عبـد الرحمـن بـن أبي بكـر، جـلال الديـن، (ت: ٩١١ه). الأشـباه والنظائـر. ط١. بـيروت: دار الكتـب العلميـة، (١٤١١ه=١٩٩٠م). ١:٨٨.

(٥٤) ابـن قدامـة المقـدسي، أبـو محمـد، موفـق الديـن، عبـد اللـه بـن أحمـد، (ت: ٦٢٠ه). المغنـي. القاهـرة: مكتبـة القاهـرة. (١٣٨٨ه=١٩٦٨م). ٤:٣٧.

فقد «نُهيَ عن بيع الكالئ بالكالئ، وهو الدين المؤخر بالدين المؤخر، لأنه ذريعة إلى ربا النسيئة، فهذه الصورة المنهي عنها ذريعة إلى تضاعف الدّين في ذِمَّة واحد منهما في مقابلة تأجيله وهذه مفسدة ربا بعينها»[55].

- التماثل عند اتحاد الجنس:

إذا بيعَ الجِنس بالجنس كفضَّة بفضَّة أو ذهبٍ بذهبٍ، فلا يجوزُ إلا مثلاً بمثل وزنًا لحديث رسول الله ﷺ المذكور سابقًا: «الذَّهب بالذَّهب وزنًا بوزن، مثلاً بمثل». وفي الحقيقة إنّ هذا الشَّرط بالرُّغم من أنه جائزٌ شرْعًا، إلا أنه غير واقعي في العصر الحاضر، لأنه لا يوجد عاقلٌ يقوم ببيع دولارًا واحدًا بدولارٍ واحدٍ مثله، وحتى في السابق فإنّ الدَّنانير والدَّراهم لم تكن على درجة واحدة من حيث الوزن والجودة، فلا يوجدُ مَنْ يبيع دينارًا بدينار إلا إذا كان في أحد الدينارين مزيَّة زائدة على ما يُقابله من الدنانير، كأن يكون أجود صياغة أو أدق صناعة، بحيث تكون هذه الزيادة هي الدَّاعي إلى صَرْف الدينار بمثله طَمَعًا في الحصول على الدينار ذات الصِّفات الجيدة، وبالرغم من ذلك فإنّ ذلك لا يُتَصَوَّر جَرَيانه، «فصاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرَّديء فلا ينتظم العَقْد، وإنْ طَلَبَ زيادة في الرَديء، فذلك مما قد يقصده، فلا جَرَمَ نَمْنَعهُ منه، ونحكم بأنّ جيّدها وردئها سواء، فكل من عامل معاملة الرِّبا على الدراهم والدنانير، فقد كَفَرَ النعمة وظلم. إذْ طلب النقد لغير ما وُضع له ظُلْمٌ»[56].

فالزيادة التي تُؤخَذ عند بيع النقد بالنقد من جنسٍ واحدٍ **حرام**، لأنها تُعتَبرَ من الرِّبا. والإخلال بشرط التماثل عند اتحاد الجنس ينتج عنه ربا الفضل.

- ألا يكون فيه خيار شَرْط:

إنّ وجود شرط الخيار في عقد الصَّرف يؤدي إلى فساد الصَّرف فلا يجوز أن يشترط المتَعاقِدان أو أحدهما في العقد مُدَّة معلومة بحيث يكون لصاحب الخيار «الحق في إمضاء العقد أو فسخه»[57] خلال هذه المدة.

و»خيار الشَّرط هو البيع فيما لا يُشترَط فيه القبض في المجلس، والصرف لا يدْخله خيار الشرط»[58]. وهو لا يحتمل التأجيل والخيار يقتضي التأجيل لذلك «فالتَّخاير هو إلزام العقدِ

(٥٥) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، شمس الدين، (ت:٧٥١ه). إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. تحقيق: محمد حامد الفقي. الرياض: مكتبة المعارف، د.ت. ٣٦٤:١.

(٥٦) ينظر: الغزالي. إحياء علوم الدين. باب: بيان ما يحبه الله تعالى عما يكرهه. ٩٢:٤.

(٥٧) الخطيب الشربيني. مغني المحتاج. باب: الخيار. ٤٠٢:٢.

(٥٨) ينظر: ابن قدامة المقدسي. المغني. فصل أنواع العقود التي يدخل فيها الخيار. ٥٠٥:٣.

قبل التَّقابض كالتَّفرق قبلهُ»[59].»فإن شُرِطَ الخيارُ في عقد الصَّرف، للعاقديْن أو لأحدهما فَسَدَ الصَّرفُ، لأنّ القبض في هذا العقد شرطُ بقائِهِ على الصِّحةِ، وخيارُ العقدِ يمنعُ انعقادَ العَقْدِ في حقِّ الحُكْمِ فيمنعُ صحة القبض»[60]. وبالتالي، «لا يجوزُ الخيار في عقد الصرف لأنه يُشترط فيهِ القبض قبل التَّفرق بالأبدان وذِكْر الخيار ينافي القبض»[61].

- خُلُو عقد الصَّرف من الأجل: إنّ وجود الأجل في عقد الصَّرف للمتعاقدَيْن أو لأحدهما يجعله فاسدًا، «لأنّ قبض البدليْن مستحقٌ قبل الافتراق، والأجل يُقْدِمُ القبضَ فيفسُدُ العَقْدُ»[62]. «فشرط الأجل يُفسد الصّرف»[63].

ومن الأحاديث الدالة على منع الأجل في عقد الصّرف قول رسول الله ﷺ عندما سُئِلَ عن الصَّرف فأجاب: «إن كانَ يدًا بيد فلا بأس وإن كانَ نِساءً فلا يَصْلح »[64]، وقوله: إن كان نساءً فلا، أيْ فلا يجوزُ بيع الذهب والفضة إذا كان في البيع أجل وإلا لما كان لقوله (يدًا بيد) معنى. والنسيئة معناها التَّأخير والأجل، فقد عبر بعض العلماء عن الأجل بلفظ النسيئة. وورد في لسان العرب أنّ النسيئة هي «التأخير يُقال نسَأْتُ الشَّيء فهو مَنْسوءٌ إذا أخَّرْتُهُ. ونسأ اللهُ في أجَلِهِ وأنسأ أجلَهُ أخّرَه. والرِّبا في النسيئة هي البيع إلى أجلٍ معلوم»[65]. لذلك يُشترط في عقد الصرف أن يكون البدلان حاليّيْن، فلا يجوز للعاقِديْن أو لأحدهما اشتراط التأجيل.

المبحث الثالث: الآثار الناتجة عن عمليات بيع النقود والمتاجرة بها.

إنّ القصد من المتاجرة في العملة هو الربح نتيجة التَّفاعل الطبيعي بين قوى العَرض والطَّلب في الأسواق، وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ اكتساب المال من سائر الوجوه المشروعة للإنفاق منه والارتفاق به في شتى مناحي الحياة، أمرٌ تدعو إليه الشريعة، وتشجّع عليه. فاكتساب المال ينبغي أن يكون من طُرُق مشروعة وليست مُلْتَوية، لتسهيل عمليات

(٥٩) الخطيب الشربيني. مغني المحتاج. باب: الربا. ٣٦٦:٢.

(٦٠) الكاساني، علاء الدين، مسعود بن أحمد، (ت: ٥٨٧ه). بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٦ه= ١٩٨٦م). فصل في شرائط الصرف. ٢١٩:٥.

(٦١) الزُّحيلي، وهبة بن مصطفى، (ت: ٢٠١٥م). الفقه الإسلامي وأدلته. ط١٢. دمشق: دار الفكر، ---. باب: الخيار المشروع. ٣٥٣٥:٥.

(٦٢) الكاساني. بدائع الشرائع. فصل في شرائط الصرف. ٢١٩:٥.

(٦٣) البلخي، نظام الدين، (ت:١٠٣٦ه). الفتاوى الهندية. ط٢. مصر: دار الفكر، ١٣١٠ه. الباب الأول: في تعريف الصرف وركنه وحكمه. ٢١٨:٣.

(٦٤) البخاري. صحيح البخاري. كتاب المساقاة. باب: التجارة في البر. ٥٥:٣. ح: ٢٠٦٠.

(٦٥) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، (ت: ٧١١ه). لسان العرب. تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون. القاهرة: دار المعارف، د.ت. فصل النون. ج٦. ص ٤٤٠٣-٤٤٠٤.

البيع والشراء وبعض المعاملات، وبالرغم من أنّ غالبية الفقهاء أجازوا وأباحوا بيع النقود والمتاجرة بها بشروط معينة إلا أنّ لهذه العمليات آثارًا خطيرة وأضرارًا كبيرة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي.

ولا بدّ من التفريق بين المتاجرة بالعملة أو المضاربة [66] عليها، وبين عقد صرف النقود أو العملات. فالمتاجرة بالعملة تعني «بيع وشراء العملات بهدف الربح»[67] وبناءً على هذا، لا يدخل في المتاجرة في العملة عقد صرف النقود لأنه قد لا يُقصَد به الربح. وعليه فإنّ المتاجرة بالعملة والمضاربة عليها لها آثار سلبية ومدمرة على اقتصاديات الدول، فلم تعد تلك المضاربة مجرد عمليات فردية تُحْدِثُ آثارًا محدودة، وإنما أصبحت عمليات ضخمة توجه سوق العملة حسبما تريد. وهذه المؤسسات التي تقف خلف المضاربات في العملة أصبحت الآن تُنافس بقوة المؤسسات الإنتاجية، بل تتغلب عليها في أحايينَ كثيرة، ومما يسّرَ لها ذلك ضخامة ما تحققه من أرباح، وعدم تحملها أية تكاليف، إضافة إلى صعوبة سيطرة الدولة على قيمة عملتها، فالخداع والتضليل والتغرير بصغار المضارِبين وإطلاق الشَّائعات غير الحقيقية أصبح جزءًا من ثقافة هؤلاء المتعاملين، وأصبحت هذه الأساليب المضلِّلَة تُمارَس بحرفيّة عالية. فالمضاربة على العملة إذا لم تُمارس ضمن الضوابط الشرعية للمتاجرة بالعملة تصبح سلوكًا غير حميد ويؤدي إلى مشاكل مادية على المستوى الفردي وعلى مستوى المؤسسات المالية وعلى السوق المالية ككل.

ولا بد من ذِكر بعض الآثار السلبية الناتجة عن عمليات المتاجرة بالنقود والمضاربة عليها، وخاصة أثناء الأزمات المالية والاقتصادية. وهنا أتحدث عن التجارة بالنقود من دون إذن السلطات النقدية، خاصة إذا كانت هذه السلطات تحذر من العمل في هكذا تجارة أو قد حصرت العمل بها ضمن شروط معينة. وفيما يلي أهم هذه الآثار:

- ارتفاع أسعار السلع والخدمات بسبب شُح العملة وتهافت الناس على شراء واحتكار العملات الصعبة.

- تدهور سعر صرف العملة الوطنية مما يؤثر على قيمة الأصول الاقتصادية العينية والمالية للاقتصاد، فينخفض سعر الأصول ويشتريها الأجانب بسعرٍ بَخس، «وانخفاض سعر الأصول العينية نتيجة تدهور قيمة العملة يؤدي إلى الإقدام على البيع وزيادة المعروض، مما يؤدي إلى الانهيار في قيمة العملة نتيجة الضغط عليها فتهبط قيمتها، وبالتالي تهبط قيمة الأوراق المالية المقَوَّمَة بالعملة المحلية وحينئذٍ يتدخل المضارِبون لشراء الأصول بأثمان بَخسة لا تصل لنصف قيمتها»[68].

(٦٦) إن مصطلح المضاربة هنا لا يعني المضاربة التي شجع عليها الشرع الإسلامي والتي تتلخص في تقديم مبلغ من المال لطرف آخر من أجل الاستثمار في إحدى المشروعات المُنتجة. أما المضاربة هنا فهي ترجمة للمصطلح الأجنبي (speculation) والتي تعين المقامرة والمخاطرة.

(٦٧) ابن عفانة، حسام الدين بن موسى، محمد، (معاصر). يسألونك عن المعاملات المالية المعاصرة. ط١. القدس: المكتبة العلمية، (١٤٣٠ه= ٢٠٠٩م). باب: حكم بيع العملات بالهامش. ٢٢٧:١.

(٦٨) دنيا، شوقي أحمد، (معاصر). المضاربات على العملة ماهيتها وآثارها وسبل مواجهتها. مجلة مجمع الفقه الإسلامي. جدة:

- تدهور مستويات المعيشة وتدهور معدلات النمو الاقتصادي.

- زيادة نسبة البطالة والعاطِلين عن العمل لأسباب كثيرة، منها لُجوء عدد لا بأس به من الأفراد إلى العمل في عمليات صرف النقود والمضاربة عليها مما يؤدي إلى احتكار العملات وارتفاع أسعار الصرف، وهذا بدوره يؤدي إلى إفلاس العديد من المؤسسات والشركات فيفقد العديد من العمال وظائفهم. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ لجوء الناس إلى العمل في عمليات المضاربة على العملة يجعلهم يفضلون الكسب من خلال هذه المهنة، ولكن عندما تنتهي الأزمة الاقتصادية يصبحون دون عمل نتيجة تركهم لوظائفهم وأعمالهم الرئيسة التي كانوا يزاولونها قبل العمل بتجارة العملة.

- تآكل الاحتياطات النقدية بالعملة الصعبة، وتأثُّر الاقتصاد وتزايد حدة المديونية الخارجية مع ما يرافق ذلك من ضرب سيادة الدول المدينة.

- تحول في طبيعة النشاط الاقتصادي من الصناعة والزراعة لتكون الأنشطة الأكبر من حيث الفئات العاملة هي (تجارة العملة)، مما يُسبب أضرارًا على المدى الطويل للاقتصاد والصناعة المحلية بسبب التوسع في الاعتماد على الواردات من الخارج.

هذه بعضٌ من الآثار المترتبة على عمليات المضاربة والمتاجرة بالعملة، وفي الحقيقة هناك آثار كثيرة تنتج عن الاتجار بالعملة ولكن الذي يعنيني في هذه الدراسة هو لجوء عدد من الأفراد والتجار إلى القيام بعمليات التجارة بالعملة وشراء العملات الأجنبية بهدف تخزينها واحتكارها حتى يغلوَ ثمنها، خاصة في ظل احتياجها من قبل المستوردين الذين يطلبون هذه العملات الصعبة من اجل الوفاء بالتزاماتهم الخارجية، وهذا بلا شك يؤدي إلى الإضرار بالاقتصاد الوطني، من هنا يضطر هؤلاء المستوردون إلى شراء العملات الأجنبية بأي ثمن حتى يستطيعوا الوفاء بما عليهم من التزامات، وتحميل المواطنين فُروق الأسعار، وهذا يؤدي إلى الإضرار بالمواطنين بصورة كبيرة خاصة في ظل الأزمات الاقتصادية التي تمر بها هذه الدولة أو تلك.

إنّ عمليات المضاربة على العملة واحتكارها وتخزينها تُؤدي إلى أضرار خطيرة، خاصة في ظل السوق الخفيَّة أو ما يُعرَف بالسوق السوداء هذه السوق التي تعتمد على ترويج الإشاعات الكاذبة، فمثلاً يتم الإعلان عن أنّ قيمة عملة دولةٍ ما سوف تنخفض، مما يجعل بعض الناس يهرعون إلى شراء العملات الأجنبية، فيزداد الطلب عليها فيرتفع سعرها.

والشرع الإسلامي قيّدَ عملية العمل في مهنة الصَّرافة لقطع الطريق على أولئك المضاربين الذين يُفضِّلون مصالحهم الشخصية على الصَّالح العام، فقد ورد في (الطُّرُق الحكمية)، أنّ والي الحسبة: «يمَنَعُ منْ إفسادِ نَقْدِ الناسِ وتغْييرِها ويمَنَعُ من جَعْلِ النقودِ مَتْجرًا فإنهُ بذلك يُدخِلُ على الناسِ منَ الفسادِ ما لا يَعْلمُهُ إلّا الله، بل الواجِبُ أن تكونَ النقودُ رؤوسَ

منظمة المؤتمر الإسلامي. العدد ١١. ص ٢٥٦.

أمـوالٍ يَتَّجِـرُ بهـا ولا يُتَّجَـرُ فيهـا»[69].

إن المضاربـة بهـذا الشـكل سـلوكٌ غـير جيـد، لأنهـا مـن هـذا المنطَلَـق هـي عقـود صوريـة لوجود دلائـل وقرائـن عـلى أنّ إرادة المتعاقِديـن لم تتجـه لإبـرام عقـود بيـع حقيقيـة تترتـب عليهـا آثارهـا مـن التمليـك والتَّملُّـك، فالمقصـود في عقـود المضاربـة، بيـع وشراء المخاطـرة وليسـت الأصـول الماليـة، أي المقصـود بهـا التعاقـد عـلى المخاطـرة الشـديدة أو المراهنـة أو المقامـرة.

وقـد ورد في (إحيـاء علـوم الديـن) بعـض المهـن التـي يُكْـرَه العمـل بهـا وَذَكَـرَ منهـا مهنـة الصَّرافـة لأنهـا إذا لم تتـم ضمـن الـشُّروط والضَّوابـط الشَّرعيـة فإنهـا قـد يدخـل إليهـا الرِّبـا، فقـد ورد: «وكرهـوا الـصَّرف لأن الاحـتراز فيـه عـن دقائـقِ الرِّبـا عسـيرٌ ولأنـه طلـب لدقائـق الصِّفـات فيـما لا يقصـد أعيانهـا وإنمـا يقصـد رواجهـا وقلّـما يتـم للصـيرفي ربـح إلا باعتـماد جَهالـة معاملـة بدقائـق النَّقـد، فقلـما يَسْـلم الصَّـيرفي وإن احتـاط»[70].

وهـذا لا يعنـي منـع صرف العملـة، وإنمـا هنـاك ضوابـط ينبغـي عـلى الذيـن يعملـون في مهنـة الصَّرافـة أن يتقيـدوا بهـا، وهـذا مـا أشـارت إليـه الفتـوى الصـادرة عـن هيئـة الفتـاوى والرقابـة الشرعيـة في بنـك دبي الاسـلامي حيـث جـاء فيهـا: «الأصـل في الاتجـار بالعملـة مُبـاحٌ شرعًـا، بـشرط أن يتـم التعامـل في حـدود العـرض والطلـب المعتـاد للنـاس، وإذا تعـدى التعامـل هـذه الحـدود إلى درجـة الاحتـكار والاسـتغلال، كان ضـارًا بالمجتمـع وأصبـح غـير جائـز شرعًـا، ويجوز لـولي الأمـر تغيـير المبـاح بمـا يمنـع الـضرر عـن المسـلمين، ويحقـق مصلحتهـم، عمـلًا بقاعـدة (لا ضرر ولا ضرار)، وعـلى الأفـراد الامتثـال لمـا يحقـق مصلحـة الجماعـة»[71].

الخاتمة

فيما يلي أهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها:

أولًا: النتائج:

١- إنّ النقـود وسـيط لمبادلـة السـلع والخدمـات ومقياسًـا ومخزنًـا للقيـم وهـي وسـيلة لتسـديد الديـون أي وسـيلة للدفـع الآجـل.

٢- الأصـل في الـصَّرف أنـه مـشروع عـلى سـبيل الإباحـة ولكـن قـد يصبـح غـير مـشروع إذا

(٦٩) ابـن قيـم الجوزيـة، محمـد بـن أبي بكـر بـن أيـوب، شـمس الديـن، (ت: ٧٥١ه). الطـرق الحكميـة. دمشـق: مكتبـة دار البيـان، د.ت. فصـل: في عمـوم الولايـات وخصومهـا. ٢٠٢:١.

(٧٠) الغزالي. إحياء علوم الدين. كتاب: آداب الكسب والمعاني. ٨٤:٢

(٧١) القـره داغـي، عـلي، (معـاصر) وآخـرون. كتـاب الفتـاوى الاقتصاديـة. فتـاوى هيئـة الفتـوى والرقابـة الشرعيـة في بنـك دبي الإسـلامي. الفتـوى رقـم ٤٣، د.ت. ٤٣٧:١.

اشـترط فيـه تأجيـل قبـض أحـد البَدَلـيْن.

٣- إنّ للـصرف شروط يجـب توافرهـا حتـى يُعتَـبرَ مباحًـا وهـي: التَّقابـض قبـل الافـتراق، والتماثـل عنـد اتحـاد الجنـس، وألا يدخلـه خيـار الـشرط، وأن يكـون خاليًـا مـن الأجـل.

٤- إنّ المضاربة على العملة هي طلب العملة لذاتها وليس استخدامها لتحقيق غرض معين.

٥- أصبحـت المتاجـرة بالعملـة والمضاربـة عليهـا هدفًـا لمؤسسـات ماليـة، وعمليـة مقصـودة لتحقيـق أهـداف معينـة تتفـق ومصالحهـا.

٦- المتاجـرة بالعملـة والمضاربـة عليهـا لهـا مخاطرهـا الكبـيرة عـلى اقتصاديـات الـدول، ولهـا دوافـع وسُـلوكيات غـير رشـيدة تتنـافى مـع أخلاقيـات العمـل. وللمضاربـة آثـارًا سـلبية حيـث تؤثـر عـلى قيمـة العملـة وتدفعهـا إلى الانهيـار، وتؤثـر عـلى معـدلات النمـو الاقتصـادي وتدهـور مسـتويات معيشـة المواطنـين. وتـؤدي إلى ازديـاد نسـبة البطالـة والعاطلـين عـن العمـل وتـؤدي إلى زيـادة مديونيـة الدولـة وارتهانهـا للخـارج.

٧- إنّ لجـوء عـدد كبـير مـن الأفـراد إلى القيـام بعمليـات المتاجـرة بالعملـة يـؤدي عـلى المـدى الطويـل إلى تحويـل طبيعـة النشـاط الاقتصـادي مـن الصناعـة والزراعـة إلى الأنشـطة غـير المنتجـة، وهـذا يـؤدي إلى الإضرار بالاقتصـاد المحـلِّي مـن خـلال زيـادة الاعتـماد عـلى الـواردات مـن الخـارج.

ثانيًا: التوصيات

بعـد بيـان أهـم النتائـج التـي تـم التوصـل إليهـا في هـذه الدراسـة، يمكـن إيجـاز التوصيـات بالتـالي:

١- ضرورة توعيـة المواطنـين وتعريفهـم بوسـائل الكسـب الحـلال وحُرْمَـة الكسـب الناتـج عـن الإضرار بمصالـح البـلاد، وذلـك مـن خـلال تنظيـم العديـد مـن الفَعاليـات والنـدوات.

٢- فـرض القوانـين واللوائـح التـي تتضمـن عقوبـات صارمـة عـلى مـن يتلاعبـون بالأسـواق بصفـة عامـة، وبسـوق النقـد بصفـة خاصـة.

***

المصادر والمراجع

١- اسـماعيل، عـوض فاضـل إبراهيـم، (معـاصر). **النقـود والبنـوك**. الموصـل: دار الحكمـة للطباعـة والنـشر، ١٩٩٠م.

٢- الأشـقر، عمـر بـن سـليمان، (ت: ٢٠١٢م)، وآخـرون. **بحـوث فقهيـة في قضايـا اقتصاديـة معـاصرة**. النقـود وتقلـب قيمة العملـة. ط١. عـمان: دار النفائـس، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

٣- البخاري، محمد إسماعيل أبو عبد الله، (ت:٢٥٦هـ). **صحيح البخاري**. ط١. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. بيروت: دار طوق النجاة،١٤٤٤هـ.

٤- البلخي، نظام الدين، (ت:١٠٣٦هـ). **الفتاوى الهندية**. ط٢. مصر: دار الفكر، ١٣١٠هـ.

٥- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، (ت: ٢٧٩ه). **سنن الترمذي**. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. ط٢. مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

٦- الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد، (ت: ٣٩٣هـ). **الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية**. ط٤. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٧- الحطاب الرعيني، شمس الدين، أبو عبد الله بن عبد الرحمن الطرابلسي، (ت:٩٥٤هـ). **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**. ط٤. بيروت: دار الفكر، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

٨- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ولي الدين الحطرمي، (ت: ٨٠٨هـ). **تاريخ ابن خلدون**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٩- الخطيب الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد، (ت: ٩٧٧هـ). **مغني المحتاج**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

١٠- الدارقطني، علي بن عمر، أبو الحسن، (ت:٣٨٥هـ). **سنن الدارقطني**. ط١. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).

١١- دنيا، شوقي أحمد، (معاصر). **المضاربات على العملة ماهيتها وآثارها وسبل مواجهتها**. مجلة مجمع الفقه الإسلامي. جدة: منظمة المؤتمر الإسلامي.

١٢- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت:٥٠٢هـ). **المفردات في غريب القرآن**. ط١. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. بيروت: دار القلم، ١٤١٢هـ.

١٣- ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد، أبو الوليد محمد بن أحمد، (ت: ٥٩٥هـ). **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**. القاهرة: دار الحديث، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

١٤- الرملي، شمس الدين، محمد بن أبي العباس، شمس الدين، (ت:١٠٠٤هـ). **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (حاشية الشبراملي)**. بيروت: دار الفكر، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

١٥- الزحيلي وهبة بن مصطفى، (ت: ٢٠١٥م). الفقه الإسلامي وأدلته. ط١٢. دمشق: دار الفكر، د.ت.

١٦- أبو سارة، جميل، (معاصر). **قرارات المجمع الفقهي الإسلامي**. مكة: رابطة العلم الإسلامي. قرار رقم: ٢٢(٦/٥) حول العملة الورقية. الدورة الخامسة. ٨-١٦البيع الثاني ١٤٠٢هـ.

١٧- السرخسي، محمد بن أحمد، شمس الأئمة، (ت:٤٨٣هـ). **المبسوط**. بيروت: دار المعرفة،

(١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

١٨- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، (ت: ٩١١ه). **الأشباه والنظائر**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

١٩- الشمري، ناظم محمد شورى، (معاصر). **النقود والمصارف**. الموصل: مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

٢٠- ابن عابدين، محمد بن عمر بن عبد العزيز، (ت:١٢٥٢هـ). **رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)**. ط٢. بيروت: دار الفكر، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٢١- ابن عثيمين، محمد بن صالح، (ت:١٤٢١هـ). **الشرح الممتع على زاد المستقنع**. ط١. القاهرة: دار ابن الجوزي، (١٤٢٢هـ/١٤٢٨م).

٢٢- ابن عفانة، حسام الدين بن موسى، محمد، (ت: --). **يسألونك عن المعاملات والمالية المعاصرة**. ط١. القدس: المكتبة العلمية، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٢٣- علي، عبد المنعم السيد، (معاصر). **اقتصاديات النقود والمصارف**. ط٢. بغداد: مطبعة الديواني،١٩٨٦م.

٢٤ - الغزالي، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، (ت: ٥٠٥هـ). **إحياء علوم الدين**. بيروت: دار المعرفة.

٢٥-ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت:٣٩٥هـ). **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون. بيروت: دار الفكر، (١٣٩٩ه=١٩٧٩م).

٢٦- ابن قدامة المقدسي، أبو محمد، موفق الدين، عبد الله بن أحمد، (ت: ٦٢٠ه). **المغني**. القاهرة: مكتبة القاهرة، (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

٢٧- القره داغي، علي، (معاصر) وآخرون. **كتاب الفتاوى الاقتصادية**. فتاوى هيئة الفتوى والرقابة الشرعية في بنك دبي الإسلامي. الفتوى رقم ٤٣، د.ت.

٢٨- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، شمس الدين، (ت:٧٥١هـ). **الطرق الحكمية**. دمشق: مكتبة دار البيان، د.ت.

٢٩ - ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، شمس الدين، (ت:٧٥١هـ). **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**. تحقيق: محمد حامد الفقي. الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.

٣٠- الكاساني، علاء الدين، مسعود بن أحمد، (ت: ٥٨٧هـ). **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).

٣١- ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم، (ت: ٣١٩هـ). **الإجماع**. ط١. تحقيق: خالد بن محمد المصري. القاهرة: دار الآثار، د.ت.

٣٢- ابن ماجة، أبو عبد الله، (ت: ٢٧٣هـ). **سنن ابن ماجة**. ط١. تحقيق: بشار عواد

معـروف. بـيروت: دار الجيـل، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

٣٣- الإمـام مالـك، مالـك بـن أنـس بـن عامـر الأصبحـي، (ت:١٧٩هـ). **المدونـة**. ط١. بـيروت: دار الكتـب العلميـة، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٣٤- مرتـضى الزبـدي، محمـد بـن محمـد بـن عبـد الـرزاق الحُسـيني، أبـو الفيـض، (ت:١٢٠٥م). **تـاج العـروس مـن جواهـر القامـوس**. تحقيـق: مجموعـة مـن المحققـين. مـصر: دار الهدايـة، د.ت.

٣٥- مسـلم، أبـو الحسـن القشـيري النيسـابوري، (ت: ٢٦١هـ). **صحيـح مسـلم**. تحقيـق: محمد فـؤاد عبـد الباقـي. بـيروت: دار إحيـاء الـتراث العـربي.

٣٦ - مصطفـى، إبراهيـم، وآخـرون. **المعجـم الوسـيط. مجمـع اللغـة العربيـة بالقاهـرة**. القاهـرة: دار الدعـوة، د.ت.

٣٧- ابـن منظـور، محمـد بـن مكـرم بـن عـلي، أبـو الفضـل، (ت: ٧١١هـ). **لسـان العـرب**. تحقيـق: عبـد اللـه عـلي الكبـير وآخـرون. القاهـرة: دار المعـارف، د.ت.

٣٨ - المنيـع، عبـد اللـه بـن سـليمان بـن محمـد، (معـاصر). مجلـة مجمـع الفقـه الإسـلامي. جـدة: منظمـة المؤتمـر الإسـلامي، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م). العـدد التاسـع. بـاب: الـصرف وبيـع الذهـب والفضـة.

٣٩- المـولى خـسرو، محمـد بـن فرامـرز بـن عـلي، (ت:٨٨٥هـ). **درر الحـكام في شرح مجلـة الأحـكام**. تحقيـق وتعريـف: فهمـي الحسـيني. بـيروت: دار الكتـب العلميـة.

٤٠- النـووي. **المنهـاج شرح صحيـح مسـلم بـن الحجـاج**. بـيروت: دار إحيـاء الـتراث العـربي، (١٣٩٢هـ).

٤١- النـووي، أبـو زكريـا، يحيـي بـن شرف، (ت:٦٧٦هـ). **المجمـوع شرح المهـذب**. بـيروت: دار عـالم الكتب، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).

جوع أم مجاعة؟
مناقشة لأحداث الحرب العالمية الأولى
في المقاطعات اللبنانية

أ.د. سليم هاني منصور

استاذ في ملاك الجامعة اللبنانية، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ- الفرع الاول – بيروت

الملخص

تناولت الدراسة أزمة الجوع التي شهدتها المقاطعات اللبنانية خلال الحرب العالمية الأولى، وهي أزمة حظيت بتغطية واسعة في الأدبيات البحثية. عرضت الدراسة الأوضاع الاقتصادية في لبنان قبل وأثناء الحرب، مشيرة إلى بنية الاقتصاد اللبناني التي اعتمدت على الزراعة النقدية والتجارة الخارجية، بالإضافة إلى نقص اليد العاملة، وتوقف السياحة، وإصدار العملة الورقية، مما أدى إلى تفاقم الأزمات الاقتصادية. كما تم التطرق إلى تأثير الحصار البحري، الأمراض، الجراد، الفوضى، السلب، ودور الاحتلال الألماني في تعميق الأزمة.

ناقشت الدراسة الافتراءات الشائعة حول الأزمة، موضحة الحجج والأدلة التي تدحض هذه الادعاءات. كما تناولت القضية من منظور تاريخي دقيق، هدف من خلاله البحث إلى تصحيح بعض الآراء الجامدة والأحكام المسبقة، ودعوة إلى معالجة الوقائع بشكل عقلاني بعيدًا عن التحيز.

المشكلة البحثية التي طرحتها الدراسة هي: هل كانت تداعيات الحرب في لبنان جوعًا أم مجاعة؟ وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم عرض وتحليل الأحداث والنتائج المترتبة عليها. وقد خلصت الدراسة إلى استنتاجات جديدة وتوصيات هامة.

كلمات مفتاحية

جوع، مجاعة، جبل لبنان، الدولة العثمانية، الحرب العالمية الأولى.

Abstract

This study addresses the hunger crisis experienced by the Lebanese provinces during World War I, a crisis that has been widely covered in the research literature. The study presents the economic conditions in Lebanon before and during the war, highlighting the structure of the Lebanese economy, which relied on cash crops and foreign trade, in addition to labor shortages, the cessation of tourism, and the issuance of paper currency, all of which exacerbated the economic crises. The study also examines the effects of the naval blockade, diseases, locusts, chaos, looting, and the role of the German occupation in deepening the crisis.

The study discusses the common misconceptions surrounding the crisis, presenting arguments and evidence to refute these claims. It also approaches the issue from a historically precise perspective, aiming to correct rigid opinions and preconceptions, and calls for addressing the facts in a rational manner free from bias.

The research problem posed by the study is: Were the consequences of the war in Lebanon a hunger or a famine? The study adopted a descriptive-analytical approach, presenting and analyzing the events and their outcomes. The study concludes with new findings and significant recommendations.

Keywords

Hunger, Famine, Mount Lebanon, Ottoman Empire, World War I.

***

أهمية البحث

تعود أهمية البحث أنه يعالج موضوعًا إشكاليًا كتب فيه من وجهات مختلفة منها:

ـ أحد المثالب الأساسية لإبراز ظلم السلطنة العثمانية.

ـ تعلقه بالموارد البشرية والخسائر الروحية التي تسببت بها تلك الأوضاع.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

ـ تحليل الأسباب الموضوعية «للجوع» أو «المجاعة».

ـ تنقية كتب التاريخ من الاتهامات الجاهزة والآراء المسبقة.

ـ وضع الأمور في نصابها من حيث العدل في مناقشة الوقائع وإبراز الأدلة والقرائن والابتعاد عن الأهواء.

إشكالية البحث

الإشكالية الأساسية المطروحة في هذا المجال هي:

هل ما حصل من تداعيات خلال الحرب العالمية الأولى في المقاطعات اللبنانية جوع أم مجاعة؟

يتبعها أسئلة فرعية:

ـ هل يكفي الإنتاج الزراعي الاستهلاك المحلي؟

ـ كيفية تعاطي السلطنة العثمانية مع المتصرفيات والمناطق المختلفة؟

ـ على ماذا يقوم الاقتصاد في المقاطعات اللبنانية؟

ـ هل تعمدت السلطنة العثمانية تجويع الناس؟

ـ ما دور القوى الخارجية (الفرنسية، الإنكليزية...) في حصول الخسائر؟

فرضيات البحث

- كفاية الإنتاج الزراعي للاستهلاك المحلي.

ـ تعاطي السلطنة العثمانية مع المتصرفيات والمناطق المختلفة بطرقٍ وأساليب متعددة.

- عدم مساهمة التجار في الازمة.

ـ تعمد السلطنة العثمانية تجويع الناس.

ـ دور القوى الخارجية (الفرنسية، الإنكليزية...) في الازمة.

- صحة الاتهامات الموجهة للسلطنة العثمانية بالتجويع.

منهج البحث

تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي بغية التوصل لنتائج واضحة للبحث.

خطة البحث

تمّ تقسيم الدراسة إلى مقدمة وفصلين:

الفصل الأول: بنية الاقتصاد واوضاع البلاد قبل الحرب وخلالها.

الفصل الثاني: مناقشة الإتهامات.

وخاتمة (الاستنتاجات والتوصيات).

***

مقدمة

إن معالجة قضية إشكالية تاريخية تحتاج إلى دراسة موضوعية مستندة إلى تحليل علمي بعيدًا عن الأهواء والغرائز والعصبيات.

إن ما يعرف «بمجاعة الحرب العالمية الأولى» أو «بمجاعة الأتراك» أو «زمن المجاعة» يتطلب دراسة أوضاع البلاد ما قبل الحرب من الجوانب المختلفة: الاقتصادية والمالية والزراعية...

وكذلك معالجة ظروف الحرب وتداعياتها ونتائجها حتى تتضح الرؤية وتنجلي الصورة. فضلًا عن مناقشة الطروحات والاتهامات والأوصاف التي تطلق على تلك المرحلة.

إن دراسة ما حصل في أواخر السلطنة العثمانية أثناء حكمها لبلاد الشام يحتاج إلى توضيح العديد من الأحكام التي تطلق والاستنتاجات التي تعمم حتى أصبحت حقيقة رائجة. فما كتب عن السلطنة العثمانية في العقود الخمسة الأخيرة من حكمها فيه الكثير من الإجحاف والظلم.

***

الفصل الأول:

بنية الاقتصاد وأوضاع البلاد قبل الحرب وخلالها

١ـ اقتصاد متصرفية جبل لبنان

لا يختلف تقييم الاقتصاد اللبناني من حيث موارده في القرن الواحد والعشرين عنه في أوائل القرن الماضي حيث توزعت عائدات الدخل بين الزراعة والصناعة والاصطياف وأموال المهاجرين.

أما اقتصاد المتصرفية في جبل لبنان فكان يتصف بالتبعية الاقتصادية المزدوجة: ارتباط جبل لبنان ببيروت والسوق الأوروبية من جهة وازدياد اتكاله على الداخل السوري لتزويده بحاجاته من الحبوب واللحوم، وتبعية تنحز أسس الاستقلال الذاتي السياسي ورصيد تناقضي فاجع. فاقتصاد المتصرفية كان من بين الاقتصادات الأكثر اندماجًا في الاقتصاد الدولي، وبالتالي هو اقتصاد تنطبق عليه سلبيات «التبادل اللامتكافئ» كلها [١].

ويمكن إبراز ذلك من خلال زراعة التوت (الزراعة النقدية):

إن الميزة الجغرافية لجبل لبنان هي أن أراضيه لا تؤمن الغذاء إلا لأربعة أشهر في السنة فنادرًا ما يؤتى على ذكر ضيق المساحة التي توفر الغذاء سببه أن المساحات الأكبر من الأراضي كانت مزروعة أشجار توت لتربية دود القز، وإن النمط الاقتصادي الغالب هو الاقتصاد السوقي. فكان على الفلاح أن يبيع محصول شرانق الحرير وأن يقي السمسار والمرابي حقهما من الديون قبل أن يستطيع شراء حاجاته المعاشية [٢].

وما يرويه الأمير شكيب أرسلان في مذكراته يصف واقع الحال: ثم لا ينبغي أن ننسى أن لجبل لبنان علة ثانية زادته وبالًا على وبال وهي ولوع أهله بتربية التوت وترفيههم هذه الشجرة ما استطاعوا إليه سبيلًا. وهم معذورون في ذلك لأن الجبل بضيق أراضيه ووعورتها لا يلام أهله في اعتمادهم على التوت الذي منه الحرير. وهذا القليل منه يغني عن الكثير من غيره. ولكن حال الحرب ليست كحال السلم. فلما نشبت الحرب العامة نسوا أن البحر سيصبح مسدودًا في وجههم وأن البر من الداخل ستقل فيه المزروعات بسبب ذهاب الشبان كلهم إلى العسكرية وأخذ الجيش للبقر والجمال. وربما لم ينتظروا أن يكون أمد الحرب سنوات متعددة بل ظنوه بضعة أشهر فلم يحملوا شيئًا من الحيطة لأنفسهم وبقوا يعاملون التوت كالأول وكما لو لم تكن حرب، ويأبون أن يزرعوا بين شجر التوت قمحًا أو شعيرًا لئلا يلحق من ذلك ضعف بالشجر وكذلك بين شجر الزيتون وغيره من الأشجار. وظنوا في أنفسهم أن الدولة لا بد من أن تميزهم من

(١) عبد المسيح، سيمون، المجاعة الكبرى والاقتصاد الطرفي، من دراسات الحالة إلى بناء المفهوم، مئة عام على الحرب العالمية الأولى مقاربة عربية، مجلد ٢، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٦، ص١٢٠.

(٢) مجاعة اللبنانيين في الحرب العالمية الأولى، مجلة بدايات، عدد ١٢ (خريف ٢٠١٥).

حـوران والشـام وحلـب وغيرهـا. وكانـوا يقولـون: إن السـلطان بـلاده واسـعة فـلا يعجـز عـن أن يبعـث إلينـا بحاجتنـا مـن الحبـوب، وفاتهـم أن أكـثر بـلاد السـلطان بعيـدة عنهـم وأنـه لا يربطهـا بهـم سـوى خـط حديـدي واحـد لا يقـدر أن يقـوم بنقـل مئـات الألـوف مـن العسـاكر مـع مدافعهـا وأثقالهـا وبشـحن جميـع لـوزام الأهـالي، وأن رجـال العسـكرية في الحـرب لا يقدمـون شـغلاً عـلى شـغل الحـرب. غفلـوا عـن هـذه الأمـور وتوهمـوا أحـوال الحـرب كأحـوال السـلم فقتلهـم الجهـل. وعنـدي ألـوف مـن الشـهود مـن أهـل الجبـل أننـي مـن أول الحـرب حتـى مـن قبـل خـوض الدولـة غمراتهـا كنـت أطـوف عـلى اللبنانيـين وأعظهـم وأبصرهـم العواقـب قائـلاً لهـم: ازرعـوا جميـع أراضيكـم ولا تعفـوا ولا عـلى مـا يتخلـل منهـا التـوت أو الزيتـون فـإن الأهـم يتقـدم عـلى المهـم، وإني أخـشى بشـدة بشـدة ترفيهكـم لأشـجاركم أن تموتـوا جوعًـا والشـجر ليـس بأغـلى مـن البـشر. فلـم يسـتبينوا النصـح إلا ثالـث سـنة عندمـا مسـتهم الـلأداء ورأوا أنفسـهم هالكـين إن لم يفعلـوا [٣].

شـكلت المتصرفيـة اقتصاديًـا بـؤرة لزراعـة منتـوج أوحـد هـو الحريـر الخـام في خدمـة صناعـة نسـيج الحريـر في مدينـة ليـون الفرنسـية [٤]. ومركـز إنتـاج الحريـر جبـل لبنـان مـن جزيـن الشـوف وعـكار، ويمتـد أيضًـا إلى البقـاع وحاصبيـا وحمـص إضافـة إلى ولايـة بـيروت، فـلا عجـب أن يتحـدث (ويكوسـو) عـن إنتـاج حريـر سـوري «متجنـس فرنـسي» أو تجـده يصـف سـوريا ضمـن المقاطعـات الفرنسـية المنتجـة للحريـر، بـل إن غرفـة التجـارة في ليـون ذهبـت إلى أبعـد مـن ذلـك في تسـميتها سـوريا «مسـتعمرة لليـون» وسرعـان مـا أدى هـذا الارتهـان بالسـوق الخارجـي إلى تحويـل جبـل لبنـان إلى منطقـة تصديريـة تسـيطر عليهـا بـيروت، فقـد كان نصـف سـكان جبـل لبنـان يعملـون في اقتصـاد الحريـر الـذي يـدر نحـو ثلـث مجمـوع الدخـل المحـلي (أبـرز مصـادر الدخـل الأخـرى التبـغ وزيـت الزيتـون) عـام ١٨٦٧ كان يوجـد ٦٧ معمـلاً لحـل الحريـر (حـلالات) أكبرهـا وأحدثهـا مملوكـة مـن فرنسـيين. وفي عـام ١٨٨٥ بلـغ عـدد الحـلالات ١٠٥ بينهـا خمـس حـلالات فرنسـية فقـط فيـما انتقـل الاسـتثمار الأجنبـي (معظمـه متمركـز في ليـون) مـن التوظيـف في الإنتـاج إلى السـيطرة عـلى اقتصـاد الحريـر مـن خـلال السـوق [٥].

(٣) البعيني، نجيب، ذكريات الأمير شكيب أرسلان، دار نوفل، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص٤٩ - ٥٠.

(٤) أن مقولـة «سـعيد مـن لـه مرقـد عنـزة في جبـل لبنـان» ذكـرت أول مـرة في العهـد العثـماني فقـد أعفـي جبـل لبنـان مـن عـدة ضرائـب كانـت سـارية في العاصمـة وجميـع الولايـات العثمانيـة ومـن تلـك الضرائـب مـا سـمي بالرسـوم السـتة المفروضـة عـلى الطوابـع الماليـة والملـح والكحـول وصيـد السـمك وصناعـة الحريـر وزراعـة التبـغ والتنبـاك وهـي الرسـوم المخصصـة لوفـاء الديـون التـي للـدول الأوروبيـة عـلى الدولـة العثمانيـة، فـكان اللبنانيـون يزرعـون بمـلء الحريـة التبـغ ويصنعـون منـه السـجائر للتدخـين ويزاحمـون بهـا بطريـق التهريـب دوائـر الحـصر التـي شـكلتها شركـة مختلطـة بموجـب معاهـدة بينهـا وبـين الدولـة العثمانيـة ثـم تعهـدت هـذه الشركـة لحكومـة جبـل لبنـان بإعطائهـا عـشر ثمـن مبيعاتهـا في الجبـل وأن لا تعـارض التبـغ اللبنـاني وصناعتـه داخـل الجبـل بمقابلـة تعهـد حكومتـه بالسـهر عـلى منـع التهريـب بينـه وبـين جـواره ولا سـيما في بـيروت. وكان للبنانيـين في جبلهـم مصانـع للحريـر بفضـل تربيتهـم دود الشرانـق وغـذاؤه أوراق أشـجار التـوت المغروسـة في معظـم أنحـاء الجبـل كـما أكـثروا مـن كـروم العنـب واسـتخرجوا منهـا أجـود أنـواع النبيـذ والعـرق والكحـول وأكـثروا مـن صيـد الأسـماك وأنشـأوا في سـاحل البحـر ممالـح يسـتثمرونها مـما خفـف عنهـم الضائقـة الماليـة. وبالرغـم مـن شـدة المراقبـة التـي كان يقـوم بهـا مراقبـوا الولايـة عـلى الحـدود منعًـا لتهريـب المـواد الممنـوع نقلهـا وحيازتهـا ظـل اللبنانيـون مغبوطـين مـن جيرانهـم حتـى ذهـب مثـلاً القـول المأثـور: «سـعيد مـن لـه مرقـد عنـزة في جبـل لبنـان؟. ومـما لا شـك فيـه أن تلـك الغبطـة قـد نشـأت أولاً عـن الأمـن السـائد في جميـع أنحـاء الجبـل وعـن ضآلـة الضرائـب وعـن الحريـة والطمأنينـة التـي يتمتـع بهـا كل لبنـاني وكل مقيـم في لبنـان. انظـر: الحكيـم، لبنـان في عهـد آل عثـمان، دار النهـار للنـشر، بـيروت، ط٤، ١٩٩١م، ص٢٠.

(٥) طرابلسي، فواز، تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف،رياض الريس للكتب والنشربيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص ٧٩،٨٠.

ومن هذا الرصيد التناقضي الفاجع للمتصرفية: أسهم اتكالها على الخارج [٦] في ازدهارها الاقتصادي وفي مساهمتها المميزة في النهضة الثقافية العربية في منتصف القرن التاسع عشر. لكن ذلك الإتكال كان في الوقت ذاته مسؤولاً عن موجات الهجرة المتتالية لأهالي جبل لبنان إلى «العالم الجديد» بمثل مسؤوليته عن المجاعة الفاجعة التي ضربت اللبنانيين في الحرب العالمية الأولى[٧].

وقد ساهم انتشار البعثات الدينية، وتطور التجارة الداخلية والخارجية المرتبطة بإنتاج الحرير، وموجات الهجرة الأولى نحو مصر ونحو القارات البعيدة في انطلاقة اقتصادية كبيرة، استفادت منها الطوائف المسيحية بنسبة أكبر من الطوائف الإسلامية.

ولا يمكن إغفال أن السياسة التي مارستها القوى الغربية كانت تهدف إلى ربط الجبل واستتباعه، ليس فقط على المستوى السياسي، بل أيضًا على المستوى الاقتصادي [٨].

٢ – تراجع زراعة القمح:

فقد تراجع إنتاج القمح على مستوى السلطنة، حيث «بقي القمح يحتل حتى منتصف القرن التاسع عشر، المرتبة الأولى في التصدير، إلا أن بروز الولايات المتحدة الأميركية كمنتج رئيسي للحبوب بعد عام ١٨٥٠. قد أثر في تصدير الحبوب في الدولة العثمانية، فلقد كان من الصعب على زارعي الحبوب العثمانيين منافسة القمح الأميركي في الأسواق العالمية، وهكذا انخفضت مرتبة زراعة القمح العثماني إلى الدرجة الثانية، وسيكون لهذا التغيير أثره الهام في الزراعة والاقتصاد اللبناني خلال سنوات لحرب [٩].

٣ – عدم توفر الأيدي العاملة:

فالتحضير للحرب أدى إلى خروج فئات من العمال من ساحة العمل والتحاقهم بالجيش العثماني، وبلغت ذروتها في إعلان النفير سنة ١٩١٤، وكان أول من استوعبت من فئات

(٦) تظهر الدراسة التي تمت بإشراف متصرف جبل لبنان، إسماعيل حقي، إذ عدد سكان الجبل حوالي ٣٥٠,٠٠٠ نسمة يعيشون في مساحة تبلغ ٣٢٠٠٠ كيلو متراً. أما بالنسبة للمواد الأساسية للدخل في جبل لبنان، فقد كان هناك خمسة مصادر أساسية تأتي بحسب أهميتها بالترتيب التالي: الأموال التي تأتي من المهاجرين إلى الجبل ٩٠ مليون قرش، من موسم الشرانق دخلها ٨٠ مليون قرش، من دخل الفنادق والاصطياف ٢٠ مليون قرش ومن الحاصلات الزراعية: (القمح، الشعير، التين، الخرنوب، الليمون، الزيت، العنب وسائر الخضر والبقول)، ٢٠ مليون قرش، ومن المنتجات الصناعية (الصابون، ودبغ الجلود، ونسج الأقمشة، والصناعات الزراعية كالتبغ والخمر وسائر المشروبات، ١٠ ملايين قرش فيكون مجموع دخل جبل لبنان ٢٢٠ مليون قرش، ومعدل الدخل الصافي للفرد ٦٢٨ قرشًا، أي أن نظرة سريعة لهذه المصادر تظهر مدى حساسية الوقع الاقتصادي في لبنان وتأثره بالاستقرار العالمي. انظر: حقي إسماعيل، مباحث علمية واجتماعية، ج٢، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠، ص٤٧٢ – ٤٧٣.

(٧) طرابلسي، فواز، تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف،مرجع سابق، ص ٧٤.

(٨) حمدان، كمال، الازمة اللبنانية،دار الفرابي، بيروت،ط١،١٩٩٨، ص٥٢ـ٥٤.

(٩) انظر: الحارس، عبداللطيف، الأوضاع الاقتصادية والمالية في الدولة العثمانية والمقاطعات اللبنانية ١٩١٤ – ١٩١٨، مؤتمر لبنان في الحرب العالمية الاولى، الجزء الأول، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ٢٠١١، ص١٢٤.

السكان المجندين من الفلاحين وأبناء المدن الصغيرة [١٠].

٤ – إصدار العملة الورقية:

عمدت السلطنة العثمانية بعد دخول الحرب إلى إصدار عملة ورقية خاصة، وعلى الرغم من التغطية الذهبية لهذه العملة إلا أن أسعارها أخذت بالتناقص بشكل محدود في سنتي الحرب الأولى ١٩١٥ - ١٩١٦م وقد أدى توسع حجم تداول العملة الورقية في السنتين الأخيرتين من الحرب إلى التراجع السريع لسعر صرفها.

ولا يعود التدني الكبير في أسعار العملة الورقية في لبنان عمليًا لأسباب مالية، فالتغطية الذهبية كانت حقيقية، إلا أن هناك أسباب أخرى خارجية وسياسية ونفسية دفعت الناس إلى التهرب من العملة الورقية [١١] ، فقد رفض الناس التعامل بها، ما أحدث ركودا في حركة البيع والشراء، لأن الناس كانوا يهربون من قبض العملة الورقية، ويفضلون الاحتفاظ بغلالهم وبضائعهم بدلاً من بيعها [١٢].

٥ – الدخول في حالة حرب:

تعمل الدول على حماية جيشها وتوفير الإمكانات الغذائية والمحروقات كأولوية، لم يكن الجيش العثماني بدعًا أو استثناءً.

توجه السهام إلى السلطنة العثمانية باعتبارها استخدمت أو تصرفت بطريقة غير معهودة (استيلاء الغرفة الرابعة على المحاصيل والحيوانات بغية تأمين حاجاتها اللوجستية). لكن السؤال هل السلطنة تفردت بذلك؟ ففي المغرب على سبيل المثال، ترتب على المساعدات الاقتصادية والبشرية الضخمة التي قدمتها لفرنسا خلال أعوام الحرب تداعيات اقتصادية واجتماعية سيئة على المغاربة، فقد جند المستعمر آلاف الشبان المغاربة لتموين آلته الحربية، ونهب الخيرات الزراعية والحيوانية والمالية التي تزخر بها البلاد، فعانى السكان كثيرًا جراء هذا الاستغلال الاقتصادي الشديد، خصوصًا أنه أدى إلى نقص كبير في الحبوب والطحين والبيض وغيرها من المواد الاستهلاكية. وقد قلت الحبوب في جميع أنحاء المغرب، وحتى في المناطق الغنية زراعيًا بسبب مصادرة مصلحة التموين العسكري محاصيلهم [١٣] ، هذا التصرف قامت به فرنسا هل اتهمت بتجويع المغرب؟؟

(١٠) ومن المفارقات التي لا تذكر أنه قاتلت وقتلت أعدادًا كبيرة من العرب في الجانب العثماني، تجاوزت بعدة مرات أعداد أولئك الذين قاتلوا في صفوف الثورة العربية المناهضة للأتراك. انظر: تماري، سليم، عام الجراد والحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، دط، ٢٠٠٨م، ص٨ وص٦٨.

(١١) انظر: الحارس، عبداللطيف، الأوضاع الاقتصادية والمالية في الدولة العثمانية والمقاطعات اللبنانية ١٩١٤ - ١٩١٨، مؤتمر لبنان في الحرب العالمية الاولى، الجزء الأول، مرجع سابق، ٢٠١١، ص١٢٤.

(١٢) انظر: الخوري، فواز، جديدة مرجعيون في الذاكرة، دن، دط، دت، ص٣٨

(١٣) بكراوي، محمد، مشكلة المغرب في الحرب العالمية الأولى وأثرها في المجتمع المغربي، ص٢٣٥.

وخلال الحرب الأخيرة بين روسيا وأوكرانيا (٢٠٢٢)، حيث قيدت روسيا من صادراتها من الحبوب مما أدى إلى ارتفاع الأسعار، كما أن القيود التي فرضتها الحرب على صادرات أوكرانيا من الزيوت والحبوب أدت لنفس النتيجة أيضًا. وهناك أطراف فاعلة في إنتاج وتجارة الغذاء اتخذت إجراءات تؤدي إلى خلخلة معادلة الأمن الغذائي العالمي. منها قرار الهند حظر صادراتها من القمح وكذلك الصين حيث رفضت الإفراج عن جزء من احتياطياتها من الحبوب [١٤].

٦ – توقف السياحة:

من المعروف أن للسياحة علاقة واضحة بالأمن، فأي اختلال أو اضطراب أمني يؤدي إلى تراجع السياحة.

فمن الأمور التي يتم تجاهلها: ما نكب به لبنان اقتصاديًا، وزوال موسم الاصطياف والسياحة [١٥] ، وهو ما يرويه يوسف الحكيم: إن إعلان الحرب (العالمية الأولى) كان وقعه أشبه بهبوب عاصفة نارية اضطربت من حولها الأفكار وذعر المصطافون في صوفر وبحمدون وعاليه وسوق الغرب وبرمانا وبكفيا وضهور الشوير، وجميع مصايف لبنان، وبينهم كبار المصريين واللبنانيين والسوريين، الذين استوطنوا القطر المصري، واعتادوا الاصطياف في هذا الجبل العزيز فأسرعوا إلى بيروت يزدحمون في البواخر عائدين إلى بلدهم حاسبين لنتائج الحرب ألف حساب [١٦].

٧ – الحصار البحري:

هنا يطرح أكثر من **سؤال**: لماذا لم يسمح الحلفاء للسفن بالدخول إلى المرفأ اللبناني؟

فأول الشائعات عن أسباب المجاعة هي نسبتها إلى مؤامرة عثمانية لإبادة المسيحيين ومن الحجج المسوقة لذلك الحصار البحري المفروض على السواحل، علمًا أن الحصار كان إجراءً حربيًا فرضه الأسطول البريطاني بدعم فرنسي [١٧] ضد السلطنة العثمانية.

فقد أدى الحصار البحري إلى صرف أعداد كبيرة من عمال الحرف التي كانت تعتمد على تصدير إنتاجها إلى أوروبا، وبخاصة مربي دود القز وعمال غزل ونسيج خيوط الحرير،

(١٤) https://aja.me/besyuc

(١٥) حتي، فيليب تاريخ لبنان، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٧٨، ترجمة أنيس فريحة، مراجعة نقولا زيادة، تنقيح جبرائيل جبور، ص٥٨٩.

(١٦) الحكيم،يوسف،بيروت ولبنان في عهد ال عثمان،دار النهار،بيروت،ط٤ ،١٩٩١،ص١٣١.

(١٧) مجموعة الشرق البحرية التي كلفتها فرنسا بالتوجه على وجه السرعة نحو البحر المتوسط والتمركز في جزيرة أرواد تمهيدًا لعمليات لاحقة وشاركت هذه المجموعة البحرية في الحصار البحري الذي ضرب على سواحل لبنان وسوريا وآسيا الصغرى اعتبار من ٢٣ آب عام ١٩١٥ والذي ساهم في انتشار «المجاعة» في جبل لبنان، أنظر: مجاعة اللبنانين في الحرب العالمية الأولى، مجلة بدايات، عدد ١٢ (خريف، ٢٠١٥
[٢] انظر الحارس، عبداللطيف، الأوضاع الاقتصادية والمالية في الدولة العثمانية والمقاطعات اللبنانية ١٩١٤ – ١٩١٨، مؤتمر لبنان في الحرب العالمية الاولى، الجزء الأول، مرجع سابق، ٢٠١١، ص ١٥٥.

وحرمهم من مصدر رزقهم.

وتوقف الاستيراد والتصدير، حيث التجارة الداخلية شلت بسبب عدم توفر وسائل نقل داخلية، فقد واجهت عملية نقل البضائع من المنتج إلى التاجر فالمستهلك مشكلة كبيرة. وكذلك أشغال السكك الحديدية بشكل رئيسي للجهود الحربية، وعدم توفر وسائل نقل أخرى (خاصة الحيوانات)، بسبب مصادرتها. وتعطيل التجارة الداخلية بين المدن والجبل، وبين الساحل ومنطقة الداخل وبين مختلف الأقاليم[١٨].

٨-جشع التجار:

لا يمكن تجاهل هذا العنوان فقد أخذت المواد الغذائية في الاختفاء، حتى انقطعت نهائيًا كالسكر والأدوية والثقاب والكاز [١٩] والأقمشة، وخلال مدة قصيرة من إعلان الحرب، أغلق جمرك بيروت أبوابه، حتى تم رفع الرسوم على بعض الأصناف من البضائع مائة بالمئة، وكان يوجد في ذلك الميناء بضائع تزيد قيمتها عن مليون دولار، لم يتمكن أصحابها من تخليصها، وخلال وقت قصير نفذت المواد، وخبأ الناس ما عندهم، واستغل الأغنياء هذا الظرف الخطير، فاحتكر التجار المواد واستغلوا الشعب بطرق غير شريفة إذ كانوا يبيعون المواد بأسعار خيالية [٢٠].

وازدهرت السوق السوداء لكل السلع، من القمح إلى السكر إلى الأدوية، وعم الفساد في عمليات البيع وشراء السلع الأساسية. ومات الكثيرون في بيروت من الجوع ليس بسبب عدم وجود الطعام، بل لأنهم لم يتمكنوا من شرائه [٢١].

ومن صور الجشع، أنه كان في بيروت وطرابلس وصيدا ومعلقة زحلة أهم المستودعات للحبوب الواردة من سهول عكار والبقاع وسوريا الداخلية، تباع في بيروت بأثمان باهظة، ما أدى إلى تزايد عدد الفقراء في الطرقات وفي أسواق بيروت يمدون أيديهم طلبًا للرزق والعيش [٢٢].

والأمر يذكره علي طنطاوي في دمشق: كنا نذكر الحرب التي مضت وما حملت إلينا من الجوع والخوف والنقص في الأموال والأنفس والثمرات، وكيف كان الشعب

(١٨) https://newlinesmag.com/reportage/lebanons-famines-old-and-new.

(١٩) من الأمثلة على جشع التجار والاستغلال: الكاز (الذي يستخدم من أجل الطبخ والإنارة وكان السبب لاختفاء الكاز هو الاستغلال، فقد أعلنت البلدية أنها توقفت عن بيع الكاز في مستودعاتها بالسعر المحدد لأن الكثير من الناس كانوا يشترونه ليعيدوا بيعه ويحققوا أرباحًا. انظر: الحارس، عبداللطيف، الأوضاع الاقتصادية والمالية في الدولة العثمانية والمقاطعات اللبنانية، ١٩١٤ - ١٩١٨، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٢٠) سلطان، تاريخ سوريا، ١٩٠٨ - ١٩١٨، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧، ص٣٤٧، ٣٤٨.

(٢١) https//newlinermag.com/reportage/lebanons-famines-old-and-new/
الحارس، عبداللطيف، الأوضاع الاقتصادية والمالية في الدولة العثمانية والمقاطعات اللبنانية (١٩١٤ - ١٩١٨)، مؤتمر لبنان في الحرب العالمية الأولى، ج١، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ٢٠١١، ص١٢٨.

(٢٢) الحكيم، يوسف، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، دار النهار، بيروت، ط٢، ١٩٩١، ص٢٤٩

يموت جوعًا لأن التجار الفجار قد احتكروا خيره، فذهب من الناس من ذهب، لتمتلئ صناديق المحتكرين بالذهب، ثم لا يجد الأموات قبرًا لأن الحرب لم تبق من الرجال من يقدر على حفر قبر [٢٣].

إنّ الأزمة وجشع التجار لم تترك قرية أو مدينة، حتى في المدن التركية أصابها ما أصاب بقية المناطق، كان المستهلكون في المدن أكثر فئات الشعب تحملاً للأعباء الاقتصادية في فترة الحرب، لقد دفع هؤلاء المستهلكون أسعارًا خيالية للحصول على سلع غذائية رديئة النوعية وساهموا في قيام طبقة أثرياء الحرب الجديدة، وأصبح تجار ١٩١٦ - كما كان يطلق عليهم - سيىء السمعة بسبب جشعهم، وهكذا قامت الصرخة ضد نشاطاتهم.[٢٤]

ويؤكد ذلك المؤرخون الذين عالجوا تلك الفترة، فيذكر انطوان يمين الطمع والاحتكار وآثارهما: «نحن ضحايا المطامع مطامع الأغنياء الظالمين الذين احتكروا قوتنا ومطامع المتمولين القساة الذين أقرضونا أموالهم بأفحش رباء وسلبونا بيوتنا وأملاكنا وقضوا على أرواحنا» [٢٥].

ويشير عصام خليفة إلى أن عائلات لبنانية أصبحت ثرية من خلال بيع منتجات كانت مخزنة لديها بأسعار باهظة، ويضيف باعت نساء أجسادهن للحصول على كسرة خبز فيما تخلى رجال عن أراضيهم للحصول على برتقالة [٢٦].

حتى من يُحمِّل الأتراك مسؤولية المجاعة (المؤرخ عصام شبارو) يصفها بالافتعال (افتعال مجاعة في بيروت وجبل لبنان) ثم يستدرك فيقول: وهكذا مات الفقير جوعًا في بيروت وباع متوسطو الحال أملاكهم بأبخس الأثمان لدفع خطر الموت عن أطفالهم وأولادهم رغم أن مقدار القمح الوارد أثناء الحرب إلى بيروت وجبل لبنان قد تجاوز ألوف الأطنان [٢٧].

فقد أفرزت الحرب طبقة من الأثرياء، الذين في الأصل كانوا أراضٍ ولكنهم في بداية الحرب تعاملوا بالربا وحققوا أموالاً طائلة، وذلك على حساب الطبقة الأكثر غنى، والتي كانت تستدين للحفاظ على مواقعها الاجتماعية [٢٨].

بالرغم من محاولات السلطنة العثمانية لاتخاذ إجراءات لتسهيل عمليات نقل القمح وتخصيص حصص للأهالي، فإن أيًا من هذه الإجراءات لم يحسن التطبيق لأن الجسم الإداري في هذه السلطة كان فاسدًا، فذهب القمح إلى غير الجائعين، باختصار كان كل شيء

(٢٣) طنطاوي، علي، دمشق، دار المنارة، جدة، ط٢، ١٩٩٧، ص٦٦.

(٢٤) انظر: الحارس، الأوضاع الاقتصادية والمالية، في الدولة العثمانية والمقاطعات اللبنانية، ١٩١٤ - ١٩١٨، ج١، مرجع سابق، ص١٢٨.

(٢٥) يمين، انطوان، لبنان في الحرب ١٩١٤ - ١٩١٩، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩١٩، ص٥.

(٢٦) قرن على مجاعة أودت بثلث سكان لبنان خلال العهد العثماني، النهار، ٥ - ٥ - ٢٠١٥.

(٢٧) انظر: شبارو، عصام محمد، تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين، دار مصباح الفكر، بيروت، دط، ١٩٨٧، ص٢٤٨.

(٢٨) انظر: أبو شقرا، نائل، الغلاء وأثره في محنة الحرب العالمية الأولى، مؤتمر لبنان في الحرب العالمية الأولى، ١٩١٤ - ١٩١٨، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، دط، ٢٠١١، ص٥١.

داخل سوريا ولبنان بفعل الغلاء، فالسلطة والتجار والميسورين كل على طريقته أسهم إلى حد بعيد في القفزات المتتالية لسعر القمح (٢٩).

ففي ١ حزيران سنة ١٩١٦ اضطر علي منيف أن يجيب على صدى صراخ الشعب لجهة طلبهم جلب حنطة لهم لأن الجوع كان فشا في البلاد وأخذ من أهلها ما أخذ، فألغى علي منيف شركة الحبوب التي كانت تنظمت أولاً بعد موافقة المجلس الجديد وقام بتأليف شركة جديدة مغفلة في لبنان وأوجب على فريق من الأغنياء أن يشتري كل منهم مقدارًا من أسهم هذه الشركة وجعل قيمة السهم ٢٥٠ ليرة عثمانية ذهبًا، فجمع مبلغًا وافرًا، واستجلب بالمبالغ المجموعة المقادير التي يراها هو وحده لازمة من الحبوب وأقام بها مستودعات كثيرة في جميع أنحاء الجبل جاعلاً المستودع الرئيسي في قصبة حدث بيروت وعيَّن نجيب أفندي الأصفر مديرًا عامًا لهذه الشركة، وجعل لكل مستودع مأمورًا مخصوصًا فكانت هذه الشركة موردًا عظيمًا لمأموريها ولكثير من العقائل والأوانس وضربة قاضية على الفقراء الذين كانوا يستمطرون غضب الله على أصحابها (٣٠).

وقد اتخذ العثمانيون إجراءات ضد المساهمين في هذا الوضع، وذلك من خلال النفي، وكان عدد الذين تم نفيهم من بيروت ودمشق إلى الداخل تسعة عشر تاجر مع عائلاتهم.[٣١]

واستغل الانتهازيون هذه الفرصة لتحقيق أرباح طائلة، فبينما كانت بيروت تتلقى كمية كبيرة من الطحين من الداخل، ذهب بعض التجار إلى الجبل، وباعوا بضع عربات من الطحين القادم بأسعار مرتفعة، فضلاً عن شكاوى كثيرة من نوعية الخبز الذي كان يخلط أحيانًا بالتراب (٣٢).

وهو ما أكده تقرير البوليس السري الألماني الذي عزا أسباب «المجاعة» إلى سياسة احتكار الحبوب من قبل تجار محليين في دمشق وبيروت، وسمى التاجر ميشال سرسق الذي اتهمه واضع التقرير بتخزين كميات كبيرة من الحبوب وبيع الرطل منها بـ ٢٥٠ قرشًا فيما كان السعر الحقيقي هو ٤٠ قرشًا (٣٣).

حتى يصف البعض الوضع بأنه انهيار للنظام الأخلاقي والقيمي، وتوقفت السرديات بدهشة أمام الوحشية التي ميزت الحرب: امتناع الأغنياء عن تشغيل الفقراء، والإقراض بفوائد جنونية، والموت جوعًا على أبواب المتخمين (٣٤).

(٢٩) أبو شقرا، نائل، الغلاء دائرة في محنة الحرب العالمية الأولى، مؤتمر لبنان في الحرب العالمية الأولى، ١٩١٤ - ١٩١٨، مرجع سابق، بيروت، ٢٠١١، ص٤٢.

(٣٠) انظر: الأسود، إبراهيم بك، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مجلد ٣، المطبعة العلمية، بيروت، ١٩٢٠، ص٥٧.

(٣١)((الحارس، عبداللطيف، الأوضاع الاقتصادية والمالية في الدولة العثمانية والمقاطعات اللبنانية، ١٩١٤ - ١٩١٨، ج١، مرجع سابق، ص ١٦٢

(٣٢) انظر: الحارس، الأوضاع الاقتصادية والمالية في الدولة العثمانية والمقاطعات اللبنانية، مرجع سابق، ص١٥٥ - ١٥٦

(٣٣) سنو، عبدالرؤوف، ألمانيا والإسلام، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص٣٣٤.

(٣٤) عبد المسيح، سيمون، المجاعة الكبرى والاقتصاد الطرني، من دراسات لحالة إلى بناء المفهوم، مئة عام على الحرب العالمية الأولى مقاربة عربية، مجلد ٢، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط١، ٢٠١٦، ص١١٢.

٩ – استغلال المساعدات والتسهيلات الحكومية:

فمن احتكار التجار أنه في ٨ حزيران سنة ١٩١٦ أسس في بعبدا مركز رئيسي للإعاشة والتموين العام عهد بإدارته إلى الدكتور نجيب الأصفر تحت إشراف السلطة العسكرية العليا، فكان القمح يرد من سوريا إلى هذا المركز بمعدل كاف لضمان حاجة موظفيه أولاً وتخصيص الباقي للأهلين، ومع ذلك فقد استحكم الغلاء في بيروت وجبل لبنان بسبب فساد الإدارة وعلاقة القائمين عليها بمحتكري القمح وبيعه في الأسواق الحرة بأسعار فاحشة فشملت المصيبة الفقير وغير الفقير [٣٥].

فقد قام بعض الموظفين الأتراك واللبنانيين بالتلاعب بمواد الإعاشة المخصصة للبنان وعلى احتكار بعض المواد الغذائية وبيعها بأسعار خيالية [٣٦]. ويكتب انطوان يمين صفحات طويلة عن دور شركاء موظفي الإعاشة العثمانية الفاسدة من اللبنانيين والمرابين والتجار في رفع الأسعار والاستحواذ على أملاك الناس لقاء النذر اليسير من المال [٣٧].

وتم السماح لبعض التجار المستوردين بشراء القمح ونقله إلى بيروت وبعض المحطات اللبنانية. وأهمها محطة حدث الساحل بين بعبدا وبيروت، حيث يباع وبأسعار ارتفعت تدريجيًا إلى أن تعذر على الفقير شرائها. وكان أحد أسباب الرئيسة: الإثراء الشخصي [٣٨].

كما أتاحت الحكومة مراكز في كل قضاء ولكنها لم تأتي بالفائدة المطلوبة لأن أيدي أكثر مأموري هذه المراكز كانت تتلاعب فيها فزادت الخواطر اضطرابًا، وهلك كثيرون جوعًا [٣٩].

فقد اكتشف العلماء الذين درسوا تاريخ هذه الفترة حقيقة مزعجة: كان هناك على الأرجح ما يكفي من الحبوب في المنطقة لإطعام جميع السكان ولكنها لم تصل إلى حيث تجب.

فقد كان جمال باشا (قائد فيلق الجيش الرابع العثماني في سوريا الكبرى). يتبع سياسة عدم التدخل، ففشل في حل مشكلة المجاعة في بدايتها في عامي ١٩١٤ – ١٩١٥، ثم قام بتوزيع امتيازات القمح على الأعيان المحليين والتجار وكلفهم بتزويد الشعب بالحبوب وطلب منهم بيعها بالسعر الرسمي، ولكن الأخيرين خزنوا السلع لبيعها لاحقًا بأسعار أعلى، وكان صغار الموزعين يمزجون القمح مع التراب والنشارة والرمل لزيادة وزنه، فأصبح الخبز

(٣٥) الحكيم، يوسف، لبنان في عهد آل عثمان، دار النهار للنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩١، ص٢٥٠.

(٣٦) سعادة، سلوى جرجس، تاريخ مدينة زحلة بين الحربين العالميتين، ١٩١٤ – ١٩٤٣، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رسالة ماجستير في التاريخ غير منشورة، الجامعة اللبنانية، ١٩٨٥، ص٥٢، إشراف منير إسماعيل.

(٣٧) يمين، انطوان، لبنان في الحرب، ١٩١٤ – ١٩١٩، مرجع سابق، ص٥. وانظر: مجلة بدايات، مجاعة اللبنانيين في الحرب العالمية الأولى، عدد ١٢ (خريف ٢٠١٥).

(٣٨) انظر: الحكيم، يوسف، بيروت ولبنان، عهد آل عثمان، مرجع سابق، ص٢٥٠»

(٣٩) الأسود، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مرجع سابق، ص٥٥.

يعفن في غضون يومين بسبب النوعية الرديئة [٤٠].

فقد كانت الإساءة من القائمين على الأعمال (العطاءات، التسهيلات...) من مديرين ومتعهدين ومشرفين لواجباتهم من جهة، وجشع المتاجرين بقوت الشعب من جهة أخرى في مقدمة الأسباب التي حالت دون وصول الفقراء إلى حقهم من الخبز الضروري للحياة، فانتشرت المجاعة في لبنان، ولجأ عدد من الفقراء إلى بيروت حيث افترشوا الأرض في الطرقات والتحفوا السماء [٤١].

يتضح مما سبق أن أحد الأسباب الرئيسية للجوع هي جشع المحتكرين خلال سني الحرب، واستغلالهم للمساعدات والتسهيلات الحكومية.

ومن الكلمات الصادقة في هذا المضمار ما كتبه المؤرخ مسعود ضاهر: كما أن نقص المناعة الإنسانية والوطنية في الأزمة ساهم في تضخيم حجم المأساة فقد لعب تجار الحبوب، من لبنانيين وسوريين، دورًا قذرًا في تجويع أشقائهم حتى الموت. وتغلبت المصلحة النفعية المركنتلية التي تغلب مبدأ الربح السريع دون ضوابط أو قيم أخلاقية على الشعور الإنساني لدى تجار الحروب من الحكام والتجار، والمرابين والمضاربين، قد شكل هؤلاء طبقة أثرياء الحرب التي شاركت في حكم لبنان من مختلف الطوائف وفي جميع المناطق، دون أن توجه إليها أصابع الاتهام على الجرائم الكبيرة التي ارتكبتها بحق لبنان واللبنانيين.

فبعض من فرضوا الحصار على الشعب اللبناني حتى الموت جوعًا تم توصيفهم في عدد من الكتب التاريخية بالمنقذين والمدافعين عن حرية اللبنانيين المسلوبة وبعض أثرياء الحرب من تجار الحبوب وسارقي أموال المعونات الواردة من الخارج، والمضاربين بقوت الشعب، وصفوا بالمحسنين الطيبين، وشكلوا طليعة الفئة الارستقراطية اللبنانية التي شادت القصور الفخمة على حساب الشعب اللبناني [٤٢].

١٠ – الدور الألماني:

نادرًا ما تذكر الدراسات والأبحاث الدور الألماني بالأزمة الغذائية، إما بقصد التحييد أو بقصد إلقاء التهمة بالكامل على العنصر التركي لتحميله جميع موبقات «المجاعة» أو القصور في المعلومات والتحليل. ولكن دراسة الموقف الألماني الذي كان له تواجد هام من خلال قادته وعناصره المنتشرين في أكثر من مدينة يوضح الدور السلبي من خلال:

ـ تمكن التجار الألمان بمضاربتهم من الاستحواذ على القسم الأكبر من الحبوب «وبعدما كان قنطار القمح يباع بـ ١٣ مجيديًا تركيًا أصبح يباع للمضاربين الألمان بـ ٣٨

(٤٠) https//newlinermag.com/reportage/lebanons-famines-old-and-new/

(٤١) الحكيم، يوسف، لبنان في عهد آل عثمان، مرجع سابق، ص٢٥٠ — ٢٥١.

(٤٢) انظر: ضاهر، مسعود، تبدلات اجتماعية في جبل لبنان وآفاقها بعد الحرب العالمية الأولى، ج٢، مؤتمر لبنان في الحرب العالمية الأولى، ص٤٩٨ - ٤٩٩.

مجيديًا، وإذا لاحظنا أن العامل العادي، غير المتخصص، كان يتقاضى أجرًا مقداره ربع مجيدي لقاء يوم عمل، لأدركنا مقدار البون الشاسع بين مستوى الأجور وأسعار المعيشة خلال تلك الحرب» [٤٣].

ـ استغلال الألمان تجديد معاهدتهم التجارية مع الدولة العثمانية في ٢٥ حزيران ١٩١٥ وأخذوا يستولون على الحبوب والماشية من دون رقيب ويرسلونها إلى بلادهم، وقد أشار القنصل الألماني في بيروت إلى تجاوزات الجنود الألمان في تلك المدينة، عبر القيام بالمتاجرة بالسلع الغذائية التابعة للجيش الألماني أمام أعين السكان المحليين. وتحدث عن شائعات حول اعتداء جنود ألمان على نساء مسلمات. فأدى ذلك إلى تراجع سمعة ألمانيا في بلاد الشام، مما حمل القيادة العسكرية الألمانية على تكليف البوليس السرية الألماني بالاستقصاء عن الأوضاع في سوريا.

وفي تقرير حول الموضوع، قال رئيس البوليس السري، بعد رحلة له إلى حوران ودمشق وريـاق وبيروت وحلب، بأن مسلمي البلاد ومسيحييها ينظرون إلى الألمان إما بلا مبالاة أو بحقد، وأنه سمع بنفسه في بيروت وفي لبنان ودمشق اتهامات السكان للألمان بأنهم مسؤولون عن المجاعة التي ضربت البلاد عبر الضغط على السلطات العثمانية لعدم تزويد بلاد الشام بالمؤن الكافية، وبالتالي قيامهم بشراء كل محاصيل الحنطة والحبوب وشحنها إلى ألمانيا.

واقترح واضع التقرير أن تقوم ألمانيا بتقليد الأميركيين والبريطانيين عبر إنشاء مطابخ مجانية للفقراء في الكنائس والمساجد، معتبرًا أن هذا كفيل بتحسين صورتها بين السكان [٤٤].

وكان لإقدام القوات الألمانية المنسحبة من جبهات القتال في فلسطين أثر في تفاقم الأزمة المعيشية في بيروت من خلال شراء المواد الغذائية والحاجيات الأخرى فارتفعت الأسعار، إذ بلغ سعر ذراع القماش مئة وعشرين قرشًا، فضلاً عن ارتفاع أسعار الزيت والسمن والصابون [٤٥].

١١ – الأمراض:

انتشرت الأمراض والأوبئة بشكل مخيف، وكان الذباب ينقل حمى التيفوئيد، وكان القمل يحمل حمى التيفوس، وكانت الجرذان تنقل عدوى الطاعون، وكثر البعوض وزادت الوفيات

(٤٣) المغربي، محمد الأطرش، طريق الكفاح في فلسطين والمشرق العربي، مذكرات القائد الشيوعي محمد الأطرش المغربي، ١٩٠٣ - ١٩٣٩، إعداد وتحرير: ماهر الشريف، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠١٥، ط١، ص٢.

(٤٤) انظر: سنو، عبدالرؤوف، ألمانيا والإسلام، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص٣٣٣ - ٣٣٤.

(٤٥) انظر: العبيدي، عطية ماهر حمد، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في ظل التواجد العسكري للألمان في لبنان، مجلة جامعة تكريت، عدد ٨، ٢٠٢٠، ص٢٠٤.

مـن حمـى الملاريـا. وكان النـاس يشربـون الميـاه الملوثـة بجراثيـم الزهـار (الديزنطاريـا) [٤٦].
المصيبـة الثانيـة التـي حلـت خـلال الحـرب هـي انتشـار وبـاء التيفـوس والكولـيرا وزاد الموقـف سـوءًا انتشـار الكولـيرا بـين الجنـود [٤٧].

ومـن آثـار الحـرب المبـاشرة اسـتفحال وبـاء الحمـى القمليـة، الـذي فتـك بكثـير مـن أهـالي الجبـل، وكان سـببه انعـدام النظافـة، إذ إن مـادة الصابـون التـي وصـل سـعر الرطـل منهـا إلى الأربعـين غرشًـا كانـت غـير متوفـرة، وإن توفـرت فـإن شراءهـا كان مسـتحيلاً [٤٨].

ومن الأمراض التي ظهرت:

ـ «الحمـة الملوثـة» أو «التيفـوس»، هـي الوبـاء الـذي أثـار الذعـر ودخلـت بيـوت بـيروت وطالـت الميسـورين كـما الفقـراء عـلى السـواء، وانتـشرت بشـكل هائـل في بدايـة الحـرب الأولى ودعيـت بالحمـى العسـكرية، ولم تكـن هـذه الحمـى وحدهـا فتاكـة باللبنانيـين إنمـا هنـاك مثيلاتهـا مـن الحمـى الراجعـة والتفوئيـد والتهـاب سـحايا الدمـاغ والجـدري.

ـ الملاريـا، بلغـت ضحايـا هـذا الوبـاء بـالآلاف لانعـدام الوسـائل الصحيـة والأدويـة الكافيـة لا سـيما أقـراص الكيـا وحينهـا وصـل مـن ألمانيـا مقـدار مـن هـذه الأدويـة سـنة ١٩١٧ خفـت وطـأة الوبـاء.

ـ الهـواء الأصفـر، ظهـر هـذا الوبـاء في تمـوز ١٩١٦ مهـددًا السـاحل وبخاصـة بـيروت بفاجعـة لكـن العنايـة الإلهيـة شـفعت بالأهـالي، وبقـي محصـورًا في لبنـان في حـين تفـشى بشـكل واسـع في دمشـق وحيفـا ويافـا وحلـب.

ـ الجـدري، فقـد ظهـر في بعـض أحيـاء بـيروت وانتقـل منهـا في أوائـل تشريـن ثـاني إلى أرجـاء متعـددة مـن لبنـان ففتـك بالنـاس بعـد أن انتـشر في أواسـط الفقـراء الذيـن يتجولـون بـين الأوسـاخ للارتـزاق والتفتيـش عـن بعـض الفضـلات فلجـأت السـلطات إلى التطعيـم وفرضـت ضريبـة جديـدة مقابـل كل طعـم أو زيـارة مسـتوصف [٤٩].

ومـات الكثـيرون في بـيروت بسـبب الأمـراض «ليـس لأنهـا غـير قابلـة للشـفاء، بـل لأنهـم لم يتمكنـوا مـن الحصـول عـلى الـدواء، وبسـبب ضعفهـم الجسـدي، بـدأت الأمـراض (التيفـوس

(٤٦) انظـر: حتـي، فيليـب، تاريـخ لبنـان، مرجـع سـابق، ص٥٩١، وانظـر: سـعادة، تاريـخ مدينـة زحلـة بـين الحربـين العالميتـين، ١٩١٤ - ١٩٤٣، مرجـع سـابق، ص٥٠.

(٤٧) انظر: سلطان، تاريخ سورية، ١٩٠٨ - ١٩١٨، مرجع سابق، ص٣٤٩.

(٤٨) أبـو شـقرا، نائـل، الغـلاء وأثـره في محنـة الحـرب العالميـة الأولى، مؤتمـر لبنـان في الحـرب العالميـة الأولى، ١٩١٤ - ١٩١٨، منشـورات الجامعـة اللبنانيـة، بـيروت، دط، ٢٠١١، ص٥١.

(٤٩) انظـر: العلـم، ريغـان، مصـادر لبنانيـة مـن الحـرب الكـبرى، دراسـة وتقويـم: مؤتمـر لبنـان في الحـرب العالميـة الأولى، ١٩١٤ - ١٩١٨، منشـورات الجامعـة اللبنانيـة، بـيروت، ج٢،.

والكولـيرا والملاريـا، والحمـى الصفـراء تتفـشى)» [٥٠].

وقـد خلـت قـرى بكاملهـا بعـد وقوعهـا فريسـة أمـراض التيفوئيـد والكولـيرا التـي انتـشرت كالنـار في الهشـيم [٥١].

-الجائحـة الإسـبانية [٥٢] التـي ضربـت موجتهـا الأول بـيروت في نهايـة الحـرب (أيلـول) ١٩١٨ عـبر الطـرق البريـة والسـكك الحديديـة المحملـة بالجنـود العثمانيـين والألمـان، واتسـمت بعوارضهـا المرضيـة الخفيفـة.

وكانـت الموجـة الثانيـة أكـثر فتـكًا، وقـد وصلـت عـبر طريقـين؛ الأول: بـري بواسـطة خطـوط السـكك العثمانيـة، والثـاني: بحـري بواسـطة سـفن الحلفـاء وتنقـل جيوشـهم عـبر قنـاة السـويس إلى فلسـطين، لم تلقـى الجائحـة ذلـك الاهتـمام نتيجـة محدوديـة السـجلات العسـكرية والتقاريـر الطبيـة التـي اهتمـت أكـثر بصحـة المقاتلـين، ناهيـك عـن الرقابـة الحربيـة التـي منعـت التقاريـر عـن الجائحـة منعًـا لتـسرب الأخبـار السـيئة التـي قـد تؤثـر عـلى مسـار الحـرب لصالـح الأطـراف المنتـصرة، كـما غابـت المذكـرات عـن الجائحـة بسـبب مجريـات الحـرب وتداعياتهـا.

وقـد تـوفي بسـبب الجائحـة الإسـبانية أعـداد لا يسـتهان بهـا يقـدر بعـدة آلاف (مـا بـين ٥٠٠٠ و١٠٠٠٠ حالـة في بـيروت فقـط) [٥٣].

فالأمـراض والأوبئـة كان لهـا الأثـر الكبـير في الفتـك بالأجسـام التـي أصابهـا التحـول والطعـن بسـبب عـدم توفـر المـواد الغذائيـة بالشـكل الـكافي.

١٢-الجراد:

ففـي مطلـع نيسـان ١٩١٥، غـزا الجـراد بـيروت، وأخـذت أسراب تتـوارد مـن الجنـوب بكـثرة هائلـة، تـأكل الأخـضر مـن غـرس ونبـات، كـما هاجمـت حدائـق البيـوت، ومـلأت بيوضـه بـرك الميـاه التـي تـزود المدينـة بميـاه الـشرب، فانقطعـت الميـاه عـن الأهـالي لمـدة يومـين وانقطـع الخبـز الـذي يحتـاج في صنعـه للميـاه لمـدة ثلاثـة أيـام، وعبثـصا حـاول الأهـالي مقاومـة الجـراد، فـكان ذلـك نذيـرًا بخطـر المجاعـة التـي اسـتغلها التجـار[٥٤].

ويـروي فيليـب حتـي أن الجـراد مـن أشـد المصائـب التـي أصابـت البـلاد، وظـل الجـراد يحجـب

(٥٠) /https://newlinesmag.com/reportage/lebanons-famines-old-and-new

(٥١) قرن على مجاعة أودت بثلث سكان لبنان خلال العهد العثماني، النهار، ٥ - ٥ - ٢٠١٥.

(٥٢) سـميت بذلـك نسـبة إلى صحـف إسـبانية، ذاعـت خـبر الوبـاء، (ثـلاث موجـات: الأولى ربيـع ١٩١٨، الثانيـة في خريـف ١٩١٨، الثالثـة في شـتاء ١٩١٩).

(٥٣) الملا، عدنان، الأوبئة والأمراض في بلاد الشام، رسالة ماستر في التاريخ، الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٢٢، ص٥٠.

(٥٤) شبارو، عصام محمد، تاريخ بيروت من أقدم العصور حتى القرن العشرين، دار مصباح الفكر، دط، ١٩٨٧، ص٢٤٧.

نـور الشـمس أيامًـا عديـدة فلـم يبـق مـن الأخـضر شـيئًا [٥٥] ، ولم يـبرح البـلاد إلا في اليوم التاسـع عـشر مـن شـهر تمـوز سـنة ١٩١٥، ولكـن بعـد أن تعـرت المـروج مـن مزروعاتهـا والحقـول مـن أوراقهـا [٥٦].

كذلـك في سـوريا، حيـث موجـات الحـر الوافـدة مـن الصحـراء، حيـث قـضى عـلى كل الـزرع ولم تشـهد سـوريا مثيـلاً لذلـك الأعـداد مـن الجـراد، منـذ أربعـين سـنة، عندمـا حطـت أسرابهـا عـلى مشـق وحلـب وديـر الـزور وأضنـه، كـما أن قلـة الأمطـار أثـرت عـلى موسـم سـنة ١٩١٤، ثم اجتاحـت البـلاد أيضًـا موجـة حـر شـديد قضـت عـلى الآمـال بموسـم جيـد سـنة ١٩١٦ - ١٩١٧. كان الناضـول يعـاني مـن حالـة مماثلـة في تدمـير الموسـم [٥٧].

١٣-الفوضى والسلب:

انتشـار الفـوضى والسـلب: فعنـد اشـتداد المجاعـة، ولا يسـعنا إلا أن نذكـر أن حبـل الأمـن فمثـلا : تعـرض الزحليـون للنهـب والقتـل وذلـك أنـه في الجـرد الواقـع بالجهـة الغربيـة مـن زحلـة وبالتحديـد عـلى طريـق عـين حزيـر وعـين السـواعير قطـاع طـرق كانـوا ينهبـون المـارة ويقتلونهـم إذا رأوا أن لا سـبيل للنهـب إلا بالقتـل [٥٨].

ومـما يذكـر أيضًـا أن معظـم النـاس (في زحلـة) كانـوا يخبـزون خبزهـم ليـلاً خوفًـا مـن أن يكـون نهـارًا فيسـمع كثـيرون رق الخبـز فيهـا فيأتـون عـلى الفـور ويخطفـون الخبـز بالقـوة [٥٩].

ويشـير شـكيب أرسـلان إلى ذلـك: غلـت أسـعار الحنطـة، وصار النـاس يرحلـون إلى حـوران وإلى الداخـل، ولمـا كانـوا مضطريـن أن يحملـوا السـلاح في طريقهـم فقـد كانـوا يأخـذون منـي إذنًـا بتقلـد السـلاح وكنـت أعطيهـم ورقـة مشـفرة بهـذا الإذن [٦٠].

***

(٥٥) حتي، فيليب، تاريخ لبنان، مرجع سابق، ص٥٩١.

(٥٦) الأسود، إبراهيم بك، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مجلد ٣، مرجع سابق، ص٥٤ - ٥٥.

(٥٧) انظر: سلطان، تاريخ سوريا، ١٩٠٨ - ١٩١٨، مرجع سابق، ص٣٥١.

(٥٨) انظر: سعادة، تاريخ مدين زحلة بين الحربين العالميتين، ١٩١٤ - ١٩٤٣، مرجع سابق، ص٥٥.

(٥٩) انظر: المرجع نفسه، ص٥٠.

(٦٠) أرسلان، شكيب، تاريخ الدولة العثمانية، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص٤٣٧.

الفصل الثاني:مناقشة الإتهامات:
١-ولائم وعزائم وخطب:

الغريب أن المجاعة قائمة والولائم والعزائم منتشرة، فقد أولم أهالي زحلة وليمة لجمال وأنور حضرها ثلاثمائة شخص [٦١].

وكذلك عند قدوم أنور باشا، فقد ألقيت في بيروت والحازمية عدة خطب ترحيبية، ومن المؤسف أنه لم يؤت فيها على ذكر المجاعة التي انتابت لبنان [٦٢].

وكانت هناك فئة من طبقات الأغنياء، تتناول من خيرات جمال باشا، وكانوا يقيمون له الحفلات، بينما كان الفقراء يتضورون جوعًا [٦٣].

فالغذاء موجود ولكن الطمع والأنانية غلب على النفوس، كما يذكر يوسف الحكيم: «فكنت ترى الجياع الذين أموا بيروت طلبًا للقوت منطرحين أرضًا بانتظار الموت والمخازن حولهم زاخرة بالمواد الغذائية وبيت السراة الأثرياء مزدانة بموائد الترف والبذخ دون أن يجرأ أولئك الفقراء على مهاجمتها وأخذ بعض ما فيها لسد الرمق على الأقل [٦٤].

هل يعقل أن نقول إنها مجاعة، والباعة للفواكهة في الطرقات يبعيون ويشترون إذا كان البائع قد أمن على نفسه بالسير ببضاعته وبيعها دون خوف أو وجل، هل يكون المجتمع في مجاعة، نعم هناك جوع، أي أن السلع متوافرة ولكن هناك قسم كبير من الناس لا يقدر على شرائها [٦٥].

٢ – كشف زيف الافتراءات:

هناك من يقول: وقد تأثر المسيحيون أكثر من سواهم بالجوع لا سيما في مناطق الشمال والجبل، ولجأ بعضهم إلى البقاع وبيروت [٦٦].

فقد اختلفت التقديرات في عدد الموتى من المجاعة التي رافقها مرض التيفوس، وهناك

---

(٦١) انظر: سعادة، سلوى جرجس، تاريخ مدينة زحلة بين الحربين العالميتين، ١٩١٤ - ١٩٤٣، ص٥٠.

(٦٢) الحكيم، يوسف، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، دار النهار للنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩١، ص٢٢٦.

(٦٣) . سلطان، علي، تاريخ سورية، ١٩٠٨ - ١٩١٨، مرجع سابق، ص٣٤٢.

(٦٤) الحكيم، يوسف، لبنان في عهد آل عثمان، دار النهار للنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩١، ص٢٥١

(٦٥) وهو ما تذكره عنبرة سلام الخالدي: قد أدمت قلبي مرة، ونحن خارجين من أحد المحلات في ساحة البرج، وكانت خالية خاوية تقريبًا، إن اقترب منا أحد البائعين فاشترينا منه موزًا لم نبدأ بتقشيره حتى هجم علينا عشرات الأولاد يتقاتلون على التقاط القشر والتهامه مما جعلنا نكف عن الرمي ونقدم إليهم ما لدينا من ثمر. انظر: الخالدي، عنبرة سلام، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، دار النهار، للنشر، بيروت، ١٩٧٨، ص١٠٦.

(٦٦) مراد، انطوان، لبنان تاريخ سياسة وحضارة بين الأمس واليوم، ج١، الحركة السكانية والسياحية، Edito creps 1998، ص٥٠.

التقارير الصادرة عن الحلفاء أو أنصارهم في سوريا، تبالغ في العدد لتضخيم جريمة جمال باشا والأتراك بحق السوريين عامة، واللبنانيين والمسيحيين خاصة، ومعظمها يذكر أن جمال باشا افتعل تلك المجاعة حتى يذبح المسيحيين بطريقة أخرى، هي الجوع، لأنهم من أنصار الحلفاء والفرنسيين خاصة (٦٧).

فإذا قلنا أن الأتراك أماتوا نصارى لبنان تجويعًا لمحبتهم فرنسا فقد مات ألوف مؤلفة من مسلمي سوريا من الجوع أو من الأمراض الناشئة من فقد الغذاء والدواء (وأكثر الموت الذي وقع في لبنان هو أيضًا بالأمراض الناشئة عن ذاك ومات بعض بالجوع رأسًا) فهل قتلت الدولة هؤلاء المسلمين أيضًا لحبهم لفرنسا؟ وأن رد بأنها تعمدت قتل هؤلاء لكونهم عربًا فهل تتعمد قتل أتراك (الأناضول) ومهاجري (أرضهم) و(دان) و(تبليس) إلخ وهم أتراك وأكراد وجميع ارتكانها هو عليهم؟ وهل كان هؤلاء الأتراك والأكراد إلى تلك الدرجة ذائبين في حب فرنسا!!! حتى قتلتهم الدولة؟ وإذا كانت الموصل التي هي من أخصب بلاد الله وأوفرها زرعًا وأدرها ضرعًا بلغ من شدتها في أثناء الحرب أن أكل الناس فيها لحوم البشر فهل يعجب الإنسان في أن تمس المجاعة أهل جبل لبنان الذي أكثره صخور صماء وأتربة جرداء؟ كنا في الآستانة سنة ١٩١٧ - ١٩١٨ وكان كثير من الفقراء فيها يموتون جوعًا، وهي عاصمة الملك وكان الأغنياء يوزع عليهم الخبز الأسود المجهول الحاجة بمقادير قليلة ولولا فتح ألمانيا وحلفائها بلاد رومانيا الغنية بالحنطة والذرة وجلب التراك منها ما نفسي قليلاً من خناق الآستانة لم يكن أحد يعلم ماذا كانت تؤول إليه حالة الإعاشة في العاصمة نفسها (٦٨).

ويبقى هناك من يكرر أن الأتراك جوعوا أهل لبنان عمدًا وتصميمًا لمجرد حبهم لفرنسا، ولكون أكثرهم نصارى فهذه الإشاعة يحبون أن تبقى سارية ماشية رائجة وهذا الحجاب يودون لو يبقى دائمًا على حقيقة الحال مسدولاً كرهًا بالدولة السابقة في سوريا وتحببًا وتقربًا إلى الدولة المحتلة (٦٩).

إذا كانت المجاعة قصد من خلالها العثمانيون إيذاء المسيحيين والتضييق عليهم فإن «المجاعة» لم تصب جبل لبنان فقط بل تخطته إلى بيروت ومدن ساحلية أخرى بما فيها طرابلس، وشملت أنحاء أخرى من بلاد الشام ومن الأناضول (٧٠).

وهو ما يذكره سميح حمودة عن فلسطين، حيث قطعت أشجار الزيتون لاستخدامها في التدفئة وتسيير القطارات، وعانت البلدات الفلسطينية وارتفعت الأسعار وشحت المواد

(٦٧) سلطان، علي، تاريخ سوريا، (١٩٠٨ - ١٩١٨)، مرجع سابق، ص٣٥٤.

(٦٨) البعيني، مذكرات شكيب أرسلان، مرجع سابق، ص٥٠ - ٥١.

(٦٩) مع الإشارة أن المجاعة قد أصابت بلادًا من ممالك الدولة العثمانية ومن غير الممالك العثمانية مثل مكدونية، والصرب أو بولونيا، المرجع نفسه، ص٥١.

(٧٠) فاضل، روزيت، مجاعة ١٩١٥... الفساد الإداري والبطون الفارغة، النهار، ٣١ - ٥ - ٢٠٢٠.

والأطعمة والثياب إلى درجة تشبه حالة المجاعة [٧١].

وقد طال الجوع، بدرجات متفاوتة، غالبية المناطق اللبنانية، وليس جبل لبنان فقط، ولم يكن الأتراك المسؤولين الوحيدين عنها بل شاركتهم قوى أوروبية أخرى. وأخطر ما تعرض له تاريخ تلك الحقبة من تشويه أن الكتابة المؤدلجة نجحت في إلباس التهمة إلى الجانب العثماني منفردًا لكن الوثائق الدامغة تؤكد بما لا يقبل الشك أن أطراف تلك الجريمة كانوا من الأتراك العثمانيين، ومن الفرنسيين، والإنكليز، والألمان، وتجار الحروب من اللبنانيين والسوريين [٧٢].

٣ – الاتهام بالتجويع، أدلة عديدة تفيد أن هذا الاتهام باطل:

يستشهد الأمير شكيب أرسلان بتقارير لبطاركة المسيحيين اللبنانيين مثل بطريرك الطائفة المارونية – الحويك – وبطريرك الروم الأرثوذكس غريغوريوس الرابع والمطران ديمتريوس القاضي قائم المقام البطريركي للروم الكاثوليك وهي تقارير وصلت إلى الفاتيكان والدول الحليفة تنفي تهمة تجويع المسيحيين في لبنان عن الدولة العثمانية [٧٣].

ويذكر الأمير شكيب أرسلان الحجج ومحاولاته المختلفة لفك الحصار؛ ومنها:

"أن السوريين الذين في أمريكا كانوا أرسلوا باخرتين مشحونتين أرزاقًا وملابس للجياع والبائسين، من أهل سوريا، ولا سيما أهل لبنان، وهاتان الباخرتان جاءتا إلى الشرق، ولما وصلنا إلى الإسكندرية قاصدتين بيروت، منعتها السلطة الإنكليزية من السفر.

وبعد أن وصل الخبر إلى بيروت، واستبشر الناس وظنوا [أن] المجاعة قد انتهت، شاع أن الباخرتين توقفتا في ميناء الإسكندرية، وذلك بسبب الخلاف بين الحكومتين العثمانية والأميركية على كيفية توزيع هذه الإعانات، فعند ذلك، ونظرًا لكوني مبعوث الأمة، جئت إلى الآستانة، وتكلمت مع طلعت باشا الصدر الأعظم، حتى لا تبدي الحكومة العثمانية أقل تصعيب في كيفية التوزيع، وتترك لقنصل أميركا في بيروت أن يوزع الإعانة بحسب معرفته، حيث إن الأهالي في ضنك عظيم، والفقراء يموتون من الجوع، فأجابني طلعت باشا إلى كل ما طلبت، وأعطاني كتابًا إلى سفير أميركا، أخذته وناولته إياه بيدي، وهذا السفير كنت قد قابلته وزعم أن سبب تعويق مجيء الباخرتين لم يكن من الإنكليز، بل من الحكومة العثمانية، لأنها أرادت أن تستولي على تلك الأرزاق، فلما عدت إليه وبيدي من طلعت باشا المكتوب الذي تفوض فيه الحكومة العثمانية قضية توزيع الأرزاق إلى

(٧١) انظر: حمودة، سميح، رام الله العثمانية دراسة في تاريخها الاجتماعي، ١٥١٧ – ١٩١٨، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١، ٢٠١٧، ص٢٢٩ – ٢٣٠.

(٧٢) انظر: ضاهر، مسعود، تبدلات اجتماعية في جبل لبنان وآفاقها بعد الحرب العالمية الأولى، ج٢، مؤتمر لبنان في الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص٥٠٦.

(٧٣) المولى، سعود، «الأمير شكيب أرسلان، العثمانية والعروبة والحرب الكونية الأولى (١٨٨٠ – ١٩١٦) مئة عام على الحرب العالمية الأولى مقاربات عربية، مجلد ١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط١، ٢٠١٦، ص٥٠٢.

قنصل أميركا في بيروت، انقطعت حجته، وأخذ يلوك أعذارًا أخرى لا طائل تحتها، وكان هذا السفير يهوديًا أميركيًا، إلا أنه كان خادمًا لسياسة إنكلترا، وكانت إنكلترا هي التي تلتزم حصار سوريا، ومنع الأرزاق عنها، حتى يضج الأهالي، وينحازوا إلى الإنكليز، فهذا السفير الخبيث أجابني بخلاف ما كان زعمه في أول جلسة بيني وبينه، فقد كان جعل السبب في عدم مجيء الباخرتين إلى بيروت عناد الدولة العثمانية في قضية التوزيع، فلما أتيناه بذلك المكتوب من الصدر الأعظم رغم أن هذه المسألة لا يمكن بعد أن دخلت أميركا في الحرب، فقلت له: إن أميركا لم تشهر الحرب على تركيا، فهذه المسألة مسألة إنسانية محضة لا تعلق لها بالحروب، فإذا أردت أميركا ودول الحلفاء إنقاذ أهالي سوريا من الموت جوعًا، فإنهن يتفاوضن مع تركيا وألمانيا، ويتفقن على إيجاد طريقة لأجل إغاثة الجياع من أهل سوريا بالقوت الضروري، بدون أن يتحول شيء من هذا المقدار المخصص للجياع إلى الجيش العثماني، أفلا ترى أنه عندما احتل الألمان بلجيكا ووضعوا أيديهم على غلال الأراضي هذه المملكة، وقالوا للحلفاء: نحن لا نعطي الأهالي هنا إلا فضلة الرزق اللازم للعسكريين، فاتفق الحلفاء أنفسهم مع ألمانيا على تأليف لجنة محايدة من اسبانيول وهولنديين وغيرهم، وقامت هذه اللجنة بميرة الأمة البلجيكية إلى أن انتهت الحرب وهكذا لم تصب البلجيكيين أدنى ضائقة في معيشتهم، فإذا كان الحلفاء ومعهم أميركا يهتمون بأهالي سوريا وبالمسيحيين منهم خاصة، كما يهتمون بأهالي بلجيكا، فمثل هذا الاتفاق بينهم وبين تركيا سهل جدًا، وإن لم يكونوا يفعلونه فلا يكون عندهم أدنى اهتمام بحياة أهالي سوريا المسلمون في ذلك والمسيحيون سواء"[٧٤].

ويكمل الأمير شكيب أرسلان:

«فالسفير الأميركي الذي لم يكن يريد إلا خدمة مأرب إنكلترا شرع يبرئ الخلفاء وأميركا من تبعة تجويع السوريين، ورغم أن عدم مجيء الباخرتين من الإسكندرية إلى بيروت إنما هو ناشئ عن خوف بطش الغواصات الألمانية بهاتين الباخرتين، فقلت له: إننا حاضرون لأخذ الأوامر اللازمة من الحكومة الألمانية بعدم تعرض غواصاتها لتينك الباخرتين، وذهبت إلى سفير ألمانيا وذاكرته في الموضوع، وكان هذا السفير هو الدكتور كولمان، الذي صار فيمكا بعد ناظرًا للخارجية، فلما ذكرت له الموضوع سار بي إلى غرفة الملحق البحري في السفارة، وكان اسمه الكابتن هومان، وصار بعد الحرب رئيسًا لتحرير جريدة «الدويتش الجيمين تسيتونج» وبقيت الصحبة بيني وبينه منذ ذاك الوقت إلى أن توفي في السنة الماضية. فأفهمته القضية، وطلبت منه أن يكتب إلى قيادة الجيش في ألمانيا لتعطي الأوامر اللازمة إلى الغواصات حتى لا يقع منهن شيء على البواخر الآتية بالأرزاق لمعونة أهل سوريا، فكتب هومان إلى ألمانيا، وبعد أيام قلائل بعث إليّ حتى أجيء إلى السفارة، وأعطاني صورة الأوامر الصادرة حتى أبلغ سفير أميركا، ففي الحال ذهبت إلى هذا السفير وأطلعته على صورة الأوامر، وطلبت منه أن يبرق إلى مصر حتى يطلق الإنكليز سراح الباخرتين، فاعتل ثالث مرة بأنه يريد أوامر أيضًا لغواصات النمسا التي يخشى منها أن تغرق البواخر،

(٧٤) أرسلان، شكيب، تاريخ الدولة العثمانية، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨، تحقيق: حسن سويدان.

ومع أنه لم يكن غواصات للنمسا جائلة في غير بحر الأدرياتيك، ذهبت وتكلمت مع سفارة ألمانيا، وهي حصلت من جهة النمسا على الأوامر نفسها، وأبلغتنا صورة الأوامر، فجئنا إلى السفير، وكانت هي المرة الخامسة التي قصدته بها، فوجدته لا يزال يعتل بعلل فارغة، فأسمعته كلامًا لا يرضيه، وقد ظهر لي صحة ما قاله لي طلعت باشا من أول الأمر، وهو أن الإنكليز لا يردون لتوزيع هذه الأرزاق في سوريا لأغراض سياسية — وإنك أنت تخدم سياسة الإنكليز، ولا تهمك الإنسانية بوجه من الوجوه، وتركته وانصرفت.

وبالاختصار ظهر من سياق هذا الحديث الذي رويته من قبل في الجرائد العربية أن دول الحلفاء اللائي يزعمن العطف على أهل سوريا، ولا سيما على المسيحيين منهم، هن المسؤولات عن عدة عشرات ألوف منهم بالجوع، وهن اللائي منعن وصول الأرزاق التي أرسلت من أميركا إلى الشرق لتوزيعها [على الأهالي] في سواحل سوريا، ولو كانت هذه الدول أرادت الخير لأهالي سوريا بل للمسيحيين الذين تزعم هذه الدول أنها تحافظ عليهم، لكانت اتفقت مع تركيا على ميرتهم، كما اتفقت مع ألمانيا على ميرة أهل بلجيكا، وكان هكذا جرى إنقاذ مئات ألوف من الموت في سوريا، لأن المجاعة مع الأمراض التي نشأت عن الفقر، وفقد الوسائل اللازمة للحياة، قد جرفت مئات ألوف من السوريين، ومما يدل أوضح الدلالة على كون هذه الدول هي المسؤولة عن تلك المصائب، وليست تركيا ولا ألمانيا هو أنه قد كان السوريون في مصر جمعوا حينئذٍ إعانات لأبناء وطنهم، وأرادوا إرسالها إليهم، فحالت السلطة الإنكليزية دون إجراء هذا الطلب، ولم تسمح لهم بتوزيع هذه الإعانات إلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وعند ذلك جاء رفيق بك العظم وميشيل بك لطف الله إلى سوريا، ووزعا الإعانات، وهذا ما اعترف لي به ميشيل بك لطف الله، فأي دليل أوضح من هذا، على أن المانع كان من دول الحلفاء لا الدول الأخرى"[٧٥].

من الغريب أن المسيحيين إلا ما ندر لا يعرفون هذه الحقيقة، ولا يريدون أن يعرفوها، ولا يزال الكثيرون منهم يعتقدون أن سبب المجاعة قد كان تعمد تركيا عدم إعاشتهم وأنه كان في وضعها أن تميرهم، ولم تفعل.

ويكمل أمير البيان:

"وعندنا دليل آخر لا يقبل المكابرة على مسؤولية دول الحلفاء عن هذه المجاعة. وذلك أنني عندما ألقيت تلك المحاضرة في ميونيخ وذكرت ما أصيب به السوريون أثناء الحرب، وشرحت المسألة بجميع صفحاتها، وأوضحت كون المجاعة إنما نشأت عن الحصار البحري، وأن الحصار البحري إنما جاء من قبل دول الحلفاء، وأنه لا يرجى غوث السوريين إلا عن طريق جمعيات الصليب الأحمر، ولا سيما عن طريق الفاتيكان كما تقدم الكلام عليه. جاءني الدكتور كمريخ قنصل تركيا، وأرادني على تقديم تقرير بالوقائع إلى البابا، ففي

(٧٥) أرسلان، شكيب، مرجع سابق، ص٤٧٨ - ٤٨٠.

الحال كتبت تقريرًا وصفت به الحالة التي تفتت الأكباد، والتي يخشى منها أن يأتي الموت على أكثر السوريين إذا استمرت، وقلت في هذا التقرير: إننا نحن المسلمين حاضرون لنجدة إخواننا المسيحيين بكل الوسائل، وأن مسلمي البلاد الداخلية من سوريا قد أغاثوا المسيحيين الذين التجأوا إليهم، ولم يفرقوهم عن أنفسهم، ولكن الفقر عم الجميع، وأصبح كل إنسان مشغولاً بنفسه وأولاده، وأكثر اشتداد الأزمة إنما وقع في سواحل سوريا، لعدم وجود الأراضي الواسعة التي تخرج منها الحبوب، فنحن نتعهد للحضرة البابوية بأنه إذا وردت إعانات لمسيحيي سوريا ولبنان لا نشاطر فيها إلا بالمقدار الذي تسمح به الحضرة البابوية، وإذا أرادت حصر هذه الإعانة في المسيحيين فإننا نشكرها عليها، ولا نمد اليد إليها، وإذا كان الباب لا يغيث المسيحيين الشرقيين في أزمة كهذه، فلا نعلم في أي وقت يحتاجون إليه أكثر من احيتاجهم في هذا الوقت، ثم بعد ذلك وردني جواب من الحضرة البابوية: «أن الحبر الأعظم لم ينس ولن ينس مسيحيي سوريا، وأنه قد سعى مرارًا لإغاثتهم، وبأخذ الرخصة من الحلفاء لأجل إرسال الأرزاق التي تخفف من أزمتهم، ولكن إنكلترا حالت دون إجراء رغبته هذه، ولذلك قلب قداسته مجروح من عمل إنكلترا هذا، وسيعلم المسيحيون في الشرق فيما بعد أن الحبر الأعظم لم يهملهم [٧٦].

لو شاء الحلفاء لأوصلوا الإعانات إلى سواحل سوريا كما أوصلوها إلى ممالك أخرى عضها الجوع بنابه أثناء الحرب ولوقوا من الموت أولئك الألوف الذين ماتوا من مسلمين ونصارى. إن الحلفاء مع كونهم في حال حرب مع ألمانيا أمكنهم أن يتفقوا معها على إعاشة بلجيكا وتعينت لذلك لجنة مؤلفة من متحايدين إسبانيين وهولنديين كانت تأتي بالحبوب والأرزاق من أميركا وتوزعها على المعوزين في بلجيكا وعلى كل من ينقصه شيء فلم يمنع وجودهم محازيين للألمان من أن يتفقوا معهم على إغاثة أمة أشفقوا أن يمسها الجوع. ولقد ثبت أنهم أرسلوا إلى البولونيين بإمدادات وافرة وإلى الصربيين وإلى غيرهم. فلو كانوا يحبون أهل لبنان كما يدعون لاتفقوا مع الدولة العثمانية وقتئذٍ وأغاثوهم ولو بسداد من عوز، ولأنقذوا تلك الخلائق من الموت، أو لسمحوا على الأقل بتسريب الإعانة التي أرسلتها أميركا لأجل سوريا والإعانة التي كان البابا ينوي إرسالها إلى المسيحيين وهم كانوا الحائلين من دونها. أن تكون هذه هي الحقيقة وتكون التبعة العظمى في عدم دفع هذه المجاعة عليهم نأتي نحن لأغراض في الأنفس فنبرئهم من جناية هم أنفسهم أدرى بأنهم كانوا فاعليها لأسباب حربية وسياسية قامت في نفوسهم. ونقول لهم: كلا إنما أجاعنا الأتراك وأنتم أولاء أحييتمونا؟ ولكثرة ما تردد أمامهم هذه الكلمة يبلغ بهم الأمر أن يظنوا كونهم صاروا أحق بالبلاد من أهلها وأن يصارحونا بقولهم: لولانا لكنتم جميعًا هلكتم جوعًا. كما رووا مرارًا، وآخر مرة أعلنها الجنرال غورو على مائدة غبطة البطريرك الماروني في الديمان بدون محاباة".[٧٧]

(٧٦) أرسلان، شكيب، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص٤٨٠ - ٤٨١.

(٧٧) ـ البعيني، مذكرات شكيب أرسلان، مرجع سابق، ص٥٢.

٤ – المساعدات والإغاثة العثمانية:

ويطرح السؤال في هذا الموضع هل كانت السلطة العثمانية تتعمد التجويع؟ هل كانت السلطنة العثمانية غائبة عن المساعدة والإغاثة؟ هل حاربت هذه الأعمال ومنعتها؟
إن البحث في الأعمال والشواهد والوثائق توضح أن السلطة العثمانية كانت حاضرة من خلال الكثير من الأعمال الإغاثية ويمكن إيرادها في ما يلي:

ذكر عزيز بك ضابط الاستخبارات العثمانية، أن جمال باشا قد اتخذ إجراءات للتخفيف من المجاعة، وقدم الجيش التركي المساعدات التالية:

أ – إلى سائر المدارس الحكومية.

ب – لعائلات الدول المحاربة الموجودة في بيروت.

ج – إلى الجامعة الأميركية.

د– لسائر موظفي الدولة وعائلاتهم.

هـ – للمستوصفات والمستشفيات على اختلافها.

و – ٣٠٠ ألف كيلو من الحبوب إلى البطريركية المارونية لتوزيعها على الأديرة والرهبان.

ز – ١٥٠ ألف كيلو من الحبوب للبطريركية الأرثوذكسية (الروم)، والروم الكاثوليكية.

حـ – تأمين معيشة ألف طفل أرمني.

ط – ٥٠ ألف كيلو من القمح و٢٥ ألف ليرة قرضة إلى بطريرك الروم الأرثوذكسي في القدس.

ك – لدار الأيتام المهاجرين الأرمن في حلب.

ل – تأمين معيشة أربعة آلاف شخص من أهالي بيروت، يعملون لدى الدولة – غير الموظفين – وغير ذلك كثير [٧٨].

وهذه المساعدات تؤكدها وتذكرها كثير من كتب المذكرات «ككتب الغزي، والحكيم، وإبراهيم الأسود، وشكيب أرسلان، ومجلة المنار، وكتب شكر من رجال الدين لجمال باشا لما أمدهم من معونة، وكذلك الجامعة الأميركية والوثائق الإنكليزية، كما تذكر الوثائق الفرنسية مساعدة جمال للموارنة بعد زيارة البطريرك الحويك له» [٧٩].

تقديم الدعم لرجال الدين المسيحيين: وهو ما يدحض الكثير من الافتراءات بأن العثمانيين

(٧٨) عزيز بك، الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية، تعريب فؤاد الميداني، بيروت، ص١١٦ – ١١٧.

(٧٩) سلطان، علي، تاريخ سوريا ١٩٠٨ – ١٩١٨، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٧، ص٣٦٤ – ٣٦٥.

تعمدوا تجويع المسيحيين، وقد تم ذلك من خلال:

أ - إسعاف العثمانيون للبطريرك غريغوريوس حداد «وبعد أن أنفق كل ما لديه في سبيل إعانتهم بالخبز والدقيق، رهن صليبه الذهبي مقابل مبلغ من المال أنقذ به حياة بعض الفقراء من الموت جوعًا، ولما بلغ مسامع جمال باشا ما يقوم به هذا الحبر الجليل من أعمال البر والإحسان إلى المعوزين دون تفريق في الجنس والدين والمذهب، زاره شاكرًا له عطفه على أولئك البؤساء ومده بكميات من القمح مكنته من المثابرة على عمله المبرور حتى نهاية الحرب (٨٠).

ب - إعانة البطريرك، فقد سمح جمال باشا في عام ١٩١٧ باستيراد القمح من سوريا وخص البطريرك الماروني إلياس الحويك بشاحنات منه لتوزيعها على الفقراء، وسمح بعودة العائلات من منفاها (٨١).

ج - وطرق الخوري بولس عقل باب الحكومة فأمدته بكميات وافرة من الحبوب ولكنها على وفرتها لم تنفع الغلة لأن دائرة الفاقة كانت قد اتسعت (٨٢).

والحكومة العثمانية لم تهمل موضوع التغذية، فبعد مذاكرات اشترك فيها جمال باشا وأركانه وتحسين بك والي سوريا وعزمي بك والي بيروت وعلي منيف بك متصرف جبل لبنان وأسست مكاتب القمح والإعاشة في معظم المدن السورية وفي القرى القريبة من الخط الحديدي الممتد بين دمشق - رياض — حلب (٨٣).

في أوائل شهر شباط ١٩١٥ أخذت أسعار الحنطة وأسعار جميع حاجيات المعيشة بالارتفاع وقد وقفت إذ ذاك الأمطار والثلوج حاجزًا بين لبنان والولايات المجاورة فعلا الصراخ واضطرت الحكومة إلى تأليف شركة بيروتية لبنانية لمعالجة هذه العلة فجلبت الحبوب التي أمكن جلبها من حلب وكانت تبيعها بأسعار منخفضة للفقراء بموجب وثائق تعطى لهم من مشائخ القرى إلى المستودع العمومي الذي كان في قصبة حدث بيروت، ثم إن الحكومة جعلت في مركز كل قضاء مستودعًا تسهيلاً للأهالي (٨٤).

وكذلك مساعدة المعلمين والمعلمات، فقد أقال الباب العالي أوهانس باشا من المتصرفية وعين علي منيف بك متصرفًا بدلاً منه في ٢ آب سنة ١٩١٥ فأظهر علي منيف بك اهتمامًا في شؤون لبنان وأسس كثيرًا من المدارس في جميع أنحائه فأفادت هذه المدارس الناشئة اللبنانية علمًا وأدبًا ونفعت المعلمين والمعلمات مما كان يحق لهم أن يتناولوه من القمح بدل

(٨٠) الحكيم، يوسف، بيروت، ولبنان في عهد آل عثمان، دار النهار للنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩١، ص٢٧٨.

(٨١) شبارو، عصام محمد، تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين، دار مصباح الفكر، بيروت، دط، ١٩٨٧، ص٢٥٢.

(٨٢) الأسود، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مرجع سابق، ص٦٢.

(٨٣) الحكيم، يوسف، لبنان وبيروت في عهد آل عثمان، دار النهار، للنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩١، ص٢٥٠.

(٨٤) .الأسود، إبراهيك بك، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مرجع سابق، ص٥٤.

قسم من رواتبهم [٨٥].

وقد أقامت الحكومة ودعمت العديد من المراكز والجمعيات:

- اضطرت الحكومة إلى فتح الملاجئ العديدة ولكنها كانت قليلة الفائدة لأنها لم تكن تحتوي على مواد التغذية الكافية [٨٦].

ـ فتحت الدولة أثناء الحرب في القدس ودمشق وبيروت ويافا قاعات للشاي، جعل ثمن الشاي والخبز والماء الساخن قليلاً أو بلا ثمن للفقراء والبائسين [٨٧].

ـ وتذكر عنبرة سلام الخالدي: أنه في بداية ١٩١٧م، بادر الحكام الأتراك إلى الإغاثة بمشروع تفتح بموجبه أربع ملاجئ في بيروت لإيواء الأطفال الجائعين المشردين في الشوارع، ثم يفتح مشغلان للنساء والفتيات، يتعلمن فيها مختلف الأشغال اليدوية مع تأمين طعامهما، دفع أجرة رمزية لمن تتقن العمل منهن [٨٨].

وتألفت لجان لجمع ما تيسر من فراش وثياب وأدوات للطبخ والأكل للملاجئ، وتكفلت الحكومة بتغطية الباقي وتقديم الخوف والأموال اللازمة للمشتريات اليومية، وقد صادرت بعض المدارس المغلقة بسبب الحرب، وقدمتها لتكون ملاجئ للأولاد، كما صادرت بناية كبرى في برج أبي حيدر، كانت تخص المدرسة العثمانية قبل الحرب، وجعلتها مصنعًا أو مشغلاً لتعليم البنات والسيدات مختلف الأشغال اليدوية... ثم ألحق بالمصنع فرع لحياكة السجاد أشرف عليه معلمون من الأرمن... وبلغ عدد العائلات فيه حوالي الألف، وكن يتناولن ظهرًا طعامًا يطبخ لهن في مطابخ المصنع، ثم يأخذن رغيفًا كبيرًا من الخبز عند انصرافهن إلى بيوتهن مساءً [٨٩].

ومن الأعمال أيضًا: إغاثة ميتم أنفه وهو ما يرويه يوسف الحكيم، أنه لما بلغ عدد الأيتام في الميتم المئة ولما شعرت بالحاجة إلى مزيد من النفقات بسطت واقع الحال أمام متصرف لبنان علي منيف بك آسفًا لاضطراري إلى التوقف عن هذا العمل الخيري ولما يؤثر إغلاقه على ثقة الشعب بعطف الحكومة مقترحًا أن يسمح له بأخذ ما يحتاجه الميتم من موجود المكتب الحبوب من قمح وزيت وصابون وغيره، فأجاز لنا ذلك بعد أن حصل على موافقة القيادة العسكرية العليا [٩٠].

ـ تلبية نداءات المدن والاشتراك في إغاثتها (زحلة على سبيل المثال):

(٨٥) المرجع نفسه، ص٥٦

(٨٦) نظر: الأسود، إبراهيم بك، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مرجع سابق، ص١٩٢.

(٨٧) سلطان، تاريخ سوريا ١٩٠٨ - ١٩١٨، مرجع سابق، ص٣٦٥.

(٨٨) الخالدي، عمبرة سلام، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين.دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٠٧.

(٨٩) انظر: المرجع نفسه، ص١١٢.

(٩٠) الحكيم، يوسف، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، دار النهار للنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩١، ص٢٥٨.

ففي ١٤ أيلول ١٩١٤ ذهب رئيس بلدية زحلة مع بعض أعضائها إلى بيت الدين يعرضوا حال المدينة لدولة المتصرف، فأعلموه بأن الأوامر التي صدرت بمنع إدخال الغلال إلى زحلة تضرر أصحاب الأملاك الزحليين الذين لم يعد في إمكانهم جلب أغلالهم من البقاع وشمل الضيق أبناء زحلة وأسرهم.

عندما خابر المتصرف أوهانس باشا أول الأمر في الآستانة، فأصدرت نظارة المالية أمرها بإدخال الحنطة إلى لبنان بشرط عدم تصدير شيء منها إلى الخارج، كما خابر والي بيروت والي الشام بهذا الشأن وقال لهم: «كونوا مطمئنين وطمئنوا أهل المدينة، وامنعوا الأراجيف والإشاعات التي تشوش الخواطر» (٩١).

ـ ومن محفوظات يوسف بريدي (زحلة): أن جمال باشا سمح بإقامة مركز لبيع الحنطة في زحلة الأمر الذي أدى إلى اجتذاب العديد من أبناء الجبل إلى زحلة وإنقاذهم من مخالب الموت (٩٢).

ـ اشتراك التركيات في الإغاثة، ففي زحلة نهضت نساؤها لإغاثة الجياع وخاصة ألوف اللبنانيين الذين طردتهم المجاعة إلى مدينة البقاع فأخذن على الرغم من الضيق العام يأوين اللاجئين، كما نهضت لجمع الإعانات من المخازن والمنازل، وقد اشتركت عقيلة الحاكم التركي مع سيدات زحلة بهذا العمل. وقد جمعن المال الذي وقى الكثيرين من الموت جوعًا على قوارع الطرق (٩٣).

ـ ولا يمكن إغفال سماح السلطات العثمانية إقامة الملاجئ الكثيرة من المرسلين الأميركيين في بيروت التي كان لها الفضل بإطعام الجياع وإلباس العراة ومداواة المرض، وفي ذلك الحين فتحت ملاجئ النجمة البيضاء (اسم لجنة خيرية أميركية) (٩٤).

وكذلك أعمال الغوث التي قام بها الأميركي كيلفند وودج عبر منظمته الخيرية في بيروت (٩٥).

وشرعت سيدات بيروت بدعم من وجهاء بيروت أمثال آل بيهم والداعوق وسلام وغيرهم على تأسيس ملاجئ لإيواء الأيتام والمعوزين، ونشطت السيدات في جمع المواد الغذائية والفرش والثياب وأدوات المطبخ وتوزيعها على الملاجئ والمطاعم الخيرية للحد من الجوع

(٩١) انظر: سعادة، تاريخ مدينة زحلة بين الحربين العالميتين ١٩١٤ - ١٩٤٣، مرجع سابق، ص٥٢.

(٩٢) انظر: سعادة، سلوى جرجس، تاريخ مدينة زحلة بين الحربين العالميتين، ١٩١٤ - ١٩٤٣، ص٥٠.

(٩٣) انظر: المرجع نفسه، ص٥٠.

(٩٤) الأسود، إبراهيم بك، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مرجع سابق، ص١٩٣. وهو ما أورده أحد تقارير الأرشيف الأميركي، حي أوردت في تقرير بتاريخ ١٢ حزيران ١٩١٦ تضمن توصيفًا شاملاً للمجاعة التي عاشها سكان جبل لبنان، ودعوة الأميركيين للتبرع إلى اللبنانيين الذين يعانون مأساة كبيرة بسبب الحصار الذي فرض على السواحل اللبنانية في الحرب العالمية الأولى.

(٩٥) انظر: مراد، لبنان تاريخ سياسة وحضارة بين الأمس واليوم، مرجع سابق، ص٥٠. انظر: ضاهر، مسعود، لبنان في الأرشيف الأميركي (١٨٣٥ - ١٩٥٩)، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ط١، ٢٠١٤، ص١١٢.

وكـوارث الحـرب المعيشـية [٩٦].

وقـام عمـر الداعـوق (أحـد أعيـان المسـلمين في بـيروت) وأعضـاء المجلـس البلـدي عـلى اسـتيراد الطحـين مـن حـوران ليوزعـوه عـلى أبنـاء بـيروت مـن المسـلمين والمسـيحيين مناصفـة ومجانًـا. وذلـك لمواجهـة «المجاعـة»، الأمـر الـذي دعـا البـاب العـالي بمنـح الداعـوق النيشـان السـلطاني، وبالتعـاون مـع المطـران مـسرة عمـل الداعـوق عـلى رعايـة الفقـراء المسـلمين والمسـيحيين عـلى السـواء [٩٧].

والمفارقـة مـا يدعيـه البعـض مـن بطـولات في إيصـال المعونـات خفيـة عـن أعـين السـلطات العثمانيـة فنجـد أن الموضـوع هـو غـض نظـر مـن قبـل العثمانيـين وهـو مـا يرويـه لحـد خاطـر في كتابـه: إن إسـماعيل حقـي كان مطلعًـا عـلى اتصـالات بعـض اللبنانيـين بالفرنسـيين في جزيـرة أرواد، لأغـراض عديـدة منهـا تسـلم مـا كان يصـل عـن طريقهـم مـن مسـاعدات المهاجريـن اللبنانيـين إلى ذويهـم، ومـع ذلـك كان يعتصـم بالسـكوت والتجاهـل، ويـروي عنـه المطـران بولـس عقـل أنـه زاره مـرة في بعبـدا، فخـلا بـه وأسر إليـه أنـه مطلـع عـلى مغامراتـه مـع نعـوم باخوس، وأوصـاه بالحـذر، وبـأن يكتـم عـن الجميـع أمـر تلـك الزيـارة [٩٨].

لذلـك تجـد هنـاك مـن ينصـف السـلطنة (وهـم قلـة) فيقـول: بالرغـم مـن الاتهامـات التـي سـبقت حـول الإجـراءات العثمانيـة، إلا أن الحقيقـة هـي أن الحكومـة العثمانيـة كانـت تحـاول وبـكل صـدق وضـع سياسـة لضبـط تحـركات المـواد الغذائيـة مـن أجـل تأمـين حاجـات كل مـن الجيـش والمدنيـين [٩٩].

٥ – الجوع والجيش والسلطنة:

ومن الحقائق التي توضح الصورة حال الجيش والسلطنة:

"ولكـن كان الضعـف يومئـذٍ قـد اسـتولى عـلى كل شيء، ونضبـت أكـثر مـوارد الإنفـاق فلـم يبـق مـن قـوة لـزرع جميـع تلـك الأراضي التـي لـو زرعوهـا مـن أول سـنة مـع مـا ينالهـا مـن الـري الـوافي لجـاءت بغـلال تحجـب عـين الشـمس، ولكانـت قـوة لهـم للسـنين الشـديدة التـي جـاءت فيـما بعـد. فأنـت تـرى أن الجهـل بأحـوال الحـروب وبعواقبهـا، والاعتقـاد بكـون الدولـة تقـدر عـلى كل شيء كانـا مـن أسـباب هـذه المصيبـة الكـبرى، وكيـف تقـدر الدولـة أن تطعمهـم كفايتهـم وقـد عجـزت في الآخـر عـن إطعـام جيشـها، وكان الجـوع مـن أفعـل الأسـباب في فشـل

(٩٦) الخالدي، عبير سلام، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، مرجع سابق، ١١١–١١٣.

(٩٧) انظـر: جـرداق، الأب مـتري، الأوضـاع الاقتصاديـة والاجتماعيـة والسياسـية للـروم الأرثوذكـس في بـيروت ومتصرفيـة جبـل لبنـان (١٨٦٠ – ١٩٢٠)، أطروحـة دكتـوراه غـير منشـورة، الجامعـة اللبنانيـة، ٢٠٠٦، ص٣٣٣، إشراف مسـعود ضاهـر.

(٩٨) خاطر، لحد، عهد المتصرفين في لبنان، ١٨٦١ – ١٩١٨، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٧، ص٢٠٦.

(٩٩) الحارس، الأوضاع الاقتصادية والمالية في الدولة العثمانية والمقاطعات اللبنانية، مرجع سابق، ص١٨٥.

الدولة بالحرب ولقد علم القاصي والداني كيف كانت الألوف تفر من الجيش العثماني في فلسطين من قلة القوت. وكيف كانوا فيه يقتاتون بالحشائش، ويموتون ألوفًا من سوء التغذية، وكيف كان الولاة بأنفسهم يذهبون إلى جبل الدروز بأيديهم الذهب الرنان الأصفر يعرضونه على أهله ليأخذوا بدله ما يميزون به العكسر وكثيرًا ما كانوا يخففون في سعيهم، وبقيت الأقوات مدة مديدة ترد على جيش فلسطين من قونية من قلب الأناضول وذلك لخلو سوريا ثم حلب ثم أضنه نفسها مما يكفي الجيش والأهالي معًا، فالذي يقصد «التجويع» لا بد أن يكون هو شبعان لا جائعًا، وإلا فلا يكون قصد التجويع بل يكون أصيب هو بالجوع وعجز عن المبرة. ومن عجز عن كفاية نفسه فهو عن كفاية غيره أعجز، وربما قيل ما دامت الأناضول فيها أرزاق فلماذا بخلت بها الدولة على أهل سوريا؟ والجواب لم يكن في الأناضول أرزاق تفيض عن حاجة أهلها بل اشتد الغلاء في كثير من ديار الأناضول ووقعت المجاعة في القسم الشرقي منه ومات مئات ألوف من أهله جوعًا، وكثير من السوريين الذين كانوا منفيين في الأناضول ولا سيما في جهات سيواس وطوغات يشهدون ذلك (١٠٠).

حتى أن السلطنة العثمانية تلقت مساعدات من الخليج العربي، وهو ما يذكره طلال الطريفي: إذ ما قلنا أن منطقة حائل منطقة عثمانية، فإننا لا نقول أنه جرى عليها ما جرى على بلاد الشام، يعود ذلك إلى كونها لم تزل منطقة التقاء القوافل، ولم يتم إجراء فعلي لقطع وصول القوافل إليها، لكنها في الوقت نفسه كانت مؤهلة لحدوث كارثة، لأنها عملت على حل المشكلة الغذائية في بلاد الشام مساعدة منها للدولة العثمانية، ما انعكس زيادة في نشاطها التجاري مع الشام، فأصبحت حافل متنفسًا يسد شيئًا من حاجة الشام للبضائع، ويخفف من وطأة الأزمة.

واستمر تهريب البضائع من الكويت إلى المناطق المحظورة من قبل الإنكليز إلى حائل والمدينة المنورة والشام، وقد تنبه البريطانيون إلى ذلك فهددوا الكويت بأنهم لن يكونوا ملزمين بوعدهم في حمايتها في حال حدوث تهديد خارجي إذا لم ينتهوا عن انهيازهم إلى العثمانيين (١٠١).

٦ – السرقة:

هل السرقة التي يقوم بها بعض الناس تتحملها السلطنة العثمانية أيضًا (١٠٢).

---

(١٠٠) البعيني، نجيب، ذكريات الأمير شكيب أرسلان، دار نوفل، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص٥٠.

(١٠١) انظر: الطريفي، طلال خالد، الأوضاع الاقتصادية في حائل خلال الحرب العالمية الأولى، مجلة الدرعية، عدد ٥٩ و٦٠ (٢٠١٤)، ص٢٠٩ – ٢١٤. وانظر: أبو حاكمة، أحمد، تاريخ الكويت الحديث (١٧٥٠ – ١٩٦٥)، دار ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٨٤، ص٢٤٤.

(١٠٢) واقعة ذكرها جمال واكيم (رواها والده النائب السابق نجاح واكيم وهي عن جده ميلاد الذي قضت عائلته بالمجاعة الكبرى، لأن خوري الضيعة لم يوصل المال إلى العائلة). كانت السلطات العثمانية تسعى إلى تجنيد الشبان في أرجاء المملكة بالسخرة، وكان الكثيرون منهم يواجهون مصيرًا واحدًا هو الموت إما في أعمال القتال، وإما نتيجة أعمال السخرة القاسية التي يخضعون لها. وكان ميلاد الراعي من بلدة الصفرا أحد الشبان الذين طلبوا للخدمة العسكرية أو السفر برلك، فآثر الهرب مع رفيق له إلى قبرص، وبعد أن عجز عن إيجاد عمل اختار

٧ – الحصار البري:

مناقشة:

هناك شبه إجماع عند الكتاب اللبنانيين وفي الذاكرة الشعبية على أن الحصار البري الذي فرضه جمال باشا على متصرفية جبل لبنان، هو السبب الرئيسي في حدوث «المجاعة». وإذا سلمنا جدلاً بهذه المقولة، فكيف نستطيع تفسير حدوث جوع في طرابلس وغيرها من مناطق بلاد الشام التي لم يحاصرها هذا القائد العثماني.

إن تضخيم أخبار المجاعة وتحوير أسبابها، شكل مخرجًا لأولئك الذين رأوا فيه إلهاء للعامة عن الواقع المرير الذي قادوها إليه، وكان من الطبيعي أن يلقى مثل هذا الحديث رواجًا لدى الأوساط الشعبية كافة في بدايات هذا القرن، حيث تنامى الشعور القوي عند العرب، وتفاقمت الخلافات العربية العثمانية، وانطلقت الثورة العربية في الحجاز بقيادة الشريف حسين.

لهذا السبب طغى حديث المجاعة على أخبار الحرب العالمية الأولى، فما أن تأت على ذكر تلك الحرب حتى يبادرك المستمع إلى سرد ما يسمعه عن المجاعة [١٠٣]!

٨ – المبالغة والتضخيم:

مدينة البترون: فقد انتشرت معلومة غير محققة، أثبتها المؤرخ فيليب حتي في كتابه: «لبنان في التاريخ»، عن مدينة البترون في الأوساط البحثية، وعبر كتب التاريخ المدرسي، تقول أن البترون فقدت ٦٠ في المئة من سكانها خلال الحرب العالمية الأولى.

إن بلدة مثل البترون كان عدد سكانها عند نشوب الحرب ٥٠٠٠ نسمة، فهبط عند انتهائها إلى ألفين وبيّنت الإحصاءات والتقديرات والسجلات الكنسية أن هذه المعلومة لا ترتكز على أي مرجعية علمية (والمؤرخ لا يشير إلى مصدرها)، وأنها أقرب إلى الإعلان التضخيمي، أو إلى «الحس المشترك»، ولعل مصدر التضخيم نتج من احتساب المهاجرين ضمن وفيات الحرب [١٠٤].

وكذلك القصة التي ذكرت عن طفل ولدته أمه في قرية صغيرة ولم يكن له أهل وأقارب

الالتحاق ببارجة فرنسية العمل في التنظيفات على متنها، وكانت مهمتها مراقبة السواحل اللبنانية، وكان ميلاد ورفيقه ينالان أجرة مقدارها ليرة ذهب بالشهر، مقابل عملهما على متن البارجة الفرنسية، فيما كانا يأكلان من الفضلات التي يتركها لهما الجنود الفرنسيون، وذلك بغية توفير أجرتهما وإرسالها إلى أهلهما في الصفرا وكان ميلاد سباحًا بارعًا ذلك أنه عمل صيادًا قبل الحرب، فكان يستغل فرصة مرور البارجة الفرنسية قبالة ساحل العقيبة ليقفز منها هو ورفيقه ويسبحا إلى الشاطئ، حيث كانا يلتقيان سرًا خوري الضيعة الذي كان يأخذ منهما أجرتهما لإعطائها لأهله. وقد دأب ميلاد ورفيقه على القيام بذلك طوال السنوات الأربع للحرب، وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى بهزيمة الدولة العثمانية وانسحاب قواتها من سوريا ولبنان، عاد ميلاد ورفيقه إلى الضيعة ليكتشفا أن أهلهما جميعًا كانوا قد ماتوا من المجاعة في الأيام الأولى للحرب، وأن خوري الضيعة كان يكذب عليهما، وأنه كان يأخذ أجرتهما لنفسه، وأنه لم يكن يعطي المال لعائلتي ميلاد ورفيقه. واكيم، جمال، جريمة ولا عقاب، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٨، ص١٦١ – ١٦٢.

(١٠٣) انظر: حبلص، ص٢١٦.

(١٠٤) عبد المسيح، سيمون، «المجاعة الكبرى والاقتصاد الطرفي من دراسات الحالة إلى بناء المفهوم، مئة عام على الحرب العالمية الأولى مقاربة عربية، مجلد ٢، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط١، ٢٠١٦، ص٩٢.

يعتنون به وتوفيت أمه إثر الولادة وبعد زمن وجد طريقه إلى التلال وراح يقتات الأعشاب وبعد سنوات عرف أنه يستطيع الحصول على الجنسية الأميركية فسافر إلى USA وكتب قصته [١٠٥]. وهنا يطرح السؤال ما علاقة ذلك بالمجاعة، إذا كان لا أهل له، وكيف تربى حتى أصبح راشدًا ليسافر؟ أسئلة كثيرة دون أجوبة؟

٩ – التعجب من الاعتماد على الذاكرة الشعبية والمذكرات:

إذا قارنا صورة «المجاعة» وحجمها ووقعها على السكان وفقًا للمعطيات الوثائقية بتلك التي ترسمها الذاكرة الشعبية وأصحاب المذكرات، يتبين لنا مقدار المبالغات التي أوردها هؤلاء، فالمجاعة كما جاءت في الوثائق، لم تكن أكثر من نقص شديد في التغذية، أصاب كل الناس لفترة سنتين أو ثلاث، وهي لم تصل إطلاقًا إلى حد لم يعد بوسع الناس إيجاد ما يسدون به رمقهم، لذلك من المستغرب الحديث عن مئات آلاف القتلى من الجوع[١٠٦] ، حتى أنه نسجت قصص وحكايات غدت فلكلورًا، وهي غير موثوقة ولا دليل عليها[١٠٧].

١٠ – التحويلات المالية المستمرة:

كان لانقطاع التحويلات المالية الأثر السلبي الكبير على فئات مختلفة، خاصة المناطق التي تعتمد على الاغتراب، فقد كان المنتشرون في أميركا الشمالية والجنوبية وأستراليا وأفريقيا المصدر الوحيد للدخل بالنسبة للعديد من سكان الجبل وشكل توقفها من العوامل الرئيسية التي أدت إلى المحنة زمن الحرب [١٠٨].

وإذا كانت الحرب قد أعاقت وصول المساعدات المالية، إلا أن التحويلات استمرت ولم يتوقف البريد الدولي بشكل كلي، كما استعيض عنه أساسًا بوسائل وطرق بديلة وبمساعدة الأميركيين والفرنسيين، وكان لاستمرار تدفق المساعدات المالية أثر إيجابي هام في تخفيف حدة الأزمة الاقتصادية والتموينية التي عانت منها المناطق اللبنانية، وكانت التحويلات

(١٠٥) انظر: حتي، فيليب، تاريخ لبنان، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٧٨، ترجمة أنيس فريحة، مراجعة نقولا زيادة، تنقيح جبرائيل جبور، ص٥٠١.

(١٠٦) حبلص، ج٢٠، ص٢٠٩.

(١٠٧) لعل أغنية «عالروزانا» هي الأغنية الأشهر في بلاد الشام، تختلف الروايات حولها لكن أغلبها تدور حول قصة سفينة تدعى «روزانا»... وهنا روايتان: الأولى: أنها كانت سفينة عثمانية محملة عنبًا وتفاحًا، وجيء بها إلى بيروت لتبيع كل إنتاجها بدل إنتاج المزارعين اللبنانيين... وهو ما حصل، فكسد الإنتاج اللبناني، ليأتي تجار حلب ويتضامنوا مع اللبنانيين ويشتروا كل محصولهم وينقذوهم من الفقر والعوز. أما الرواية الثانية فتقول: إن السفينة التي تدعى «روزانا» هي سفينة إيطالية وأرسلتها إيطاليا إلى لبنان وسوريا وقت المجاعة الكبرى عام ١٩١٤ محملة بالقمح، لكن عندما وصلت تبين أنها محملة عنبًا وتفاحًا ما أصاب اللبنانيين والسوريين بالخيبة. رغم ذلك قام أهالي حلب بتأمين القمح اللازم للبنانيين لإنقاذهم من المجاعة، ومع الوقت تحولت الأغنية إلى فولكلور غناها قسم كبير من الفنانين في بلاد الشام، [العربي الجديد، هذه هي قصة أغنية «الروزانا» وفاء أهالي حلب، بيروت، ٣٠ أبريل ٢٠١٦].

(١٠٨) انظر: الحارس، الأوضاع الاقتصادية والمالية في الدولة العثمانية والمقاطعات اللبنانية (١٩١٤ – ١٩١٨)، مرجع سابق، ص١٤٤.

تصل إلى اللبنانيين من ذويهم في الخارج عن طريقين: جزيرة أرواد للمساعدات المالية المرسلة عن طريق الفرنسيين، واللجنة الأميركية للتحويلات المالية القادمة من الولايات المتحدة الأميركية [١٠٩].

فقد كانت أرواد على اتصال مباشر مع المراكز الفرنسية الرئيسية في القاهرة، والتي كانت بدورها على علاقة جيدة بالمطران الماروني دريان في مصر، الذي كان الشخصية الرئيسية لجمع المساعدات المالية، كانت الأموال تصل إلى مصر ثم تنتقل من هناك إلى أرواد، حيث كان الأب بولس عقل يبحر ليلاً لاستلامها ونقلها إلى لبنان. أو كانت السفن التجارية تنقلها أحيانًا إلى الشواطئ اللبنانية، ومن هناك كان يتلقاها مساعدو الأب بولس عقل ويسلمونها له ليقوم بتوزيعها إلى مستحقيها[١١٠].

ولا شك أن الخسارة في الأرواح كانت أكبر لولا المال الذي كان يرد للناس من أهلهم وذويهم في المهجر وتقدر المبالغ المالية التي بعث بها المهاجرون إلى ذويهم في لبنان في السنة الأولى من سني الحرب بمئتين وتسعة وخمسين مليون من الدولارات [١١١].

الاستفادة من نتائج المجاعة:

كانت هذه المجاعة أحد الأسباب غير المباشرة لضم مناطق زراعية إليه، لتأمين استمرارية جمهورية لبنان الناشئة [١١٢].

كان دور الكنيسة المارونية بارزًا لجهة المطالبة بأن يكون هناك كيان سياسي اسمه لبنان، على أن يتكون من متصرفية جبل لبنان، مضاف إليه مناطق زراعية في سهل عكار شمالاً والبقاع شرقًا وجبل عامل جنوبًا ومدن الساحل أي طرابلس وبيروت وصيدا غربًا وقد كان الارتباط العضوي بين منتجات جبل لبنان ومرفأ بيروت، المصدر لهذه المنتجات أحد هذه العوامل، فيما شكل الخوف من تكرار المجاعة التي وقعت في الحرب العالمية الأولى الدافع للمطالبة بضم عكار والبقاع والجنوب بغية تأمين أراضٍ زراعية يمكن أن تطعم أهل الجبل [١١٣].

---

(١٠٩) فعلى سبيل المثال كان خمس سكان عكار في الديار الأميركية ويقال إن نصف المسيحيين في هذا القضاء كان يعيش بما يصل إليه من النقود الأميركية، لذلك سقط ذوو هذه الطبقة إلى الحضيض والذل والفاقة منذ إشهار الحرب ولا سيما منذ انقطاع التواصل بين الدولة وحكومة أميركا. انظر: التميمي، رفيق ومحمد بهجت، ولاية بيروت، مجلد ٢، دار لحد خاطر، جديدة المتن، ١٣٣٥، ص٢٤٩. وقد لعبت دار الطباعة والنشر الأميركية (American printing press) دور الوسيط في تحويل الأموال من أميركا، كانت الأموال توضع في حساب الدار في نيويورك، ولأن مكتبها في بيروت يدفع قيمًا موازية للأشخاص المحددين. انظر: الحارس، عبداللطيف، الأوضاع الاقتصادية والمالية في الدولة العثمانية والمقاطعات اللبنانية ١٩١٢ - ١٩١٨، ج١، مؤتمر لبنان في الحرب العالمية الأولى، منشورات الجامعة اللبنانية، ٢٠١١، ص١٤٦.

(١١٠) ففي زحلة مثلاً، قام المطران كيرللس مغبغب بتأليف لجنة، جمعت له قوائم بأسماء المحتاجين، وزعت عليهم إعانات مالية من البرازيل. انظر: سعادة، تاريخ مدينة زحلة بين الحربين العالميتين ١٩١٤ - ١٩٤٣، مرجع سابق، ص٥٠.

(١١١) انظر: حتي، فيليب، تاريخ لبنان، مرجع سابق، ص٥٩١.

(١١٢) انظر: قرن على مجاعة أودت بثلث سكان لبنان من خلال العهد العثماني، النهار ٥ - ٥ - ٢٠١٥.

(١١٣) انظر: واكيم، جريمة ولا عقاب، مرجع سابق، ص٥٩.

فالبطريرك الماروني إلياس الحويك، لجأ بشكل كبير في المذكرة التي رفعها إلى مؤتمر السلام في ت١ ١٩١٩ إلى حجة المجاعة المدمرة في دفاعه عن جبل لبنان موسع، إذ إن ضم أراضي البقاع الخصبة من شأنه تأمين الحاجات الغذائية للبلاد وحمايتها من البؤس [١١٤].

فقد حمل الجوع والحرب العالمية الأولى نتائج سياسية وديمغرافية جغرافية، فبقصد تأمين الاكتفاء الغذائي الذاتي، والتقسيم الطائفي لتركة السلطنة العثمانية تأسس لبنان الكبير كنتيجة لمؤتمر السلام وتقسيم النفوذ ما بين فرنسا وبريطانيا فضمت الأقضية الجديدة [١١٥].

وتجد البعض يورد الأمور بشكل متناقض، فمن جهة يتهم العثمانيين تعمدهم «إماتة لبنان بالمجاعة»، ثم يعود ليمتدح العثمانيين ويصفهم بالوفاء وحفظ الذكريات الطيبة [١١٦].

الخسائر:

تتعدد أرقام الخسائر، وذلك دلالة على عدم الوضوح والاتفاق على كيفية الإحصاء ومدى شموليتها ودقتها.

ويمكن إبراز ذلك في المراجع التالية:

- إن أيًا من الدول التي شاركت بالحرب أو تضررت منها مباشرة، لم يفقد خمس سكانه سوى بلد واحد فقط، هو لبنان.

وإن ضحاياه كانوا ٢٠٠ ألف من سكانه البالغون مليون تقريبًا، ذلك الوقت معظمهم من منطقة في شماله كان اسمها «متصرفية جبل لبنان» وتتمتع بالحماية الفرنسية[١١٧].

- ومصدر آخر يقول: هلك ثلث سكان لبنان فالحرب أدت إلى وفاة ما بين ١٥٠ ومئتي ألف شخص من نساء رجال وأطفال ماتوا جوعًا [١١٨].

- وفي النهاية انخفض عدد سكان بيروت من حوالي ١٥٠ ألف نسمة ما قبل الحرب إلى النصف تقريبًا [١١٩].

- فقد قضى الجوع والمرض في تلك الفترة على حوالي ١٥٠ ألف إلى ٣٠٠ ألف من مجموع

(١١٤) مجلة بدايات، ذاكرة الحرب العظمى المجاعة أم حبل المشنقة، عدد ١٢ـ (٢٠١٥)

(١١٥) نصر، أمين، مجاعة جبل لبنان ١٩١٥، العربي الجديد، ٦ - ١٢ - ٢٠١٨.

(١١٦) فقد ذكر محمد جميل بيهم: أن الموظفين العثمانيين سهلوا له الترخيص بنقل الأغنام مع الترحيب به. انظر: بيهم، محمد جميل، العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، دن، دط، ١٩٥٧، ص١٦٨ - ٢٢١.

(١١٧) انظر: https://ara.tv/cycbb تاريخ الاطلاع ١٠ - ٦ - ٢٠٢١.

(١١٨) قرن على مجاعة أودت بثلث سكان لبنان خلال العهد العثماني، النهار ٥ - ٥ - ٢٠١٥.

(١١٩) https://newlinesmay.com/reportage/lebanons.famines.old.and.ne/

سـكان لبنـان الذيـن كان يـتراوح عددهـم حينهـا بـين ٤١٥ و٦٠٠ ألف نسـمة[١٢٠].

ـ ذكـرت بعـض المصـادر وقـوع نحـو ١٨٠ ألـف ضحيـة بينهـا يقـدر إحصـاء الصليـب الأحمـر الأمـيركي عـدد ضحايـا الجـوع في جبـل لبنـان عـام ١٩١٧ بـ ٢٥٠ ألـف نسـمة مـن أصـل ٤٠٠ ألـف [١٢١].

ـ مات نحو ثلث اللبنانيين جوعًا [١٢٢].

ـ تـتراوح التقديـرات بـين ٨٠ ألفًـا و٢٠٠ ألـف إضافـة إلى «ثلـث السـكان» وهـي النسـبة التـي تقـدم بهـا البطريـرك المـاروني إليـاس الحويـك إلى مؤتمـر السـلام واسـتبعدت مـن بعـده [١٢٣].

ويظهـر مـن الأرقـام السـابقة عـدم تحديـد حجـم الخسـائر وسـبب الوفاة.وهنـا تطـرح مجموعـة من الأسـئلة نفسَـها:

- هل الجوع هو السبب الوحيد لأرقام الوفيات؟
- ما هي أعداد الوفيات بالأمراض والأوبئة؟
- ما هي عدد الوفيات بسبب الحرب (القتل)؟
- هل أخذت أرقام ونسب الوفيات في السنوات العادية، بعين الاعتبار؟
- متـى انتهـى العـد؟ فهنـاك إحصـاءات تذكـر أرقـام حتـى بعـد رحيـل السـلطنة العثمانيـة وتنسـبه إلى السـلطنة.

الخاتمة (الاستنتاجات)

اتضـح مـن خـلال الدراسـة عـدم التسـليم والرضـوخ لـلآراء الجاهـزة والاتهامـات المعلبـة والمسـبقة، وبـرز دور المناقشـة في معالجـة المغالطـات التاريخيـة التـي تشـوه المسـارات وتنحـرف في الأفـكار وتسـوغ الأباطيـل.
إن سـبر التاريـخ بموضوعيـة وعـدم التحيـز للعصبيـات أو الطوائـف أو المناطـق ينتـج خلاصـات مختلفـة ويـؤدي دورًا تنتفـع بـه العلـوم الأخـرى، فضـلاً عـن تصويبـه للتاريـخ والسياسـة.

إن مـا أبـرزه هـذا البحـث هـو أهميـة دراسـة الأوضـاع الاقتصاديـة قبـل الحـرب حيـث كانـت البـلاد تعتمـد عـلى محصـول واحـد (الزراعـة النقديـة) وهـو الحريـر، مـما جعـل جبـل لبنـان

(١٢٠) https://newlinesmay.com.

(١٢١) انظر: نصر، أمين، مجاعة جبل لبنان، العربي الجديد، ٦ ديسمبر ٢٠١٨.

(١٢٢) الأسود، تنوير الأذهان في تاريخ لبنان، مرجع سابق، ص٦٩.

(١٢٣) مجاعة اللبنانيين في الحرب العالمية الأولى، مجلة بدايات، عدد ١٢ (خريف ٢٠١٥).

أسـيرًا لزراعـة التـوت، ومتجاهـلاً ومهمـلاً للزراعـات الأخـرى مـما أوقعـه في ضيـق شـديد خـلال الحـرب عندمـا أضيفـت إلى ذلـك، توقـف الاصطيـاف والسـياحة، والحصـار البحـري، وإصـدار العملـة الورقيـة.

إن مـا حصـل في المقاطعـات اللبنانيـة لم تكـن مجاعـة كـما يروجـه بعـض المؤرخـين أو الكتـاب أو الساسـة، إنمـا كان هنـاك ضيـق وعـوز اختلفـت نسـبته مـن منطقـة إلى أخـرى.

إن الحـروب غالبًـا مـا تسـبب في تدابـير اسـتثنائية تـؤدي إلى صعوبـة في الحصـول عـلى بعـض المـوارد الغذائيـة، وهـو مـا حصـل في زمـن السـلطنة العثمانيـة، ولكـن في المقابـل اسـتمر فيهـا إقامـة الولائـم والحفـلات وتـداول السـلع ولكـن بأسـعار مرتفعـة، وباحتـكار مـن قبـل التجـار وأغنيـاء الحـروب.

إن مـا قدمتـه السـلطنة العثمانيـة مـن تسـهيلات وعطـاءات تخفيهـا بعـض المراجـع لإظهـار عنـف السـلطنة وظلمهـا، وهـو ظلـم حاولنـا أن نظهـر حقيقتـه وأن نجـلي صورتـه.

التوصيات

اتضـح مـن خـلال البحـث أهميـة مراجعـة الاحـكام والنتائـج المسـبقة وعـدم الاعتـماد عـلى الاهـواء والعاطفـة والكيـد في دراسـة النـوازل او الاحـداث التاريخيـة الكـبرى لذلـك نـوصي:

- دعوة الطلاب والباحثين الى دراسة احداث العهد العثماني بانصاف وحيادية.

- الدعـوة لاقامـة مؤتمـرات ونـدوات عـن المسـالب التـي تتهـم فيهـا السـلطنة العثمانيـة لماقشـتها و تحليلها .

- إن الكثـير مـن الكتابـات عـن التاريـخ العثـماني كتـب بعـين واحـدة ويحتـاج الى مراجعـة وتدقيـق.

- الدعـوة الى الاسـتعانة بالارشـيف العثـماني لكتابـة تاريـخ بـلاد الشـام (منهـا لبنـان) حتـى تسـتند الاراء والنتائـج الى وثائـق وحجـج واحصـاءات وارقـام.

- أن لا تبقـى نتائـج هـذه الابحـاث اسـيرة المكتبـات والمخـازن ، بـل ان تعـدل وتغـير وفقـا لنتائجهـا مـا كتـب في مقـررات التاريـخ المـدرسي والجامعـي.

***

المصادر والمراجع

١- أبـو حاكمـة، أحمـد، تاريـخ الكويـت الحديـث (١٧٥٠ - ١٩٦٥)، دار ذات السلاسـل، الكويـت، ط١، ١٩٨٤.

٢- أبـو شـقرا، نائـل، الغـلاء وأثـره في محنـة الحـرب العالميـة الأولى، مؤتمـر لبنـان في الحـرب العالميـة الأولى، ١٩١٤ - ١٩١٨، منشـورات الجامعـة اللبنانيـة، بـيروت، د.ط، ٢٠١١.

٣- أرسلان، شكيب، تاريخ الدولة العثمانية، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ٢٠١١.

٤- الأسـود، إبراهيـم بـك، تنويـر الأذهـان في تاريـخ لبنـان، مجلـد ٣، المطبعـة العلميـة، بـيروت، ١٩٢٠

٥- البعيني، نجيب، ذكريات الأمير شكيب أرسلان، دار نوفل، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٦- بكراوي، محمد، مشكلة المغرب في الحرب العالمية الأولى وأثرها في المجتمع المغربي.

٧- بيهم، محمد جميل، العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، د.ن، د.ط، ١٩٥٧.

٨- تمـاري، سـليم، عـام الجـراد والحـرب العظمـى ومحـو المـاضي العثـماني مـن فلسـطين، مؤسسـة الدراسـات الفلسـطينية، د.ط، ٢٠٠٨م.

٩- جـرداق، الأب مـتري، الأوضـاع الاقتصاديـة والاجتماعيـة والسياسـية للـروم الأرثوذكـس في بـيروت ومتصرفيـة جبـل لبنـان (١٨٦٠ - ١٩٢٠)، أطروحـة دكتـوراه، إشراف مسـعود ضاهـر، غـير منشـورة، الجامعـة اللبنانيـة، ٢٠٠٦.

١٠- الحـارس، عبداللطيـف، الأوضـاع الاقتصاديـة والماليـة في الدولـة العثمانيـة والمقاطعـات اللبنانيـة ١٩١٤ - ١٩١٨، مؤتمـر لبنـان في الحـرب العالميـة الاولى، الجـزء الأول، منشـورات الجامعة اللبنانيـة، بـيروت ٢٠١١.

١١- حتـي، فيليـب تاريـخ لبنـان، دار الثقافـة، بـيروت، ط٣، ١٩٧٨، ترجمـة أنيـس فريحـة، مراجعـة نقـولا زيـادة، تنقيـح جبرائيـل جبـور.

١٢- حقـي إسـماعيل، مباحـث علميـة واجتماعيـة، ج٢، منشـورات الجامعـة اللبنانيـة، بـيروت، ١٩٧٠. الحكيـم، يوسـف، بـيروت ولبنـان في عهـد آل عثـمان، دار النهـار، بـيروت، ط٢، ١٩٩١.

١٣- الحكيم، يوسف، لبنان في عهد آل عثمان، دار النهار للنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩١.

١٤- حمدان، كمال، الأزمة اللبنانية، دار الفرابي، بيروت،ط١، ١٩٩٨.

١٥- حمـــودة، ســـميح، رام اللـــه العثمانيـــة دراســـة في تاريخهـــا الاجتماعـــي، ١٥١٧ - ١٩١٨، مؤسســـة الدراســـات الفلســـطينية، بـــيروت، ط١، ٢٠١٧.

١٦- خاطـــر، لحـــد، عهـــد المتصرفـــين في لبنـــان، ١٨٦١ - ١٩١٨، منشـــورات الجامعـــة اللبنانيـــة، بـــيروت، ١٩٦٧.

١٧- الخالـــدي، عنـــبرة ســـلام، جولـــة في الذكريـــات بـــين لبنـــان وفلســـطين، دار النهـــار، للنـــشر، بـــيروت، ١٩٧٨.

١٨- الخوري، فواز، جديدة مرجعيون في الذاكرة، د.ن، د.ط، د.ت.

١٩- ســـلطان، تاريـــخ ســـوريا، ١٩٠٨ - ١٩١٨، دار طـــلاس للدراســـات والترجمـــة والنـــشر، دمشـــق، ط١، ١٩٨٧.

٢٠- ســـعادة، ســـلوى جرجـــس، تاريـــخ مدينـــة زحلـــة بـــين الحربـــين العالميتـــين، ١٩١٤ - ١٩٤٣، كليـــة الآداب والعلـــوم الإنســـانية، رســـالة ماجســـتير في التاريـــخ غـــير منشـــورة، الجامعـــة اللبنانيـــة، ١٩٨٥.

٢١- سنو، عبدالرؤوف، ألمانيا والإسلام، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

٢٢- شـــبارو، عصـــام محمـــد، تاريـــخ بـــيروت منـــذ أقـــدم العصـــور حتـــى القـــرن العشريـــن، دار مصبـــاح الفكـــر، بـــيروت، دط، ١٩٨٧م.

٢٣- ضاهـــر، مســـعود، تبـــدلات اجتماعيـــة في جبـــل لبنـــان وآفاقهـــا بعـــد الحـــرب العالميـــة الأولى، ج٢، مؤتمـــر لبنـــان في الحـــرب العالميـــة الأولى.

٢٤- طرابلـــسي، فـــواز، تاريـــخ لبنـــان الحديـــث مـــن الإمـــارة إلى اتفـــاق الطائف،ريـــاض الريـــس للكتـــب والنشربـــيروت، ط١، ٢٠٠٨.

٢٥- طنطاوي، علي، دمشق، دار المنارة، جدة، ط٢، ١٩٩٧.

٢٦- عبـــد المســـيح، ســـيمون، المجاعـــة الكـــبرى والاقتصـــاد الطـــرفي، مـــن دراســـات الحالـــة إلى بنـــاء المفهـــوم، مئـــة عـــام عـــلى الحـــرب العالميـــة الأولى مقاربـــة عربيـــة، مجلـــد ٢، المركـــز العـــربي للأبحـــاث ودراســـة السياســـات، بيروت، ٢٠١٦م.

٢٧- عزيـــز بـــك، الاســـتخبارات والجاسوســـية في الدولـــة العثمانيـــة، تعريـــب فـــؤاد الميـــداني، بـــيروت.

٢٨- العلـــم، ريغـــان، مصـــادر لبنانيـــة مـــن الحـــرب الكـــبرى، دراســـة وتقويـــم: مؤتمـــر لبنـــان في الحـــرب العالميـــة الأولى، ١٩١٤ - ١٩١٨، منشـــورات الجامعـــة اللبنانيـــة، بـــيروت، ج٢.

٢٩- مـــراد، انطـــوان، لبنـــان تاريـــخ سياســـة وحضـــارة بـــين الأمـــس واليـــوم، ج١، الحركة الســـكانية

والسياحية، Edito creps ١٩٩٨

٣٠- المغربي، محمد الأطرش، طريق الكفاح في فلسطين والمشرق العربي، مذكرات القائد الشيوعي محمد الأطرش المغربي، ١٩٠٣ - ١٩٣٩، إعداد وتحرير: ماهر الشريف، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١، ٢٠١٥.

٣١- الملا، عدنان، الأوبئة والأمراض في بلاد الشام، رسالة ماستر في التاريخ، الجامعة اللبنانية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٢٢.

٣٢- المولى، سعود، «الأمير شكيب أرسلان، العثمانية والعروبة والحرب الكونية الأولى (١٨٨٠ - ١٩١٦) مئة عام على الحرب العالمية الأولى مقاربات عربية، مجلد ١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط١، ٢٠١٦.

٣٣- واكيم، جمال، جريمة ولا عقاب، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٨.

٣٤- يمين، انطوان، لبنان في الحرب ١٩١٤ - ١٩١٩، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩١٩.

مجلات وصحف

٣٥- مجلة بدايات، مجاعة اللبنانيين في الحرب العالمية الأولى، عدد ١٢ (خريف ٢٠١٥).

٣٦- مجلة جامعة تكريت، العبيدي، عطية ماهر حمد، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في ظل التواجد العسكري للألمان في لبنان، عدد ٨، ٢٠٢٠.

٣٧- مجلة الدرعية، الطريفي، طلال خالد، الأوضاع الاقتصادية في حائل خلال الحرب العالمية الأولى، عدد ٥٩ و٦٠ (٢٠١٤).

٣٨- العربي الجديد، نصر، أمين، مجاعة جبل لبنان، ٦ ديسمبر ٢٠١٨.

٣٩- العربي الجديد، هذه هي قصة أغنية «الروزانا» وفاء أهالي حلب، بيروت، ٣٠ أبريل ٢٠١٦.

٤٠- النهار، قرن على مجاعة أودت بثلث سكان لبنان خلال العهد العثماني، ٢٠١٥/٥/٥.

٤١- النهار، فاضل، روزيت، مجاعة ١٩١٥... الفساد الإداري والبطون الفارغة، ٢٠٢٠/٥/٣١.

تعليم القيم والهوية الثقافية من خلال السرد الأدبي: دراسة تطبيقية على مقرَّر (قراءات في الأدب الكويتي المعاصر) بجامعة الخليج للعلوم والتكنولوجي (الكويت)

Integrating Values and Cultural Identity Through Literary Narratives: An Applied Study of the "Readings in Contemporary Kuwaiti Literature" Course at Gulf University for Science and Technology (Kuwait)

أ.د. صلاح الدين سليم أرقه دان

Salah Eddine Salim Arkadan (Professor)

ملخص البحث

تواجه المجتمعات المعاصرة تحديات متعددة تستدعي إيجاد حلول تتماشى مع التطورات العلمية والتقنية المتسارعة، مع مراعاة متطلبات الاستدامة للأجيال القادمة. وقد أدت العولمة ووسائل الإعلام الحديثة إلى إزالة الحواجز بين الثقافات، مما انعكس على مختلف جوانب الحياة اليومية، وفرض على المجتمعات ضرورة تبني استراتيجيات تضمن التكيف مع هذه التغيرات دون المساس بهويتها الثقافية وقيمها المميزة.

وفي هذا السياق، أصبح التعليم محورًا أساسيًا في إعداد الأجيال القادمة وفق رؤية مستقبلية واضحة. غير أن الأساليب التقليدية في التربية والتعليم لم تعد كافية لاستقطاب اهتمام الطلاب، لا سيما في مجالات القيم والدراسات الإنسانية، مما يستدعي تطوير أساليب تعليمية مبتكرة تجمع بين الإقناع والجاذبية. وقد دفع ذلك العديد من الدول، خاصة في المشرق العربي، إلى تبني مناهج تعليمية مستمدة من النظم الغربية، مثل المناهج الأمريكية، بديلاً عن المناهج الوطنية التقليدية.

ومن بين الأساليب الحديثة التي أثبتت فعاليتها، يبرز التعليم القائم على السرد القصصي والرواية والمسرح، حيث لا يقتصر تأثيره على تحسين المهارات اللغوية وزيادة التفاعل داخل الصفوف الدراسية، بل يمتد إلى تحقيق أهداف أعمق، مثل تنمية روح المبادرة، وتعزيز العمل الجماعي، وتحفيز التفكير النقدي. كما يوفر هذا النهج وسيلة فعالة لغرس القيم الأخلاقية والمجتمعية بطريقة غير مباشرة، بعيدًا عن التلقين المباشر الذي تتسم به بعض المناهج التقليدية، بما في ذلك مقررات التربية الوطنية في بعض الدول العربية.

وعليه، تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة تحليلية لدور السرد الأدبي في بناء الهوية الوطنية وترسيخها لدى الأجيال الناشئة، وذلك من خلال تحليل منهجية تدريس مادة

(قـــراءات في الأدب الكويتـــي المعـــاصر) بجامعـــة الخليـــج للعلـــوم والتكنولوجيـــا في الكويـــت، باســـتخدام أســـاليب المقارنـــة والتحليـــل والاســـتنتاج.

وتأمـــل الدراســـة في أن تســـهم، إلى جانـــب الدراســـات المشـــابهة، في تقديـــم مقترحـــات عمليـــة تدعـــم تطويـــر العمليـــة التعليميـــة، بمـــا يحقـــق التـــوازن بـــين الانفتـــاح عـــلى العـــالم والحفـــاظ عـــلى الهويـــة الوطنية.

الكلمات المفتاحية:
الثقافة، القيم، الهوية، التربية، التعليم، الأدب، السرد الأدبي.

Abstract

Modern societies face numerous challenges and crises that demand solutions aligned with rapid scientific and technological advancements while simultaneously addressing the needs of future generations. The proliferation of digital communication, satellite media, and globalization has significantly diminished cultural barriers, influencing various aspects of daily life.

In this context, societies striving for sustainability and progress must formulate effective strategies to navigate these challenges by drawing on the experiences of developed nations while safeguarding their unique cultural identity and values. Achieving this objective necessitates the preparation of future generations through a well-structured, forward-looking educational framework, with education serving as its foundational pillar at all levels.

Traditional pedagogical approaches are increasingly insufficient in engaging students, particularly in disciplines related to values and the humanities. These fields require innovative teaching strategies that integrate persuasion with engagement. This necessity explains why many countries, particularly in the Arab East, have adopted Western educational models, such as the American system, as alternatives to traditional national curricula.

In this regard, narrative-based education—incorporating storytelling, literature, and theater—emerges as a compelling pedagogical approach. Its impact extends beyond enhancing language proficiency and classroom engagement to achieving broader educational objectives, such as fostering initiative, promoting teamwork, refining pronunciation skills, and cultivating critical thinking. Furthermore, this method

facilitates the implicit integration of ethical and societal values, in contrast to the explicit instructional approach that characterizes many traditional curricula, including national education textbooks in certain Arab countries.

Accordingly, this study provides an analytical examination of the role of literary narratives in shaping and reinforcing national identity among younger generations. Specifically, it investigates the pedagogical approach of the course Readings in Contemporary Kuwaiti Literature at the Gulf University for Science and Technology in Kuwait, employing comparative analysis, evaluation, and inference.

By offering practical recommendations that balance openness to global influences with the preservation of national identity, this study aspires to contribute to ongoing discussions on educational reform.

Keywords

Culture, Values, Identity, Teaching, Education, Literature, Narratives.

***

أهمية البحث والحاجة إليه:

١. دراسة أثر الكتاب والأدباء في نفوس الدارسين.

٢. إبراز أثر الدراسات الأدبية النقدية على تعليم القيم.

٣. إبراز نتائج تجربة تعليم مادة (قراءات في الأدب الكويتي المعاصر) بجامعة الخليج للعلوم والتكنولوجيا في تعليم الثقافة والقيم الوطنية.

٤. تلبية دعوات البحث عن التجارب المتطورة والبديلة في التربية والتعليم.

هدف البحث:

تحقيق قفزة رائدة في التربية والتعليم بما يحقق المعادلة الأصعب، الانفتاح على العالم مع الحفاظ على الهوية الوطنية.

حدود البحث:

١. الحد الزماني: تمتد الحقبة الزمنية للبحث من عام ٢٠٠٧ إلى ٢٠٢٣م

٢. الحد المكاني: الشرق العربي.

٣. الحد الموضوعي: تعليم القيم والهوية الثقافية عن طريق دراسة السرد الأدبي (القصة، الرواية، المسرح).

إشكاليات البحث:

١. الخلط بين الأدب والثقافة والقيم.

٢. التعميم في العلاقة بين الأدب والقيم.

٣. التركيز على القيم التقليدية بشكل أحادي.

٤. تقديم المثاليات دون التأكيد على تناقضات المجتمع.

٥. الاختزال في فهم النص الأدبي.

منهجية البحث:

١. تحديد المفاهيم والمصطلحات.

٢. دراسة المبنى والمعنى.

٣. التحليل والتفكيك.

٣. استقراء النص على قاعدة إيجاءات اللغة.

***

مدخل

تتم التربية والتعليم بعدد من الأساليب والوسائل والفنون التي تطورت خلال التأريخ البشري(١)، وبلغت أوجها في القرن العشرين(٢)، وهي تتدرج ابتداء من النصيحة المباشرة، مرورا بالتعليم بالقدوة، وبالجرعات الإعلامية، ومؤخراً وليس أخيراً بتنمية الذكاءات المتعددة (Multiple Intelligences)(٣).

وبطبيعة الحال، تختلف الأساليب والأنماط باختلاف البيئات، بل والأفراد عند مراعاة الفروقات الفردية، ويتحكم أهداف السلطة بسياسات التعليم، فالتربية والتعليم أخطر، في نظر السلطة من أن تكون متحررة من قبضتهم ومراقبتهم، لأنها لا تُعنى بتعليم القراءة والكتابة فقط، بل تتحكم بمستقبل ومصير الدولة والأمة، فالناشئة هم المستقبل بذاته.

(١) عماد الزغلول، نظريات التعلم، عمان، دار الشروق، ط١، الإصدار الثاني، ٢٠١٠م، ص٢٩.

(٢) أنور محمد الشرقاوي، التعلم والشخصية، الكويت، مجلة عالم الفكر، المجلد ١٣، ١٩٨٢م، ص٢٢.

(٣) بلورها هوارد جاردنر (Howard Gardner) في كتابه (أطر العقل)
.Frames of Mind: The Theory of Multiple Intelligences. NY. Basic Books. 1983, 2004, 2011

ومـا زال الجـدل قائمـاً بـين التربويـين حـول أنجـع الأسـاليب في التنشـئة وغـرس القيـم التـي تحفـظ الهويـة الثقافيـة والقوميـة، أيهـا أفضـل، المبـاشرة أم غـير المبـاشرة؟ ذلـك أن غـرس القيـم بالـذات يحتـاج إلى عنايـة تراعـي الطبيعـة البشريـة في التلقـي والقبـول والتطبيـق.

والهـدف مـن هـذه الورقـة أن تسـاهم؛ إلى جانـب الدراسـات الشـبيهة؛ في بلـورة فكـرة تعليـم القيـم عـن طريـق الـسرد، لعلهـا تحقـق خطـوة رائـدة في التربيـة والتعليـم بمـا يحقـق المعادلـة الأصعـب، وهـي مواكبـة العـصر بالانفتـاح عـلى العـالم مـع الحفـاظ عـلى الهويـة الثقافيـة والوطنيـة. وتبـدأ دراسـتنا هـذه بالتعريفـات.

التعريفات

(**القيـم**) مـن المصطلحـات المسـتحدثة باسـتخداماتها الحاليـة(٤)، ويفصّـل الجابـري مـا بـين (Morale) باعتبارهـا سـلوكاً فرديـاً، و(Ethic) باعتبارهـا قيـم اجتماعيـة، ويعيـد الأولى إلى أصلهـا اليونـاني والأخـرى إلى أصلهـا اللاتينـي(٥)، وبالتـالي هـما دخيلتـان عـلى مصطلحـات العربيـة المعـاصرة.

وبالعـودة إلى قواميـس العربيـة، نجـد (القيَـم) لغـةً هـي جمـعٌ (قيمـة)، وهـي الـشيء ذو المقدار، أو الثمـن(٦)، وتُعـرف اصطلاحـاً بأنهـا مجموعـة الصفـات الأخلاقيـة، التـي يتميّـز فيهـا البـشر، وتقـوم الحيـاة الاجتماعيـة عليهـا، ويتـمّ التعبـير عنهـا باسـتخدام الأقـوال والأفعـال. وتُعـرّف أيضـاً بأنّهـا مجموعـة مـن الأخـلاق الفاضلـة التـي اعتمـدت عـلى التربيـة في توجيـه السـلوك البـشري للقيـام بـكل عمـل، أو قـول يـدلّ عـلى الخـير(٧).

والقيـم الاجتماعيّـة معايـيرٌ وأسـسٌ متعـارفٌ عليهـا ضمـن مجتمـع مـا، في تعامـل أفـراده فيـما بينهـم بالمعـروف، وتجنـب مـا هـو منكـر(٨). والقيـم مـن الصفـات الإنسـانية التـي اكتسـبت صفـة ثقافيـة خاصـة بالمجتمـع الـذي يتبناهـا، بسـبب محافظـة النـاس عـلى تطبيقهـا، ويتخذهـا أصحابهـا معيـاراً للحكـم عـلى سـلوكياتهم وعـلى سـلوكيات غيرهـم(٩).

(٤) ناصر الدين الأسد، نظرات في لغة المصطلح وفي مضمونه، من أعمال ندوة (أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع المعاصر)، الدورة الربيعية لسنة ٢٠٠١م، الرباط، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة (الدورات)، مطبعة المعارف الجديدة، ٢٠٠٢م، ص٤٩.

(٥) محمد عابد الجابري، نظام القيم في الثقافة العربية، مجلة فكر ونقد، ع١٩، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، مايو ١٩٩٩م.

(٦) الجوهري (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م، مادة (ق و م)، ص٥/٢٠١٧. الرازي (ت٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة لبنان، د.ط، ١٩٨٦م، مادة (ق و م) ص٤٤٠.

(٧) سماهر عمر الأسطل، القيم التربوية المتضمنة في آيات النداء القرآني للمؤمنين وسبل توظيفها في التعليم المدرسي، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص١٩.

(٨) جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية في دراسات الحضارة الإسلامية، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ب.ط، ١٩٨٥م، ص٤٠.

(٩) قاسم محمد محمود خزعلي، القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، ع٢٥، مج١، ذو القعدة ١٤٣٢هـ/ تشرين أول ٢٠١١م، ص٦١.

وتُكتسب القيم بالتوارث وبالتعلم وبالاقتداء، كتقليد المغلوب للغالب(١٠) أو العكس، بحسب درجة التحضّر والتمدّن، فقد اكتسب المغول والفرنجة من المشرق العربي الكثير من القيم بالرغم من تغلبهم العسكري عليه(١١)، بسبب تقدم الشرق الحضاري على تلك الأمم المتغلِّبة.

السرد

(**السرد**) أحد الفنون الأدبية، وهو سرد لأحداث وأفعال من الواقع أو من عالم الخيال(١٢) باستخدام مجموعة من أساليب التعبير، ويسود فيه الحوار والوصف وغيرهما، ويتألّف النص السردي من مجموعة من الأحداث المتسلسلة المرتبطة ببعضها البعض، كما يضّم مجموعة من الأفعال التي تقوم بها الشخصيات أو تمرّ بها، ولابد للنص السردي من هدف صريح أو ضمني للوصول في النهاية إلى عبرة معيّنة(١٣)، قد تكون أخلاقية أو سياسية أو اجتماعية، أو حتى تنمية مهارة النقد أو التخيُّل(١٤)، ويكون السرد على شكل قصّة أو رواية أو مسرحية أو مَثَل.

العلاقة بين الأدب والقيم

إن العلاقة بين الأدب والقيم الثقافية والاجتماعية العليا علاقة وثيقة، ومضمون السرد يعكس صورة المجتمع الذي ينتمي إليه الأديب(١٥)، والقيم توجد في الرواية بشكل تجريدي وتصوري في وعي الروائي مكتسبة طابعاً أخلاقياً(١٦)، فالرواية على سبيل التحديد بالإضافة إلى خصيصتها الأدبية هي انتاج ثقافي مرتبط بالواقع الاجتماعي من حيث الأفكار والصور والموقف، تشخص حالات عامة أو خاصة داخل المجتمع(١٧)، وواقعية الرواية لا تكمن في نمط الحياة التي تعرضها، بل تكمن في طريقة عرضها لهذا النمط(١٨).

ويكسب العمل الأدبي طابعاً ثقافياً خاصاً، كتفاعل السرد مع المبادئ الروحية كالإيمان

(١٠) ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دمشق، دار يعرب، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١/٢٨٣.

(١١) محمود محمد الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، القاهرة، دار المعارف، ط١، ١٩٧٩م، ص٢٤٤.

(١٢) مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م، ص١٩٨.

(١٣) محمد بن حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، الرياض، بدون ناشر، ١٩٨٥م، ص٤٢٧.

(١٤) رافدة الحريري، التربية وحكايات الأطفال، عمان، دار الفكر، ٢٠٠٩م.

(١٥) جان إيف تاديه، النقد الأدبي في القرن العشرين، ترجمة: منذر عياشي، حلب، دار الحاسوب للطباعة، ط١، ١٩٩٤م، ص١١٥.

(١٦) لوسيان غولدمان، مقدمات في سوسيولوجية الرواية، ترجمة: بدر الدين عرودكي، اللاذقية، دار الحوار، ط١، ١٩٩٣م، ص٢٠.

(١٧) رولان بارت وآخرون، الأدب والواقع، ترجمة: عبد الجليل الأزدي ومحمد معتصم، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط٢، ٢٠٠٣م، ص١٣.

(١٨) رولان بارت، الأدب والواقع، ص١١.

بعالم الغيب وسير الأنبياء والرسل، والمبادئ الاجتماعية كالحب والعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها، والمبادئ السياسية كالعدالة والحرية ومواجهة الظلم ورفض العدوان، والمبادئ الوطنية كالتضحية والوحدة والجهاد، وهي جميعها مطالب إنسانية، إذ يضمنها كتاب القصة والرواية والمسرحية أعمالهم، لكي تصل وتتأصل في ثقافة قومهم كما نرى في جل فنون آداب العربية، والأمم الأخرى، على مرّ العصور.

عرب الجاهلية والقصة

دوّن عرب الجاهلية تأريخ قبائلهم وبطولاتها ومآثرها بالشعر والأمثال، وضمّونها ما يؤمنون به من قيم وأعراف وتقاليد، تتناقلها الأجيال، فينمو الصغير على ما نشأ عليه الكبير، وجلها يدعو إلى المكارم كالأنفة والإباء كالشجاعة والكرم ونجدة الملهوف والوفاء بالعهد، فعن حاتم الطائي في دعوة الضيف ولو كان عابر سبيل، يقول لعبده(١٩):

أوقد فإن الليل ليل قُر * والريح يا واقدُ ريح صرُ

عسى يرى نارك من يمر * إن جاءنا ضيفٌ فأنت حُر

وعن عنترة في حفظ الجوار(٢٠):

وأَغُضُّ طرفي ما بدَتْ لي جارَتي * حتى يُواري جارتي مأْواها

إني امرؤٌ سَمْحُ الخليقةِ ماجدٌ * لا أتبعُ النفسَ اللَّجوجَ هواها

وعن الحادرة في الوفاء وعدم الغدر(٢١):

فَسُمَيَّ ويحكِ هل سمعتِ بغَدرةٍ * رُفع اللواءُ لنا بها في مجمعِ

إنا نَعفُّ فلا نُريبُ حليفَنا * ونَكُفُّ شُحَّ نفوسِنا في المطمعِ

وفي الأنفة والإباء يقول المتلمّس الضبعي(٢٢):

ولا يُقيم على ضيمٍ يُراد به * إلَّا الأذلانِ عَيْرُ الحيِّ والوَتَدُ

هذا على الخَسْفِ مربوطٌ برُمَّتِه * وذا يُشَجُّ فلا يَرثِي له أحدُ

(١٩) حاتم الطائي، الديوان، بيروت، دار صادر، ب.ط، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٢٤.

(٢٠) الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، تحقيق: مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٢١) ديوان شعر الحادرة، إملاء عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي، تحقيق: ناصر الدين الأسد، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١٥، ج٢، ص٣١٠-٣١١. ومطلع القصيدة (بكرتْ سمية غدوة فتمتعِ * وَغَدَتْ غُدُوَّ مُفارقٍ لَمْ يَرْجِعِ).

(٢٢) ديوان المتلمس الضبعي، رواية الأبرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص٢٠٨ و٢١١.

ويلخص عنترة معنى عزة النفس في ثقافتهم، بقوله(٢٣):

لا تسقني ماءَ الحياةِ بذلةٍ * بل فاسقني بالعزِّ كاس الحنظلِ

ماءُ الحياةِ بذلةٍ كجهنم * وجهنم بالعزِّ أطيبُ منزلِ

وفي عشق الحرية، يقول في نفس القصيدة(٢٤):

وإذا الجبانُ نهاكَ يوْمَ كريهةٍ * خوفاً عليكَ من ازدحام الجحفل

فاعْصِ مقالَتهُ ولا تَحْفلْ بها * واقْدِمْ إذا حَقَّ اللِّقا في الأَوَّل

واخترْ لِنَفْسِكَ منْزلاً تعْلو به * أَوْ مُتْ كريماً تَحْتَ ظلِّ القَسْطَل

وبطبيعة الحال نجد في المعلقات بالإضافة إلى التشجيع على المكارم تحذير من المثالب، كفتنة الحروب، كما ورد عند زهير بن أبي سُلمى(٢٥):

وَما الحَربُ إلّا ما عَلِمتُم وَذُقتُمُ * وَما هُوَ عَنها بِالحَديثِ المُرَجَّمِ

مَتى تَبعَثوها تَبعَثوها ذَميمَةً * وَتَضرَ إِذا ضَرَّيتُموها فَتَضرَمِ

فَتَعرُكُمُ عَركَ الرَحى بِثِفالِها * وَتَلقَح كِشافاً ثُمَّ تَحمِل فَتُتئِمِ

فَتُنتَج لَكُم غِلمانَ أَشأَمَ كُلُّهُم * كَأَحمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرضِع فَتَفطِمِ

فَتُغلِل لَكُم ما لا تُغِلُّ لِأَهلِها * قُرىً بِالعِراقِ مِن قَفيزٍ وَدِرهَمِ

قال النظّام: «يجتمع في المثل أربعة لا يجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبية، وجودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة»(٢٦)، فلا غرو أن نجد في المقلب الآخر في ثقافة عرب الجاهلية، الأمثال، وهي مرآة ثقافة الأمة ومرآة الحياة الروحية والتعبدية والاجتماعية والعقلية والسياسية واللغوية, وهي أوسع انتشاراً من الشعر الذي يقرظه ويتداوله طائفة مثقفة (إن صح التعبير) من الناس, أما الأمثال فهي لغة جميع الشرائح والأطياف. وأمثال عرب الجاهلية السائرة غنية بالمعاني التي رددها شعراؤهم، وهي تهدف إلى ترسيخ القيم العربية وانتشارها وانتقالها من جيل إلى آخر، فمعنى التعلم والتعليم فيها أوضح من أن نجادل فيه(٢٧).

ومن أمثالهم» أحمق من عجل»، والمقصود: عجل بن لجيم بن صعب بن علي ابن بكر

(٢٣) الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، ص١٣٥.

(٢٤) السابق، ص١٣٤.

(٢٥) زهير بن أبي سلمى، الديوان، تحقيق: علي حسن فاعور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٠٧-١٠٨.

(٢٦) أبو الفضل النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، ص١/٧.

(٢٧) محمد عبد المعين خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م، ص٣٩.

بـن وائـل، قـال حمـزة: هـو مـن الحمقـى المنجبـين، وذلـك أنـه قيـل لـه: مـا سـميت فرسـك؟ فقـام ففقـأ عينـه, وقـال: سـميته (الأعـور). وفيـه يقـول جرثومـة العنـزي:

«رمتني بنو عجل بداء أبيهم * وأي امرئ في الناس أحمق من عجل؟

أليس أبوهم عار عين جواده * فصارت به الأمثال تضرب في الجهل»(٢٨).

القرآن والقصة

جـاء الإسـلام بعقيـدة جديـدة، وبطبيعـة الحـال عمـل عـلى نـشر ثقافـة تعـزز ترسـيخ عقيـدة التوحيـد ومـكارم الأخـلاق، واعتمـد في أدوات وصولـه إلى هـذا الهـدف، ككل الكتـب الدينيـة (القصـة) لنـشر ثقافـة جديـدة في الجزيـرة العربيـة، فجـدد اسـتخدام ألفـاظ واسـتحدث معـانٍ جديـدة لألفـاظ متداولـة، وقـد شـغل القصـص القـرآني حيـزًا كبـيرًا عالـج أهـداف الدعـوة مـن عقيـدة وعبـادة وسـلوك وقيـم، والمتأمـل للقصـص القـرآني يجـد في طياتهـا مـن المعـاني والمرامـي مـا يتجـاوز التأريـخ ليرسـم طريقـاً للحـاضر والمسـتقبل(٢٩).

يشـغل القصـص القـرآني ثلـث القـرآن تقريبـاً، وهـي تشـمل قصـص الأنبيـاء السـابقين، وقصص الأمـم الغابـرة، والسـيرة النبويـة المحمديـة، ويجمـع بينهـا هـدف سـام هـو تقويـم سـلوك الأفـراد والجماعـات: {لَقَـدْ كَانَ فِي قَصَصِهِـمْ عِـبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَـابِ مَـا كَانَ حَدِيثًـا يُفْـتَرَى وَلَكِـنْ تَصْدِيـقَ الَّـذِي بَـيْنَ يَدَيْـهِ وَتَفْصِيـلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُـدًى وَرَحْمَـةً لِقَـوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسـف/١١١]، فـكل نبـي ورسـول؛ بالإضافـة إلى مهمتـه في نـشر عقيـدة التوحيـد الصحيحـة، وتعليـم العبـادات، كان مكلفـاً بإصـلاح مفسـدة تميـز بهـا قومـه، كسـعي لـوط لإصـلاح شـذوذ قومـه: {وَلُوطًـا إِذْ قَـالَ لِقَوْمِـهِ أَتَأْتُـونَ الْفَاحِشَـةَ مَـا سَـبَقَكُمْ بِهَـا مِـنْ أَحَـدٍ مِـنَ الْعَالَمِينَ} [الأعـراف/٨٠]، وسـعى شـعيب لإصـلاح تطفيـف قومـه للميـزان: {قَـدْ جَاءَتْكُـمْ بَيِّنَـةٌ مِـنْ رَبِّكُـمْ فَأَوْفُـوا الْكَيْـلَ وَالْمِيـزَانَ وَلَا تَبْخَسُـوا النَّـاسَ أَشْـيَاءَهُمْ} [الأعراف/٨٥].

أبـرز القصـص القـرآني مفاسـد الـشرك والمعـاصي، ومعاقبـة اللـه تعـالى عليهـا، وبـشّر بنـصر اللـه تعـالى وتأييـده لعبـاده الصادقـين، وأمـر بالتـأسّي بالأنبيـاء والمرسـلين، والتجمـل بمـكارم الأخـلاق، وأدب الحـوار والجـدال بالحكمـة والموعظـة الحسـنة، والدعـوة إلى اللـه بالتـي هـي أحسـن، والصـبر عنـد الشـدائد، وقبـول الآخـر، والسـعي وراء الحكمـة، والأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر، وإصـلاح ذات البـيْن، وغيرهـا مـن مـكارم الأخـلاق.

وحـوّل القصـص القـرآني الشـخصيات التـي ذكرهـا إلى رمـوز لمعـانٍ مختلفـة، ففرعـون رمـز للجـبروت البـشري، ومـوسى رمـز للمواجهـة والتحـدي والصمـود، وإبراهيـم رمـز للتضحيـة، وداود رمـز للسـلطان العـادل، ويوسـف رمـز للطهـارة والعفـة والصـدق والقيـادة الحكيمـة، وأصحـاب

(٢٨) أبو الفضل النيسابوري، مجمع الأمثال، ص١/٢١٧.

(٢٩) انظر: يوسف/١١١. الأعراف/١٧٦.

الكهف رمز للتمسك بالحق كالقابض عن الجمر.

اللغة أداة تفكير

إن اللغة أداة تفكير(٣٠) وتواصل(٣١)، بها يدرك الناس العلوم والمدلولات سواء بالتصريح أو بالتلميح أو بالإشارة(٣٢)، وهي ديوان الأمم وحافظة هويتها الثقافية، والمبدع من الكتّاب من يولد معانٍ جديدة مبتكرة من اللفظة التقليدية المستخدمة، وأكثرها ابتكاراً تلك التي تؤثر في نفس القارئ وتحفر فيه المعنى المجرد كالمعاني الروحية والقيم الأخلاقية والثقافية التي تكوِّن هوية الناطق باللغة.

أما التحدي الأصعب فهو أن تخوض في لغة كاتب له خصوصيته وتحكم على معاني الألفاظ التي استخدمها ومراميها، إذ يكون بعض ذلك تخميناً يحتمله المبنى، ويقد يكون تجاوزاً للمعنى الذي رامه كاتبه، وفي كلا الحالتين تحسب المجازفة لصاحبها لا عليه، وفي الحديث الشريف أن المجتهد إذا أصاب له أجران وإن أخطأ فله أجر واحد(٣٣)، ولغة الأدب تستخدم عدة أساليب من التورية والكناية والرمزية فتستعصي على من لا يملك أدوات فهم اللغة وفلسفة العربية، لأن الأديب يستخدم كلمات المعجم العربي ولكنه لا يقيد نفسه بظاهر معانيها، وينحت لها معان ومصطلحات خاصة، وله في ذلك أسوة بالكتاب الكريم الذي لا تخلو آية من آياته من ظاهر وباطن وحد ومطلع، كما يروى في الأثر(٣٤)، وكما في الكتاب(٣٥) والسنة التي تستخدم القصص والأمثال لنشر العقيدة والقيم(٣٦).

يفتح السرد القصصي أفقاً واسعاً للتحليل والاستنتاج والاستخلاص، خاصة تجاه المضمون والمواقف وأنماط السلوك الواردة في طياته، مما يساهم في تحقيق رسالة التربية في تعلم وتعليم القيم العالية والفضائل الوطنية والمسلكية والاجتماعية. ومن أثر السرد القصصي التربوي في القارئ (والمستمع)، المشاركة الوجدانية عند الانسجام مع شخصيات القصة (الرواية، المسرحية) ومشاركتهم مواقفهم ومشاعرهم وانفعالاتهم، وكأن القارئ (المستمع) هو أحد شخصيات القصة نفسها، وهو يغرس في اللاوعي المقارنة الخفية مع شخصيات السرد

(٣٠) جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، رقم ١٤٥، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠، ص١٤٤.

(٣١) الجرجاني (ت٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٤٤.

(٣٢) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، بيروت، دار صادر، ب.ط، ١٣٧٦هـ، ص١/ ٣٩١-٣٩٨.

(٣٣) صحيح البخاري، رقم ٧٣٥٢. صحيح مسلم، رقم ١٧١٦. من حديث عمرو بن العاص (رضي الله عنه).

(٣٤) أبو يعلى الموصلي (ت٣٠٧هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٩/ ٨٠. ورواه من الصوفية التستري (ت٢٣٨هـ)، تفسير القرآن العظيم، القاهرة، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، ص٦١. ورواه الشيعة عن علي (كرّم الله وجهه): الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، تفسير الصافي، بيروت، منشورات الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص١/ ٢٨.

(٣٥) فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، الرياض، مكتبة فهد الوطنية، ط١٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص٦٠٧.

(٣٦) سماهر عمر الأسطل، القيم التربوية، ص١٧.

القصصي، فهو يترفع بترفعهم أو ينزل بمنزلتهم وممارساتهم(٣٧).

تراث العربية غني بالقيم

أبدع العرب في الجاهلية والإسلام في حفظ تراثهم ونقله إلى الأجيال من خلال الشعر ثم النثر، وعن ابن عباس «الشعر ديوان العرب»(٣٨)، أي سجل تأريخهم وثقافتهم، وقد كانوا على اختلاف نصيبهم من العلم، على معرفة تامة بأهمية البيان ودوره في نشر الفضائل ومعالي الأمور، بالإضافة إلى كونه أداة لازمة لفهم الكتاب الكريم والسنة الشريفة، فلم يترددوا في تعلمه وتعليمه، فعن النبي (صلى الله عليه وسلم): «إن من الشعر حكمة»(٣٩)، وعن أبي بكر الصديق: «ربما قال الشاعر الكلمة الطيبة»(٤٠)، وعن عمر بن الخطاب: «تعلموا الشعر، فإن فيه محاسن تبتغى ومساوئ تتقى، وحكمة للحكماء، ويدل على مكارم الأخلاق»(٤١). وكان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتذاكرون الشعر وحديث الجاهلية عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلا ينهاهم، وربما تبسم(٤٢).

وظهرت في العصر العباسي فنون سردية، قصص وسير ومقامات، ليس بهدف التسلية، كما يبدو ظاهرها، بل بهدف تعليم أساليب اللغة العربية والوقوف على ألفاظها وزيادة علم الناشئة بغريبها وشواردها بأسلوب مُشوق، فأجراها مخترعها الهمذاني (ت٣٩٨هـ) على هيئة القصة، ولكن بدون حبكة ولا عقدة، لأن غايته تعليمية تتأنق باللفظ واللغة البديعة. ومن المعلوم للباحثين أن مقامات بديع الزمان والحريري (ت٥١٦هـ) دعت لقلب منظومة القيم الراسخة والتأسيس لقيم جديدة(٤٣)، ففي المقامة (الأصفهانية) لبديع الزمان يحتال الإمام بحيلة للاستيلاء على أموال المصلين، إذ يتوسل بالحلم (الرؤيا) لإقناع المصلين بأنه تلقى مباشرة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليبيع رؤاه للمصلين قالباً القيم الإسلامية بقيم أخرى تناسب هواه.

وفي نفس السياق نرى الرواية المعاصرة (طواحين بيروت) لتوفيق يوسف عواد تعمل تحت هاجس الوطن العربي ووحدته من واقع ما حدث في لبنان من صراع طائفي، يرفض

(٣٧) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، القاهرة، دار الشروق، ط١١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٢/ ١٥٤. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص٦٠٧. ضياء كعبي، السرد العربي القديم؛ الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٥م.

(٣٨) الطبري (ت٣١٠هـ)، تهذيب الآثار، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، مج٢، رقم٢٧٠٢.

(٣٩) العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، مصر، دار الكتب السلفية، ب.ت، عن البخاري عن ابن عباس، ص١٠/ ٥٤٠.

(٤٠) السابق، ص١٠/ ٥٤٠.

(٤١) المتقي (ت٩٧٥هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: إسحق الطيبي، الأردن، بيت الأفكار الدولية، ط٢، ٢٠٠٥م، ص١/ ٤٤٣، رقم٨٩٤٥.

(٤٢) العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري، ص١٠/ ٥٤٠-٥٤١. عن أحمد وابن أبي شيبة والترمذي، كلهم عن جابر بن سمرة.

(٤٣) جيمس مونرو، فن بديع الزمان الهمذاني، ترجمة: أنيسة أبو النصر، مجلة فصول، خريف ١٩٩٣م، ص١٥٦.

فريـق منـه أيـة علاقـة بالعـرب وبالعروبـة، ففـي الروايـة انتصـار للمفاهيـم القوميـة بالرغـم مـن خطـورة ذلـك عـلى الكيـان اللبنـاني المتعـدد وربمـا المتمـرد عـلى نمطيـة محيطـه(٤٤).

وهـذا الأمـر ليـس خاصـاً بـالأدب العـربي، بـل هـو ظاهـرة إنسـانية، في زرع القيـم أو توجيـه النقـد إلى الواقـع، فقـد شـهدت حقبـة (Strum und dran) في ألمانيـا ولخمـس سـنوات عـدداً هائلاً مـن المسرحيـات التـي عالجـت حافـز قتـال الأخـوة، فيـما لم يعتـبر في حـال مـن الأحـوال مـبرراً لتزايـد قتـال الأخـوة في تلـك الحقبـة(٤٥).

ويمكـن نفـس القـول عـلى القصـة القصـيرة «القنـاص» (The Sniper) لكاتبهـا الإيرلنـدي ليـام أوفلاهـيرتي (Liam O'Flaherty) حيـث يـبرز فاجعـة قتـل الأخ لأخيـه الشـقيق، في حـرب هـي أصـلاً حـرب تمزيـق للأمـة، وبالرغـم مـن أحـداث القصـة في إيرلنـدا إلا أنهـا تصـدق عـلى كل حـرب داخليـة عبثيـة تكـون في الأغلـب لصالـح (أجنـدات) خارجيـة.

وككل شيء يحمـل ضـده في نفسـه، يحمـل الـسرد القيـم الثقافيـة، كـما يحمـل أيضـاً مـا هـو ضدهـا، فـرواج المرويـات السرديـة عنـد الناشريـن ككتـاب (ألـف ليلـة وليلـة) وسـيرة (سـيف بـن ذي يـزن) وأمثالهـا مـما يـرضي العامّـة، مصـدر مـن مصـادر إفسـاد القيـم السـائدة(٤٦).

وفي نفـس السـياق هنـاك مـن يـرى مسـاهمة المـسرح الخليجـي المعـاصر في انهيـار النظـام التقليـدي لـلأسرة(٤٧)، ففـي مـسرح صقـر الرشـود الكويتـي؛ عـلى سـبيل المثـال؛ خـروج عـلى نظـام الأسرة الممتـدة، خصوصـاً عندمـا نتذكـر دائمـاً أن المجتمـع الكويتـي هـو مجتمـع خليجـي بامتيـاز تعـود أعرافـه في جذورهـا إلى نجـد، قلـب العربيـة وحصـن التقاليـد.

تجربة جامعة الخليج للعلوم والتكنولوجيا

تأسسـت (جامعـة الخليـج للعلـوم والتكنولوجيـا - GUST) أول جامعـة خاصـة في الكويـت عـام ٢٠٠٢م، بمنهـج أمريـكي بالتنسـيق مـع جامعـة (St. Lewis Missouri - USA)، فهـي جامعـة أمريكيـة في بيئـة عربيـة إسـلامية، وبطبيعـة الحـال احتاجـت الجامعـة إلى بعـض الوقـت لتسـتقر برامجهـا الخاصـة بالبيئـة الحاضنـة، واعتـماد مـواد ومسـاقات مناسـبة لسياسـاتها التعليميـة الوطنيـة، وتلبيـة لهـذا الأمـر تمـت الموافقـة عـلى مـادة (قـراءات في الأدب الكويتـي المعـاصر) ورمزهـا (Arb-٢١٠)، وكان التحـدي كبـيرًا، أولاً لإنشـاء مـادة مبتكـرة غـير مسـبوقة، ولأن جـل طـلاب (جامعـة الخليـج للعلـوم والتكنولوجيـا - GUST) قـد جـاؤوا مـن مـدارس خاصـة غـير

(٤٤) مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ع١٨٨، أغسطسن ١٩٨٨م، ص٢٢٠.

(٤٥) تزفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، ترجمة: عبد الرحمان مزيان، الجزائر، وزارة الثقافة، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٥م، ص٤٦-٤٧.

(٤٦) محمد عمر، حاضر المصريين أو سر تأخرهم، مصر، مطبعة المقتطف، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، ص١٥٦.

(٤٧) إبراهيم عبد الله غلوم، المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ع١٠٥، سبتمبر، ١٩٨٦م، ص١٣٧.

عربيــة، فالجهــد إذن ســيكون مضاعفــاً حتــى اعتمدنــا متطلــب ضروري قبــل المــادة هــو أساســيات اللغــة العربيــة (Functional Arabic-Arb ١٠٣).

كان لاختيــار الكتــاب والأدبــاء والشــعراء أثــر كبــير في نفــوس الطلبــة وتفهمهــم للقيــم التــي يطرحهــا هــؤلاء في أعمالهــم، بــل إن دراســة المؤثــرات البيئــة الحاضنــة لــكل أديــب مــع ســيرته الذاتيــة ســاهمت هــي بدورهــا في غــرس قيــم نموذجيــة لمفكريــن وباحثــين وكتــاب وشــعراء مــن أهــل الكويــت.

تم اختيار مجموعة من الكتاب، أبرزهم في النثر بمختلف أغراضه وأنماطه(٤٨):

• إســماعيل فهــد إســماعيل (والــد الروايــة الكويتيــة، المنحــاز إلى جانــب الإنســان بضعفــه وغربتــه).

• بثينــة وائــل العيــسى (الكاتبــة الشــابة التــي تمــس بكتاباتهــا احتياجــات جيلهــا، وتخاطبهــم بلغتهــم).

• حمد عبد المحسن الحمد (الكاتب الروائي).

• سليمان علي الشطي (الأديب الروائي القاصّ الناقد الأكاديمي، أستاذ الجيل).

• طالب محمود الرفاعي (المهندس الأديب).

• ليلى عبد الله العثمان (الكاتبة الأديبة الصحافية المبدعة في حمل قضايا المرأة).

• منى عباس الشافعي (القاصة الروائية الصحافية، الرومانسية الراقية).

• هيثم عبد الله بودي (الروائي الذي أبدع في كتابة التراث الكويتي في رواياته).

ومن كتاب المسرح:

• حمد عيسى الرجيب (الرائد الشامل، والد المسرح الكويتي).

• خالد عبد اللطيف رمضان (الأكاديمي، الكاتب المسرحي).

• سُليمان داود الحـُزامي (رائد مسرح العبث الكويتي).

• سعد مبارك الفرج (الممثل الكاتب المخرج الفنان المخضرم).

وأبرزهم في الشعر بمختلف أغراضه وأنماطه:

• أحمد مشاري العَدْواني (شاعر الصمت والإباء).

• خليفة عبد الله الوقيان (الشاعر الناقد المؤرخ الأدبي، الحائز على عدة جوائز تقدير).

• سالم عباس خـُدَادَة (الشاعر الناقد التربوي الأكاديمي).

(٤٨) مرتبين على الأحرف الأبجدية.

- سعاد محمد الصباح (الأميرة عاشقة الكويت ذات البعد الإنساني).
- عبد اللطيف إبراهيم النصف (الشاعر المتجدد المطبوع).
- عبد الله محمد العتيبي (شاعر الوطنيات، والصوت المرتفع في وجه الفساد).
- فهد صالح العسكر (معرّي الكويت، شاعر الشكوى والألم).
- محمود شوقي الأيوبي (الشعر التقليدي، عاشق الطبيعة).

بالإضافة إلى قائمة طويلة يتم اختيار بعض أفرادها بشكل انتقائي في كل فصل من فصول الدراسة.

القيم التي يطرحها الأدب الكويتي

يتميز الأدب بشكل عام، والأدب الملتزم بشكل خاص؛ مهما قال النقاد بحيْدته وعدم تدخله في شخوص قصصه أو مسرحياته؛ بحمل رسالة هادفة، يبثها في الشخوص وفي الحوار وفي ثنايا السرد، ففي مسرحية (**امرأة لا تريد أن تموت**)(٤٩) المصنفة في مسرح العبث، رسالة جادّة تذكر بقول الجاحظ: «أَنَّ المزاحَ جِدٌّ إذا اجتُلِب ليكون علَّةً للجِدِّ، وَأَنَّ البَطالة وَقارٌ ورَزانة، إذا تُكُلِّفت لتلك العافية»(٥٠).

وملخص المسرحية امرأة يتآمر عليها من يفترض بهم أنهم أصدقاؤها، فيقتلونها مرة ومرة ومرة، وفي كل مرة تعود إلى الحياة، وتبرّئ قاتليها، وكأنها الأنموذج الأعلى للتسامح، وهي في نفس الوقت خالدة مستعصية على الموت، كل إشارات ورموز المسرحية تدل على أن المقصود بهذه الامرأة التي لا تموت (القضية الفلسطينية) التي شكلت للكاتب ولجيله القضية الأم، وعندما أخبرته في حوار شخصي أن مسرحيته تصدق أيضاً على الكويت؛ بالرغم من أنه نشرها عام ١٩٧٨م؛ أي قبل احتلال العراق للكويت باثنتي عشرة سنة. لكن استخدام الرمز في كتابتها جعلها صالحة لكل قضية وطنية يصر أهلها على انتصارها، علّق بأنه لم يتنبه إلى هذا المعنى من قبل.

سعاد الصباح في قصيدتها (**وردة البحر**)(٥١) تسوق عدداً من المعاني الوطنية والثقافية والإنسانية، تنطلق من صور طفولتها إلى مشهد احتلال الكويت وتحريرها، فالكويت ضاربة في التأريخ والأصالة في الوجود والشيم، لا كما يقول المحتل ويروّج:

«كويتُ، كويتُ

مواني‌ء أبحرَ منها الزمان

(٤٩) سليمان الحزامي، الأعمال الكاملة، الجزء الأول، الكويت، ب.ن، ، ط٢، ب.ت. ص١٨٩-٢٥٥.

(٥٠) الجاحظ، (ت٢٥٥هـ)، الحيوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص١/ ٣١.

(٥١) سعاد الصباح، ديوان (فتافيت امرأة)، الكويت، دار سعاد الصباح، ط١٢، ٢٠١٩م، ص١٤٣-١٤٨.

وواحةُ حبٍّ، وبرُّ أمان

وشعبٌ عظيمٌ

وربٌّ كريمٌ

وأرضٌ يسيِّجُها العنفوان».

وتنقل الشاعرة إلى الجيل صورة العائلة الكويتية النموذجية بجوها الحميم، بقولها:

«وشايُ أبي

وابتسامةُ أمي

ومحفظتي، وجُدَيْلةُ شعري

وكوبُ الحليب قبيل الذهاب إلى المدرسه».

وتبين إصرار الكويت على التمسك بالحرية، لها ولشعبها خاصّة، وللإنسانية ولمظلومي العالم عامة:

«أحبك.. كالشمس تعطين ضوءك للعالمين

أحبك كالأرض..

تعطين قمحَك للجائعين..

وتقتسمين الهمومَ مع الخائفين..

وتقتسمين الجراحَ مع الثائرين»..

في قصيدة (وردة البحر) صورة انتصار قيم الكويت على الاحتلال، فالاحتلال نفسُه لم يفشل بالاحتفاظ بأرض الوطن فقط، بل خسر بالإضافة إلى ذلك معركته في ثني الكويت عن متابعة سيرتها الأولى في تقديس حرية الرأي، وانتمائها القومي، وفتح ذراعيها لكل لاجئ إليها يسعى لأنفاس الحرية:

«لحرية الرأي فيكِ تراثٌ طويلْ

وطفلُ المحبة بين ذراعيْكِ طفلٌ جميلْ

وزرْعُ العروبةِ فيكِ قديمٌ.. قديمْ..

كهذا النخيلْ..

فظلّي كما كنت قلباً كبيراً..

ونجماً منيراً..

وكوني المنارة للضائعين

وكوني الوسادة للمتعبين

وكوني كأية أمٍّ..

تُعانقُ أولادَها أجمعين»..

إن استعادة الكويت في رؤية الشاعرة سعاد الصباح هو استعادة لقيم الحرية وحقوق الإنسان الذي نشأت عليه الكويت وحافظت عليه ولن تتخلى عنه:

«ويسعدني أن تظل بلادي

ملاذَ العصافير من كلِّ جنسٍ

وبيتَ المغنين والشعراءْ..

ويسعدني أن يكونَ ترابُ بلادي

مزارَ البنفسجِ والشهداءْ

وسقفاً، لمن تركتْهم حروبُ العروبة دونَ غِطاء..

ويسعدني أن تظل بلادي جزيرةَ حريةٍ رائعه

بها الفجر يطلع حين يشاء

بها البحر يهدر حين يشاء

بها الموج يغضَبُ حين يشاء

ويسعدني أن تظلَّ بلادي فضاءً رحيباً

ونافذةً نتنشق منها الهواء».

مع **عبد الله العتيبي** الذي تدرج في الوظيفة الحكومية أستاذاً في الجامعة وعضواً ورئيساً لأكثر من مؤسسة ثقافية، لا يعش الشاعر في الوطن، بل يعيش الوطن فيه، يحمله بكل أحاسيسه، ويتحدث عنه حديث المؤمن في محرابه والعاشق في خلوته.

وقد أثاره حدث اختطاف طائرة (الجابرية) لرمزيتها ولتعرض الخاطفين لسلامة أبناء شعبه وسلامة دولته، فبين في شعره تلك النخوة التي تميز كل وطنيّ مهما ظن العدو أنه وطن صغير وإمكاناته ضعيفة، ففي ساعة الفداء ترخص الأرواح للوطن وكرامته، فقال

عـلى لسـان (الجابريـة) بلسـانها ولسـان الكويـت:

«خاطفي.. أيها المخطوف من دنيا البرية

أنت يا مسكين لا تعرفني

فأنا زهرةُ الشوك ونيران الحمية

فالكويتيون في يوم الفدى

يُرْخصون الروح للدار الأبية».

والشـاعر نفسـه، عبـد اللـه العتيبـي، العاشـق لوطنـه المتفاعـل مـع مـا يسـعده ومـا يؤذيـه، يتصـدى في (**رجعـت لعادتهـا حليمـة**) للفئـة الطفيليـة التـي تتكسـب عـلى حسـاب الوطـن وأبنائـه، فتكـون في أول الصـف عنـد الغنيمـة وتختفـي عـن الأنظـار طالبـة السـلامة عنـد الكريهة:

هي في الرخاء عظيمةٌ * وضئيلةٌ عند العظيمة

هي في الكلام مناضلٌ * ومحاورٌ صعبُ الشكيمة

هي في التفاخر، فارسٌ، * وغزالةٌ عندَ الهزيمة

هي أتقنتْ وضعَ القناعِ * أمام سحنتها السقيمة

وفي دوره الإصلاحـي يحمّـل عبـد اللـه العتيبـي التهـاون في العقوبـة والمحاسـبة مسـؤولية بـروز الطفيليـين والنفعيـين في المجتمـع وتقدمهـم الصفـوف، يقولهـا في جـرأة قلـما عرفناهـا في (الموظـف) الـذي يعتـاد القيـام بواجبـه دون التعـرض لتقصـير غـيره، يقولهـا لأنـه عاشـق غيـور لا يرتـضي انتهـاك حرمـات وطنـه:

من أين جاءت؟ لا تسلْ * واسأل نوايانا السليمة

هي ما مضى، هي ما سيأ * تي، طالما يدُنا رحيمة

في جانـب **القصـة القصـيرة جـداً**، تضغـط **ليـل العثـمان** كلماتهـا في أقـل عـدد ممكـن لتـؤدي أكـبر معنـى وغـرض، فتبـدع في المعنـى وفي الإيجـاز معـاً دون أن تقـدح بلغتهـا ولا في بنيـة القصـة وأركانهـا، وليـلى العثـمان المولـودة وفي فمهـا ملعقـة مـن الذهـب، تقـف إلى جانـب الفئـة الأكـثر تعرضـاً في المجتمـع لـلأذى وهضـم الحقـوق، تقـف أمـام جـدار التقاليـد لتقـول كلمتهـا حتـى لـو سُـحبتْ منهـا الجوائـز وشـهادات التقديـر، تدعـو إلى التنويـر وكـسر الطـوق كـما في أقصوصـة (**انفتـاح**):

«سألت الزهرةُ رفيقتَها:

ـ لماذا تفتّحتِ قبلي؟

قالتْ الرفيقةُ بانتشاء:

ـ فتحتُ قلبي للنورِ والمطرِ قبلكِ».

وتدعـو إلى محاربـة الفقـر والعـوَز بالعلـم، عـلى قاعـدة (لا تعطنـي سـمكة علمنـي كيـف أصطـاد)، في أقصوصتهـا (**كـرم**):

«جلـس عـلى الرصيـف مـادّاً يـدَه إلى المـارّة. في المـرة الأولى جمـعَ ديناراً. في الثانيـة جمـع مائـةَ دينـارٍ. في الثالثـة جمـع ألـفَ دينـارٍ. لم يعـد يجلـسُ عـلى الرصيـف. مضـتْ سـنواتٌ طويلـةٌ.. شـاهده المـارَةُ يُسـقِطُ في كـفٍّ سـائلٍ ألـفَ دينـار. صرخـوا بـه: «هـذا كثـيرٌ».

قـال: «يـومَ جمعـتُ دينـاراً أكلـتُ بـه، ويـوم جمعـتُ مائـةً اكتسـيتُ، ويـومَ جمعـتُ ألفـاً تعلمـتُ.. فَوقَيْـتُ نفـسي ذُلَّ السـؤالِ».

وتدافـع ليـلى العثـمان عـن البيئة وكأنهـا أحـد جنـود (الخُـضْر) المجنـدة في أقصوصـة (**العقاب**) التـي تحمـل أكـثر مـن معنـى اجتماعـي وسـياسي وبيئـي، يجمـع بينهـا (أن مـن حفـر حفـرة وقـع في فيها):

حملـتْ سـيفَها لتقطـعَ شـجرةً مثمـرة فـوق رأس الجبـل. قبـل أن تصـل، تعـثرتْ.. هـوتْ. لم تنتبـه لسـيفها المسـنون فانكفـأتْ عليـه.

وتبلـغ ليـلى العثـمان ذروة مواجهتهـا للتقاليـد المكبلـة للمـرأة، لاسـيما في المجتمـع البـدوي، والتحريـض عـلى تحقيـق الـذات بـالإصرار عـلى حريـة الاختيـار، في قصتهـا القصـيرة (**لا خـبر.. لا..**)، ففيهـا تشـجيع للبنـت أن تقـول (لا) عنـد إكراههـا عـلى الـزواج ممـن اختـاره أهلهـا لا قلبهـا، وألا تخضـع للأعـراف والتقاليـد السـائدة في أن ترتبـط بمـن يختـاره الأب مـن أجـل مالـه ونسـبه، تقـول عـلى لسـاب البطلـة التـي تؤكـد عـلى اسـتقلال قرارهـا المصـيري، محـددة الضـد، لأنهـا تبحـث عـن (رجـل) يمـلأ حياتهـا وتمـلأ حياتـه، تقـول عـلى لسـان البطلـة في مواجهـة قـرار أبيهـا:

«لا.. لـن أتـزوج مـن تختـار.. وسـأبحث عـن رجـل آخـر.. رجـل تفـوح مـن قدميـه رائحـة التعـب.. فـلاّحٌ تتناسـل الديـدان مـن تحـت أظافـر كفـه التـي تـزرع.. أو ربمـا.. عبـد مجلود عنـد سـيده.. ألـفَ جَلْـدة.. أريـده صـافيَ العينـين.. لم يـُرْهق لألاءُ الذهـب بؤبؤَهـما ولم يذق حليـب النـوق ويُتْخَـمُ.. ولم ترتـح ضلوعـه عـلى أسرّة الحريـر والديبـاج.. أريـده رجـلاً مـن الأرض.. يعشـقها ويلتحـم بترابهـا.. وينـام عـلى عشـبها.. وأنـا عـلى زنـده أغفـو وأحلـم.. رجـل واحـد لامـرأة واحـدة.. وليـس مثلـك يـا أبي تتنقـل كعقـرب السـاعة مـن جسـد إلى آخـر.. تحـرث وتشـبع والأرض عطـشى.. كيـف تنـام يـا أبي كل ليلـة في فـراش! ولمـاذا تريـد أن تهديـنيَ رجـلاً يملـك فراشـاً أو فراشـين غـير فـراشي»؟!

في الجانـب الـذي يخـرج مـن ظاهـر الـسرد القصـصي إلى الموقـف السـياسي الـذي يتعـرض

للنظـام ككل مكتفيـاً بالتلميـح، دون الدخـول في دهاليـز النقـد المفصّـل الصريـح، يقـف **إسـماعيل فهـد إسـماعيل**، الـذي عـاش بيئتـي الكويـت والبـصرة، مـا بـين المجتمـع الزراعـي والآخـر الصحـراوي المعتمـد عـلى التجـارة، يقـف بـكل ثقـة في القصـة القصـيرة (**ملاحظـات بائـع الأطفـال**) إلى الجانـب المسـتضعفين والمهمّشـين، وهـو المعـروف بانحيـازه إليهـم في جـل كتاباتـه، يرمـز في هـذه القصـة القصـيرة إلى هـذه الشريحـة الاجتماعيـة بالطفـل الأسـمر، فيـما يرمـز إلى السـلطة بصاحـب الـدكان، وإلى المؤسسـة التـي تحافـظ عـلى الأوامـر والتوجيهـات بالبائـع، ويـبرز مـن خلالـه صراع المؤسسـة الأمنيـة الداخـلي بـين الواجـب في تطبيـق التعليـمات وبـين التعاطـف مـع حاجـة المحتاجـين.

تبـدأ (**ملاحظـات بائـع الأطفـال**) بالتعليـمات التـي يوجههـا المالـك للبائـع، ثـم نمـر بمشـهد الطفـل الأسـمر الفقـير الـذي يريـد ويرغـب بالسـيارة ثـم بالقطـار، ولكنـه لا يملـك الثمـن، فيفلسـف السرقـة بالاسـتعارة، لأنـه لا يطمـع سـوى بإشـباع نهمتـه للعـب ليـس إلا، ليلقـي علينـا إسـماعيل فهـد إسـماعيل درسـاً بليغـاً في التعاطـف مـع حاجـة النـاس، وعـدم التـسرع في الاتهـام قبـل معرفـة الخلفيـات، يقـول في الحـوار بـين البائـع وصاحـب الـدكان:

«افتـح عينيـك جيـداً عـلى سـعتهما .. فهـؤلاء الشـياطين الصغـار يسـتولون بـكل بسـاطة عـلى كل مـا يقـع تحـت أيديهـم»..

وفي حـواره بـين البائـع والطفـل، وإبـراز هـذا الـصراع الداخـلي بـين تنفيـذ أوامـر المالـك والتعاطـف مـع الطفـل المحتـاج:

- «ما اسمُك»؟

ولم أستطع منع نفسي عن مداعبة شعره..

- «أين أبوك»؟

- «في الشغل»..

- «اطلب منه أن يشتريَها لك»!

تطلَّع إلى عينيّ بحيرة..

- «هو لا يشتريها»..

- «لماذا»؟

... ...

وددتُ لـو كان بإمـكاني أن أفعـلَ شـيئاً.. تـردَّد بُرْهـةً قبـل أن يغـادر.. شـعرت براحـة صغـيرة.. الأزمـة مـرَّت بسـلام.. فجـأة دخـل عـليّ ثانيـة..

- «خذ حـِذْرك الآن»!

وقف بين قدميّ.. رفع وجهه إليّ..

- «دعني أراها»!

صوته استعطاف مُحبَّب..

- «لم لا أُدخل بعضَ الفرحة إلى نفسه»؟!

- «حاضر... ولكن بسرعة».

جئت بها إليه.. تناولها باحتراس.. تفحّصها بحنان..

- «حلوة»!

واحتضنها بين ذراعيه..

- «.. هؤلاء الصغار يستولون- بكل بساطة- على ما يقع تحت أيديهم»..

استدار على نفسه استدارةً كاملةً..

- «ما الذي يفكر فيه»؟!

لمْ يُبْقِها لديه أكثر.. دفعها إليّ..

- «كيف تُدار»؟

- «هو طيب.. لم لا أُدخل بعض الفرح»..

- «حاضر.. ولكن بسرعة»..

جلستُ إلى جانبه.. نظر.. ها هي تمشي.. وانطلقت السيارة تجوب أرض المحل. نظرت إلى وجهه.. كان يبتسم بسعادة فيَّاضة..

- «حلوة»!

دخل زبون.. رفعتُ السيارة عن الأرض..

- «يكفي»..

ثم تابعتُ الطفل وهو يستدير منصرفاً.. والتفتُ إلى الزبون..

- «نعم سيدي»؟!

- «دعني أرى هذه السيارة»؟!

دخل زبون آخر.. وآخر.. وحلت دقائق ازدحم خلالها المحل.. ولما خلوت لنفسي بعد نصف ساعة اكتشفت اختفاء السيارة..

- «أنا لم أبعها»!!

إن متعة تحليل النص، وتعلم فنون التعبير، وفهم ما وراء الأسطر، والرموز التي يستخدمها الكاتب، لا تأتي أُكلها إلا عندما يعمل الطالب بمبادرة منه، وهذا ما نفعله في حلقة تحليلنا للنص، بحيث يكتشف الطالب نفسه ما وراءه، وكم أبدع الطلاب في ذلك.

إن ثمرات هذه المادة لا تحدد فقط بتعلم جماليات اللغة، ولا مهارة التحليل، ففي نهاية كل فصل يدور الحوار مع الطلاب عن نقاط الضعف والقوة في المادة نفسها، وما هو جاذب لهم فيها وما هو ممل، وما زال تعليق أول طالبة استأذنت في الكلام في نهاية أحد الفصول الدراسية، يعني الكثر، حيث قالت: «**الآن فقط تعرّفت على مجتمعي**»، تعني على هذا الكم من المفكرين والكتاب والآراء وسبل التعبير، مما لم تكن قد التفت إليه لا هي ولا زميلاتها من قبل، فيما قالت طالبة أخرى من نفس المجموعة الطليعة: «إنها المرة الأولى التي دخل الكتاب العربي فيها إلى مكتبتي»، وقالت ثالثة: «عشقت القراءة التي لم أكن أقاربها من قبل».

الخاتمة

يلعب البناء القصصي، والثيمة والسرد وحركة الانتقالات دوراً مهماً في استيعاب القارئ ومتابعته وتحقيق الاستفادة، بل والتخزين في اللاوعي، فالتعليم بالسرد يؤدي إلى عدة ثمرات، منها:

- ترسيخ المعلومة.
- إثارة حب المغامرة.
- غرس القيم والميول والاتجاهات.
- التعود على اليقظة والانتباه ودقة الفهم.
- تيقظ الذهن، واستحضار الحواس، ويبعد الملل.
- تنمية الثقة في النفس، المشاركة الوجدانية والتعاون.
- تعديل وتقويم بعض أنماط سلوك واتجاهات الطلاب الخاطئة.
- توفير جو من المتعة على العملية التعليمية وعلى البيئة التربوية.
- زيادة المشاركة الإيجابية للطلبة، خاصة مع طرح الأسئلة والتحليل.

• إثراء قدرة الطالب في التعامل مع المواقف المشابهة للقصص التي يسمعها.

• يُكسب الطالب المفردات اللغوية واللفظية وسبل التعبير، وينمي حسه الجمالي.

• يوفر فرصة رحبة للإبداع لدى الطلبة، والقدرة على التخيل، وتوسيع المدارك.

• يساهم في زيادة القدرة على التذكر والحفظ والتفكير والتحليل وغيرها من العمليات العقلية.

التوصيات

في نهاية هذه الورقة، توصيات للأساتذة والمعلمين، في وطننا العربي، لعلها تثري في المستقبل موضوع تعليم القيم بالسرد، وهي:

• دراسة نصوص الكتاب والأدباء الهادفة، القديمة والمعاصرة.

• توثيق بعض النصوص الأدبية الهادفة وترجمتها إلى أكثر من لغة.

• تخصيص دراسات وأبحاث تحت مسمى (نشر القيم بالسرد الأدبي).

• دراسة المرجعيات الفكرية والثقافية للأدباء المؤثرين وانتشار تأثيرهم في الأجيال الشبابية.

• إجراء دراسة مقارنة بين تعليم القيم والهوية الثقافية عن طريق السرد الأدبي وبين كتب الثقافة الإسلامية والتربية الوطنية.

• توفير ملتقيات ومؤتمرات أدبية نقدية تناقش موضوع القيم على وجه التخصيص، وتوفر فرصة للتعرف على حالات التأثر والتأثير بين ثلاثية الأدب والإعلام والمجتمع.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

• صحيح البخاري.

• صحيح مسلم.

١- ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دمشق، دار يعرب، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢- إبراهيم عبد الله غلوم، المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ع١٠٥، سبتمبر، ١٩٨٦م.

٣- التستري (ت٢٣٨هـ)، تفسير القرآن العظيم، القاهرة، مطبعة السعادة، ط١، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.

٤- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، بيروت، دار صادر، ب.ط، ١٣٧٦هـ.

٥) أنور محمد الشرقاوي، التعلم والشخصية، الكويت، مجلة عالم الفكر، المجلد ١٣، ١٩٨٢م.

٦- تزفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، ترجمة: عبد الرحمان مزيان، الجزائر، وزارة الثقافة، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٥م.

٧- جابر قميحة، المدخل إلى القيم الإسلامية في دراسات الحضارة الإسلامية، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ب.ط، ١٩٨٥م.

٨- الجاحظ، (ت٢٥٥هـ)، الحيوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٩- جان إيف تاديه، النقد الأدبي في القرن العشرين، ترجمة: منذر عياشي، حلب، دار الحاسوب للطباعة، ط١، ١٩٩٤م.

١٠- الجرجاني (ت٨١٦هـ)، التعريفات، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١١- جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، رقم ١٤٥، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٢- الجوهري (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م.

١٣- جيمس مونرو، فن بديع الزمان الهمذاني، ترجمة: أنيسة أبو النصر، مجلة فصول، خريف ١٩٩٣م.

١٤) حاتم الطائي، الديوان، بيروت، دار صادر، ب.ط، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٥- الحادرة، ديوان شعر الحادرة، إملاء عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي، تحقيق: ناصر الدين الأسد، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١٥، ج٢.

١٦- الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة، تحقيق: مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٧- الرازي (ت٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة لبنان، د.ط، ١٩٨٦م.

١٨- رافدة الحريري، التربية وحكايات الأطفال، عمان، دار الفكر، ٢٠٠٩م.

١٩- رولان بارت وآخرون، الأدب والواقع، ترجمة: عبد الجليل الأزدي ومحمد معتصم، الجزائر، منشورات الاختلاف، ط٢، ٢٠٠٣م.

٢٠- زهير بن أبي سلمى، الديوان، تحقيق: علي حسن فاعور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢١- سماهر عمر الأسطل، القيم التربوية المتضمنة في آيات النداء القرآني للمؤمنين وسبل توظيفها في التعليم المدرسي، غزة، الجامعة الإسلامية، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

٢٢- ضياء كعبي، السرد العربي القديم؛ الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٥م.

٢٣- الطبري (ت٣١٠هـ)، تهذيب الآثار، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ب.ت.

٢٤- العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، مصر، دار الكتب السلفية، ب.ت.

٢٥- عماد الزغلول، نظريات التعلم، عمان، دار الشروق، ط١، الإصدار الثاني، ٢٠١٠م.

٢٦- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، الرياض، مكتبة فهد الوطنية، ط١٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٧- الفيض الكاشاني (ت١٠٩١هـ)، تفسير الصافي، بيروت، منشورات الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٨- قاسم محمد محمود خزعلي، القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات التربوية والنفسية، ع٢٥، مج١، ذو القعدة ١٤٣٢هـ/ تشرين أول ٢٠١١م.

٢٩- المتلمس الضبعي، ديوان المتلمس الضبعي، رواية الأبرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٣٠- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٨٤م.

٣١- محمد بن حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، الرياض، بدون ناشر، ١٩٨٥م.

٣٢- محمد عابد الجابري، نظام القيم في الثقافة العربية، مجلة فكر ونقد، ع١٩، الدار البيضاء، دار النشر المغربية، مايو ١٩٩٩م.

٣٣- محمد عبد المعين خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م.

٣٤- محمد عمر، حاضر المصريين أو سر تأخرهم، مصر، مطبعة المقتطف، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م.

٣٥- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، القاهرة، دار الشروق، ط١١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٢/ ١٥٤. محمود محمد الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، القاهرة، دار المعارف، ط١، ١٩٧٩م.

٣٦- مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة

والفنــون والآداب، سلســلة عــالم المعرفــة، ع١٨٨، أغسطســن ١٩٨٨م.

٣٧- المتقــي (ت٩٧٥هـــ)، كنــز العــمال في ســنن الأقــوال والأفعــال، تحقيــق: إســحق الطيبــي، الأردن، بيــت الأفــكار الدوليــة، ط٢، ٢٠٠٥م.

٣٨- الموصــلي (ت٣٠٧هـــ)، مســند أبي يعــلى، تحقيــق: حســين ســليم أســد، دمشــق، دار المأمــون للــتراث، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٩- لوســيان غولدمــان، مقدمــات في سوســيولوجية الروايــة، ترجمــة: بــدر الديــن عــرودكي، اللاذقيــة، دار الحــوار، ط١، ١٩٩٣م.

٤٠- نــاصر الديــن الأســد، نظــرات في لغــة المصطلــح وفي مضمونــه، مــن أعــمال نــدوة (أزمــة القيــم ودور الأسرة في تطــور المجتمــع المعــاصر)، الــدورة الربيعيــة لســنة ٢٠٠١م، الربــاط، مطبوعــات أكاديميــة المملكــة المغربيــة، سلســلة (الــدورات)، مطبعــة المعــارف الجديــدة، ٢٠٠٢م.

٤١- النيســابوري، مجمــع الأمثــال، تحقيــق: محمــد محيــى الديــن عبــد الحميــد، بــيروت، دار المعرفــة، ب.ت.

٤٢- Howard Gardner, Frames of Mind: The Theory of Multiple Intelligences. NY. Basic Books. ١٩٨٣, ٢٠٠٤, ٢٠١١.

أهمية التدريب للمعلمين
المنهاج الوسائل والاستراتيجيات

د. نوال قاسم يوسف
أستاذة محاضرة ومشرفة في جامعة الجنان كلية التربية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى التقصي عن أهمية تدريب المعلم ليحسن من نفسه على عدة أصعدة إن كان من ناحية المنهج الذي يعرض الطلاب إليه، أو من ناحية الاستراتيجيات التي يستخدمها في سبيل عملية تعليمة أسهل، وأبسط، وأدق. تدوم لمدى الحياة، وكذلك من ناحية الوسائل التي يمكن أن يستخدمها لتكون فعالة وتحقق أهداف العملية التعليمية. من شأن كل تلك العناصر متعاونة أن تساهم في تطوير المعلم الذي بدوره ينقل هذا التطور والتقدم إلى طلابه. فتغدو العملية العلمية أكثر نفعا وأهمية.

Abstract

This research aims to explore the significance of teacher training in enhancing their skills across multiple aspects, including the curriculum presented to students, the strategies employed to facilitate a more effective, simplified, and precise learning process with lifelong impact, and the tools utilized to achieve educational objectives efficiently. The integration of these elements collectively contributes to the professional development of teachers, enabling them to transfer their growth and advancements to their students. Consequently, the educational process becomes more beneficial and impactful.

الكلمات المفتاحية

الاستراتيجيات التعليمية، تدريب المعلمين، تطوير المناهج، التكنولوجيا التربوية، جودة التعليم.

Keywords

Educational strategies, teacher training, curriculum development, educational technology, quality of education.

تمهيد

تدريب المعلم وفق التخصصات المطلوبة، أو تأهيله يتكوّن من عدة خطوات تقوم عليها العملية التعليمية وفق منهج مدروس، وتبدأ بتدرّج هرمي من داخل المادة، بداية من منهج إعداد المعلم من الثقافة العامة التخصصية والمهنية، وتختلف حسب المرحلة التي يُعد المعلم من أجلها وتنتهي باستراتيجيات وأساليب، ووسائل توصيل تلك المادّة، حيث تتفاوت تلك الاستراتيجيات والسبل، وتتنوع أساليبها، من اجل الوصول إلى طريقة سهلة وفعالة، لوضع تلك المفاهيم أمام ذهن المتلقي بسهولة ويسر.

والمعلّم ملزم بتحديد أسس الجودة التعليمية، أي أن عمله لا يأتي من اجتهاد أو فراغ بل يقوم على أسس متينة سابقة له هي الأسس الأخلاقية والدينية، فضلاً عن مزجها بالأسس التربوية المعتمدة.

والورش التدريبية المخططة، هدفها تعليم المعارف، والخبرات الجديدة للمعلمين، وتحسين أدائهم في العمل، وإكسابهم المهارات وتطويرها، مُعتمدًا في ذلك على طرائق واستراتيجيات جديدة ووسائل لتطبيقها.

أولا: أسس ومبادئ التدريب

يرتكز تدريب المعلم على أسس وعناصر توفّر له الأرضية المتينة للحصول على عملية تدريب واثقة ومتينة تجعله في موقع القوّة لينقل تلك الخبرة إلى الطلاب ومن هذه العناصر:

١. توفير بيئة مُناسبة يستطيع عن طريقها تطبيق ما يتعلمه من التدريب(١).

٢. الاستمرارية والشمول في ورش التدريب، بهدف زيادة الوعي لدى المعلمين، وتطويرهم لعملية تعليمية أرقى.

٣. اعتماد الاتجاهات الحديثة من الترميم إلى مسايرة التطوير العلمي، وتنويع أساليب و وسائل الورش التدريبية لتطوير المهارات للمعلمين(٢).

٤. المشاركة الفاعلة النشطة من قبل المعلمين وحسب احتياجاتهم وارتباطاتهم بسياسة الورش(٣).

(١). أنظر، الختاتنة، عصام عطاالله، (٢٠١١م) تحديد الاحتياجات التدريبية، عمان، الأردن، ص ٢٨٠.

(٢). أنظر، جري، خضير عباس، العلياوي، عباس دحام، (٢٠١٧م): الجودة في إعداد وتدريب المعلمين وتطويرهم، ط١، ص ٤٣.

(٣). أنظر، المصدر نفسه ص ٤٤.

٥. المُراعاة للفروق الفردية بين المعلمين من أجل تحقيق الاستفادة من عملية التدريب.

٦. تشجيع المتدربين على تبادل الخبرات والمعارف بينهم، لرفد العملية التعليمية بمعلومات جديدة من خلال الإتصال أثناء التدريب والاستراحة(٤).

ثانيا: أهداف التدريب

تُعد أهداف التدريب الغاية التي تسعى الإدارة التربوية والتعليمية إلى تحقيقها من خلال تصميم، وتخطيط أنشطة التدريب، وتحديد الأهداف قبل البدء بالعملية، ومن ثم تنفيذها للوصول إلى الهدف المنشود من إعداد المعلمين، وتزويدهم بقدر كبير من معلومات ومعارف، ومهارات قيادية وفنية، وتحسين أدائهم وإحداث تغير إيجابي في سلوك الطلبة من خلال التعامل الحسن معهم، وتحقيق الجودة التعليمية، ويمكن أن نوجز أهم الأهداف وهي:

١. زيادة فكرة الابتكار والإبداع للوصول إلى الاستكشاف في العملية التربوية والتعليمية.

٢. إدارة المعرفة عن طريق مواكبة، ومسايرة المستجدات الحديثة في حقول المعرفة التي لها صلة بالتعليم(٥).

٣. تطوير العلاقات التربوية، والإنسانية، والعلمية، وتبادل المعلومات بين الطلبة والمعلمين عن طريق تنمية مهارات الطلبة.

٤. قدرة المتدربين على حل المشكلات واتخاذ القرارات بصورة منطقية(٦).

٥. زيادة فاعلية ومهارة المتدرب، حيث يؤدي إلى الاستفادة من مهارات المتدربين، ويكسبهم مهارات جديدة(٧).

٦. زيادة المعلومات والمعارف التي تتعلق بمهنة التعليم فإنه يسمى هدف المعلومات، وتمكنهم من استثمار طاقاتهم وصقل مهاراتهم يطلق على هذا الجانب هدف المهارة، وعند إحداث تعديل في سلوك المعلمين، وتحسين وتطوير أساليبهم وأدائهم للوصول للأهداف المراد تحقيقها يطلق عليه هدف السلوك(٨).

---

(٤). الختاتنة، عصام عطالله، (٢٠١١م): تحديد الاحتياجات التدريبية، مصدر سابق، ص ٢٨٠.

(٥). العنزي، سعد علي محمد،(٢٠٠٠م): تقويم مدى فاعلية تدريب المشاركين في البرامج التدريبية، الهيئة العامة للتدريب والتأهيل، بغداد، العراق، ص ٦٧.

(٦). حميد، عبد الفتاح دياب،(٢٠٠٩م): دور التدريب في تطوير العمل الإداري، القاهرة، مصر، ص ٢٧.

(٧). الزيادي، عادل رمضان،(٢٠٠٩م): تدريب الموارد البشرية، مكتبة عين شمس، القاهرة، ٣٨.

(٨). جريّ، والعلياوي، الجودة في إعداد وتدريب المعلمين وتطويرهمً، مصدر سابق، ص ٤٢.

ثالثًا: أهمية تدريب المعلم

التركيز الأساس في تدريب المعلمين يتوجه بالدرجة الأولى الى إعدادهم قبل الخدمة، فإن البحوث، والدراسات، والتقارير المختلفة تشير إلى أن هذا الإعداد لم يعد كافيًا لتزويد المعلمين بجميع الوسائل، والمعلومات، والمهارات نظرًا للتطور المستمر، حيث تؤكد على أن تدريبهم في أثناء الخدمة يبقى الأولوية القصوى بهدف رفع كفاءتهم وتجديد خبراتهم، ومساعدتهم على مواجهة الظروف التعليمية المتحركة، والعمل على التكيف مع جميع المستجدات، وكجزء من التربية المستمرة التي يفترض أن تمتد طيلة فترة ممارسة المهنة. ولهذا أصبح التدريب المستمر للمعلمين في أثناء الخدمة، يُعتبر في بلدان كثيرة كنظام كلي متكامل مع إعدادهم قبل الخدمة.

تطوير المناهج الدراسية أصبحت عملية ضرورية لتحسين العملية التعليمية، فكان لابد من تقويم المناهج الحالية، والاستفادة من النتائج في إعادة بنائه، أو تحسين بعض جوانبه، ويجب أن يراعى في ذلك عدة أمور فيما يتعلق بارتباط محتوى المنهج بالمستويات وترابطه، وتكامله، وارتباطه بالبيئة، والمعايير التربوية، حيث يركز فيها على العائد والناتج من العملية التعليمية. فإن مفهوم التطوير يرتبط بالمنهج ذاته «إذ إنّ التطوير يشمل جميع عناصره من الأهداف إلى التقويم»(٩).

وعليه فإن التطوير هو العملية الشاملة لأنها تشمل «جميع عوامل وجوانب التي تترتبط وتتصل بالمنهج وتتأثر وتؤثر فيه فإنها تتناول الخبرات الدراسية وأهداف المنهج سواء منها ما يتصل بالكتب والمقررات الدراسية، والأنشطة كالتجارب، والرحلات، والندوات، وورش العمل وغيرها. وأيضًا تتناول طرائق التدريس والادارة المدرسية والمكتبات والوسائل ووسائل التقويم المتبعة ومدى دقتها ومناسبتها للاهداف المحددة «(١٠). من هنا لابدّ من الإنتقال للمنهاج لمعرفة مدى أهميته وأهمية تأهيل وتدريب المعلم لإعداد منهجٍ متوافقٍ مع متطلبات العملية التعلمية.

فما هو المنهاج لغةً واصطلاحًا؟

- **نهج**: من نهج الأمر أي أبانه وأوضحه، ونهج الطريق أي سلكه ونهج أي سار على مثاله ومنواله، واقتدى به، ونهج ونهوجًا أي الطريق الواضح ونهج الثوب أي أخلقه(١١).

- **المنهاج اصطلاحًا**: هي المواد الدراسة التي تتناول مجموع المعلومات، والحقائق، والمفاهيم

(٩). الدمرداش، سرحان ومنير كامل، (١٩٧٣م): المناهج، دار العلوم للطباعة، القاهرة، ط٣، ص ٢١٣.

(١٠). ـ رمزي، عبدالقادر،(٢٠٠٥م): التفاعل الصفي، دار حنين، الكويت، ط١، ص ٢٠٣.

(١١). مجموعة من المؤلفين:(١٩٦٧م): المنجد الأبجدي، دار المشرق، بيروت، ص ١٠٩٥.

والأفكار، التي يدرسها المعلمون في أي مجال من مجالات المعرفة على مر السنوت الدراسية في المراحل التعليمية المختلفة، أو هو المقررات الدراسية الموضوعة على شكل مواد دراسية يطلب من المتعلمين دراستها(١٢).

رابعًا: دور المعلم في تطوير المنهاج

للمعلم الدور المهم في إصلاح التعليم، والمجتمع، ونظرًا لأهميته ارتقى الاهتمام بتحقيق الأهداف الاستراتيجية للدول، وتفوق الإمكانات المادية والبشرية، التي يتوقف عليها نجاح التعليم وفاعليته. إن تحقيق الأهداف في المشاركة الاجتماعية عن طريق تعاونه مع طلابه في الفصل، وفي مجالات الأنشطة المختلفة، وهو القدوة التي يُحتذى بها في تحقيق المصلحة العامة للأفراد، وإعداده وتطويره من القضايا الأساسية، التي تتصدى لها البحوث التربوية في كثير من الدول على مدى الزمان، وله تأثير على فعالية عمله عن طريق إكتسابه معارف وخبرات واتجاهات ومهارات تتصل بعملهِ التربوي، ونجاح المعلم في عمله يتوقف على نوع الإعداد المهني الذي يتلقاه في تطوير العملية التربوية وتنمية المجتمعات(١٣).

تنظيم المناهج على شكل موضوعات تتجمع حولها الحقائق المطلوب دراستها في المادة، حيث تشتمل كل وحدة على عدد من الحقائق يرتبط بعضها ببعض حول الموضوع، ويسمى ذلك الوحدات القائمة على المواد الدراسية. أما الوحدات القائمة على خبرة المعلم، حيث يقوم بالتعاون مع طلابه بتنظيم مجموعة من الخبرات حول إحدى احتياجات الطلاب أو المجتمع الذي يعيشون فيه، ويهتم هذا المنهج بأساليب النشاط العقلي، والتفكير(١٤). ويشرح المعلومات، التي يتضمنها الكتاب الدراسي وحث الطلاب على استيعابها لتحقيق الأهداف التربوية .

يؤدي المعلمون دورًا حيويًا في عملية تغيير المناهج وفق الواقع ويحدث تصميمها ضمن الوزارة والمؤسسات المتخصصة حصرًا، بمشاركة ضئيلة للمعلمين على الرغم من أنه قد يُعهد إليهم أحيانًا العمل المؤسسات التطويرية، أو قد يشكلون جزءًا من فرق ولجان التطوير، وعلى الرغم من أن المعلمين يرغبون عمومًا في اعتبارهم ناقلين أكثر من كونهم مصممين، فإن اسهامهم كمنفذين، يُعد أمرًا حيويًا في نجاح التغيير، ومع انتشار اللامركزية في المدارس أصبح التطوير انطلاقًا من المدرسة مفهومًا يكتسب قبولاً في العديد من البلدان.

وكلما ارتبطت بالمدرسة ازداد تعلق الأمر بالهيئة التعليمية، فعلى صعيد الصف يعنى بوضع القرار عند انتقائهم للكتب المنهجية، والمواد التعليمية الأخرى، وتطبيق النظريات عن طريق إتاحة الفرصة أمامهم، للإسهام في كتابة وتصميم الكتب، والأنشطة، ولكي يصبح

(١٢). المبروك، فرج، (٢٠١٦):المناهج الدراسية الحديثة، دار حميثرى، ص ١٤.

(١٣).عامر، طارق،٢٠١٩، دراسات في إعداد المعلم، دار اليازوري، ص٩.

(١٤). عبد الحليم، شادي، (٢٠١٦ م): الشامل في المناهج وطرائق التعليم والتعلم الحديثة، دار ديبونو، عمان، ص١٦٨.

المعلمون مساهمين فاعلين في عملية التغيير، أو منفذين له، فإن الإعداد المناسب لهم أمرًا ضروريًا سواء كان ذلك على صعيد برامج التأهيل، أو التدريب أثناء الخدمة، وينبغي أن يشمل كافة مجالات طرائق التدريس والتقويم(١٥).

فمن الضروري أن يمتلك المعلم مجموعة متنوعة من المهارات، وأن يحرص على مواكبة التطورات المستمرة في مجالات معرفته، وأدائه، وكفاءته، لا سيما في الميادين التالية:

١. مواكبة المناهج الحديثة:

المعلم الصالح الذي نطمح إليه لتحديث التعليم والرفع من مستوى العملية التعليمية، هو المعلم الذي يتمتع بالكفاءة، والذي يصنع المنهج وينتج الوسيلة ويخلق الطالب المبدع، والأساليب الحديثة في التعليم، والتقويم، والإفادة من الإمكانيات المتاحة، وتطوير المحتوى الدراسي، واستخدام الأنشطة بأنواعها لخدمة التعليم عبر البحث عن الأساليب الحديثة والقادرة على استخدام الأساليب المبتكرة في الشرح والحوار(١٦).

فضلاً عن ظروف مسايرته للتطور السريع في المفاهيم التربوية، والتعليمية، وإحاطته بذلك حتى لا يستمروا على هامش التربية والتعليم، وما يزيد أهمية ذلك على وجه الخصوص القيام بعملية تطوير المناهج، والكتب المدرسية، والتزود بالخبرات، والقدرات، والمهارات، حيث يتم التعامل معها حسب المواقف التعليمية. إن تحسين نوعية التربية تقتضي الاهتمام بتكوين المعلمين، وتأهيلهم على أسس منهجية وتربوية ونفسية، لأن ذلك يُعد الضمان الأكيد لعملية التحسين، والجودة للعملية التعليمية، فهم المحور الأساس للتطوير والتحديث، والإبداع، مما يجب عليهم التمكن من كفايات التعليم اللازمة للمهنة، ولابد من مراجعة عملية تكوينهم بصورة مستمرة، ومما يستدعي معرفة وتحديد كفايات التدريب(١٧).

١. ملاءمة المضمون مع مستويات الطلاب:

التعليم بطريقة معينة يجعل تصميم المنهج المُقرَر مسألة مواءمة، إذ يتطلب دراسة دقيقة لبيئات التعليم، والمضمون، والخبرة مع الإحتفاظ بهذه العناصر المتوازنة، مع فهم من هم الطلبة وما الذي ينبغي أن يقدروا على فعله، وماهي الأنشطة التي تساعدهم على التعلم. إن مواءمة هذه الأبحاث هي عملية ديناميكية وسارية المفعول، خلال التعليم ولكنها تتيسر أكثر بمرور الزمن، إذا ما صمم المُقرْر ليأخذ هذه الأبعاد بالحسبان منذ البداية.

(١٥).الربيعي، محود، (٢٠١١م): مناهج التربية الرياضية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٦٥ .

(١٦).المبروك، فرج، المناهج الدراسية الحديثة، دار حميثرا، (٢٠١٦): ص ٢٧ .

(١٧).الجماعي، عبد الوهاب أحمد،(٢٠١٠م): كفايات تكوين معلمي المرحلة الثانوية، دار يافا، عمان، ص ٣٣.

إن تنفيذ البرامج التدريبية للمعلمين في خصوص الملائمة، تتم ضمن حماية التخطيط وأخذ عملية التدريب على محمل الجد عن طريق دمج الإطار النظري، والإدارة الصفية، وطرق التعليم بحضور حصص لدى المعلمين، وتفعيل النموذج بتأمل، وتوزيع التدريب على جميع فئات المؤسسة التعليمية(١٨).

٢. جودة المحتوى:

الاهتمام بجودة المناهج ومحتوياتها، ووضوح غايتها من أهدافها وإمكانية تحقيقها، وواقعتيها في تلبية رغبات المتعلمين إلى جانب الاهتمام المماثل بجودة طرق واستراتيجيات التدريب، ووسائل وأساليب التقويم التي تكون أولوياتها دائمة العمل على تحسين التعليم المستمر في التعلم، والتعليم الموجه إلى تحقيق التحسن في قدرات، ومهارات الطلاب على نحو متواصل بجودة المنهج، تعني توفير خصائص معينة في المنهاج المدرسي تنعكس تلك الخصائص عليه مما يعني وجود تخطيط مُتقن يستند إلى معايير الجودة، ويتبع تنفيذ ذلك المخطط بشكل دقيق عبر عوامل، كالارتباط الوثيق بين المناهج ومجالات العمل، وإنتاج المعرفة وما يتطلب من تكوين العقلية القادرة على مواكبة التطورات الحديثة(١٩).

التكامل بين المواد الدراسية من أجل جودة التعليم، وإتاحة الفرص المهمة لاكتساب المهارات الحديثة، ومواكبة العصر السريع للتغير، والعمل على إرساء ثقافة مدرسية إيجابية والتأكيد على معرفة المعلمين لمحتوى المقرر لأن قصور ذلك يعوق عملية التعليم(٢٠).

كذلك يتميز المحتوى بالاتساق بقصد توسيع مستوياته، وأهدافه المحلية والوطنية، ومساعدة المتعلمين على التفكير الصحيح في هذه الأهداف، والتركيز على عمق مستويات المعرفية الموجودة في المادة التعليمية، بحيث ترفد المواد الملائمة لمستوى الطلاب وخلفيتهم التعليمية، فضلاً عن تسلسل المادة على نحو يعزز التعليم(٢١).

والخطوة الأولى الهامة في التصميم هي فحص مفاهيم المعلم لبيئتهِ، وتتضمن الأمثلة كيفية رؤية المعلمين له في القسم المختص، وفي مجال التخصص، وللمستوى الذي يقدم فيه ومتطلبات المقررات التالية، التي يتوقع مُقررهم إعداد الطلبة لها، وبالإضافة إلى ذلك فإن بعضها تخص المعلم بصورة فريدة، وبعضها يتوقع أن يعكس أهداف المنهاج، ومتطلبات اعتماد المواد أو العوامل الأخرى ليس له سوى القليل من السيطرة عليها.

(١٨).النسور، زياد عبد الكريم، (٢٠٢١م): المعلم الذي نريد في الألفية الثالثة، أكاديميون للنشر، ص ١٩٢.

(١٩).حسن، شوقي محمود، (٢٠٠٩م) تطوير المناهج، المجموعة العربية للنشر، ١٢٥ .

(٢٠).مجموعة مؤلفين، التكامل بين المواد الدراسية، المركز العربي للبحوث العربية، العدد ٧، ص ١٢٥.

(٢١).ماثيو، فوغيت، وآخرون، (٢٠١٧م): اصدارات موهبة التجميع العنقودي المدرسي الشامل والتدريس المتمايز، العبيكان، ص ٥٩.

إن مفاهيم المعلمين لهذه العوامل البيئية تشكل معيارًا للمُقرّر، وربما يستغرق اختيار مضمون ملائم لتعريف الطلبة بهيكل المعرفة المحددة زمنًا طويلاً وجهدًا كبيرًا، لا يُحدد المضمون بهذه المعايير وحدها، إذ للمعلمين اهتمامات وخبرات خاصة بهم، تؤثر بصورة مباشرة على ما يرونه أكثر أهمية للطلبة كي يتعلموه، وعلى كيفية تنظيم المادة، وعلى المدة الأمثل التي يستطيعون إحتواءها في تعليمهم، وأنماط هذه الأمثلة ويتخذون قرارات بشأن كيفية العرض على خبرتهم التعليمية السابقة(٢٢).

٣. ابتداع أساليب جديدة:

إن أهم أهداف التعليم المدرسي تنشئة أجيال قادرة على التفكير السليم، واهتمام المؤسسات التربوية بالعمليات العقلية وتطويرها، وتطبيقها في الحياة العملية وتشجيعهم على الإبداع والإبتكار. إن ابتداع أساليب حديثة يمكن أن تسهم في إكساب النشء مهارات فكرية غير تقليدية، بطريقة علمية ومباشرة ووضع برامج تعليم التفكير(٢٣).

إن تنوع الأساليب لها أهمية فائقة في العملية التعليمية، ولتعددها العامل المشوق يمكن للمعلم أن يختار ما يناسب واقع الحال والظروف المحيطة به، كالعاطفية والترغيب والترهيب والعبرة المؤثرة، والموعظة المجردة والأسلوب الأحادي أو الجماعي، والتغذية الراجعة (٢٤).

أهمية تدريب المعلم على الاستراتيجيات:

تدريب المعلم على تطبيق استراتيجيات حديثة والتنويع في استخدامها أمرٌ حتميّ، لمواجهة التطورات، والنهوض بالمعلم لمواجهة الإنفجار المعرفي المتجدد، وتغير البيئية، وتدريبه وتركيزه على البحوث التربوية وجعلها أكثر ثراءً»(٢٥) ومن أهداف تدريب المعلم على الاستراتيجيات رفع مستوى الأداء التعليمي بما يلائم كل مرحلة، ورفع كفاية التعليم، والإلمام بالاستراتيجيات المستخدمة، ومشكلات النظام، وتنمية القدرة على تحمل المسؤولية الذاتية.

وهناك عدة اتجاهات يجب مراعاتها في اختيار الاستراتيجيات ومنها:

أ. عناصر المدخلات في النظام التعليمي والأنشطة، والتفاعلات، والمخرجات من النتائج، والتغذية الراجعة.

(٢٢).وولف، دونالد، المواءمة من أجل التعلم، ترجمة، إبراهيم شهابي، مكتبة العبيكان، الرياض، ص ٨٠.

(٢٣).العبيدي، باسم محمود. العبيدي، آلاء محمد. محمد ولي، محمد جاسم، الإبداع والتفكير الابتكاري وتنميته في التربية والتعليم، ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع، ص ١٢ .

(٢٤).الحازمي، أصول التربية الإسلامية، مصدر سابق، ٣٧٥-٣٧٦.

(٢٥).شويطر، عيسى محمد نزال، (٢٠٠٩م): إعداد وتدريب المعلمين، دار ابن الجوزي، عمان، ط١، ص ١١٤.

ب. تدريب تمكين والأداء لامتلاكه المعارف والقدرات، والمهارات بشكل يجعله قادرًا على ممارسة مهامه.

ج. التركيز على المتعلم لإشباع حاجاته الانفعالية، والعقلية.

د. الاتجاه البرجماتي (النفعي) وهو تزويد المعلم، والمتعلم بالثقافة العامة، إضافة إلى المهارات التعليمية[٢٦].

أهمية تدريب المعلمين في مجال الوسائل المستخدمة

تكنولوجيا التعليم لها أهمية تربوية، إذ أصبح التدريب على الوسائل المختلفة ضرورة قصوى لإعداد المعلمين لهذا العلم المتجدد، والمتغير، ومن أبرز الموضوعات التي يهتم بها التعليم، إحداث تفاعل بين المحتوى والمعلم، وبين المعلم والطالب، وتعديل المنظومة التعليمية بصورة خاصة عن طريق قدرة المعلم على التفاعل مع التكنولوجيا، والمنصات المختلفة التي يمكن ان تساعد على فهم المحتوى.

هذا، بالإضافة إلى اللوح التفاعلي وما يمكن ان يحمله من صور وإيحاءات تجذب الطالب وتسهل فهمه للمادة. وهناك عوامل لا يمكن الاستغناء عنها للوصول إلى جودة التعليم ومنها، رفد المدارس (تكنولوجيًا) وتوفير القوة التعليمية عالية الكفاءة، وإدراج تكنولوجيا التعليم ضمن المحتوى، وتحقيق المساواة لجميع الطلاب[٢٧].

خلاصة البحث:

يتأثّر المتعلم بمستوى تلقي المعلم التدريبات اللازمة والتي من شأنها أن تكون مواكبة للحداثة والتطور وتساهم في تطوره، كما تعمل الاستراتيجيات والوسائل المختلفة بالإضافة إلى مواكبة الحداثة في المناهج من ناحية مضمونها، وملاءمتها متطلبات الفئات العمرية المختلفة على النهوض بالعملية التعليمية، وتجعل الطالب محورها وأساسها لأنها انطلقت من تعلميه ما يحب ويستفيد منه وبالطريقة التي تلائم عقله. من هنا كان تدريب وتطوير المعلم من نواحٍ عدّة السبيل الوحيد للنهوض بالمؤسسات التربوية والعملية التعليمية.

(٢٦) المصدر نفسه، ص١١٥.

(٢٧). سلام، محمد توفيق وآخرون، (٢٠٠٢م): الاتجاهات في تدريب المعلمين أثناء الخدمة/ المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية شعبة بحوث المعلومات التربوية، جمهورية مصر، ص ٣٠-٣١.

المصادر والمراجع

١- جري، خضير عباس، العلياوي، عباس دحام، (٢٠١٧م): الجودة في إعداد وتدريب المعلمين وتطويرهم، ط١.

٢- الجماعي، عبد الوهاب أحمد، (٢٠١٠م): كفايات تكوين معلمي المرحلة الثانوية، دار يافا، عمان.

٣- حسن، شوقي محمود، (٢٠٠٩م): تطوير المناهج، المجموعة العربية للنشر.

٤- حميد، عبد الفتاح دياب، (٢٠٠٩م): دور التدريب في تطوير العمل الإداري، القاهرة، مصر.

٥- الختاتنة، عصام عطاالله، (٢٠١١م): تحديد الاحتياجات التدريبية، عمان، الأردن.

٦- الدمرداش، سرحان ومنير كامل، (١٩٧٣م): المناهج، دار العلوم للطباعة، القاهرة، ط٣.

٧- الربيعي، محود، (٢٠١١م): مناهج التربية الرياضية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨- رمزي، عبدالقادر، (٢٠٠٥م): التفاعل الصفي، دار حنين، الكويت، ط١.

٩- الزيادي، عادل رمضان، (٢٠٠٩م): تدريب الموارد البشرية، مكتبة عين شمس، القاهرة.

١٠- سلام، محمد توفيق، وآخرون، (٢٠٠٢م): الاتجاهات في تدريب المعلمين أثناء الخدمة، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية شعبة بحوث المعلومات التربوية، جمهورية مصر.

١١- شويطر، عيسى محمد نزال، (٢٠٠٩م): إعداد وتدريب المعلمين، دار ابن الجوزي، عمان، ط١.

١٢- عامر، طارق،(٢٠١٩م): دراسات في إعداد المعلم، دار اليازوري.

١٣- عبد الحليم، شادي، (٢٠١٦ م): الشامل في المناهج وطرائق التعليم والتعلم الحديثة، دار ديبونو، عمان.

١٤- العبيدي، باسم محمود/ العبيدي، آلاء محمد/ محمد ولي/ محمد جاسم/ الإبداع والتفكير الابتكاري وتنميته في التربية والتعليم، ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥- العنزي، سعد علي محمد، (٢٠٠٠م): تقويم مدى فاعلية تدريب المشاركين في البرامج التدريبية، الهيئة العامة للتدريب والتأهيل، بغداد، العراق.

١٦- المبروك، فرج، (٢٠١٦م): المناهج الدراسية الحديثة، دار حميثرا.

١٧- ماثيو، فوغيت، وآخرون، (٢٠١٧م): إصدارات موهبة التجميع العنقودي المدرسي الشامل والتدريس المتمايز، العبيكان.

١٨- مجموعة من المؤلفين، (١٩٦٧م): المنجد الأبجدي، دار المشرق، بيروت.

١٩- مجموعة مؤلفين، (٢٠٢٢ه): التكامل بين المواد الدراسية، المركز العربي للبحوث العربية، العدد ٧، ص ١٢٥.

٢٠- النسور، زياد عبد الكريم، (٢٠٢١م): المعلم الذي نريد في الألفية الثالثة، أكاديميون للنشر.

٢١- وولف، دونالد، (٢٠٠٨م): المواءمة من أجل التعلم، ترجمة، إبراهيم شهابي، مكتبة العبيكان، الرياض.

ما بين البنية اللغويّة والاتّجاهات الأسلوبيّة، نظرة استقرائيّة

د. يوسف الجاجية – الجامعة اللبنانيَّة

حورية علي عبد الرحمن – طالبة دكتوراه في جامعة الجنان

الملخّص

تعتمد وظيفة اللغة الأساسيّة على نقل الأفكار من شخص إلى آخر، ولو اختلفت أساليب نقل الأفكار، تبقى اللغة الوسيلة الأسهل والأفضل في هذا المجال، ولو اختلفت الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة، وتباينت الألسنة واللهجات، فاللغة أداة اتّصال لكلّ قوم، يتواصل بها النّاس مع بعضهم؛ لذا يعدّ التّواصل اللغويّ أفضل أشكال التّواصل، ثمّ إنّ البنية اللغويّة لأيّ نصّ، هي فكرة شرح لغة هذا النّصّ بمفرداتها ومعناها معًا، وذلك وفق سياقها في النّصّ.

لكن، حتّى هذا المعنى ليس ثابتًا على الدّوام، فالزّمن يتغيّر، والمفاهيم التّحليليّة تتبدّل، وبالتّالي تتغيّر البنية اللغويّة في نصّ ما؛ لتأتي بمعانٍ جديدة لم تكن معهودة من قبل في الأذهان.

إذًا، ينبغي أن نحدّد معنى التّراكيب اللغويّة أوّلًا، ثمّ ندرس بنية اللغة، فما من بناء بدون أساس ثابت، وما بين الصّوت واللغة تكامل لا يمكن فصله، فلكلّ مدلول دالّ، ما من دالّ بدون المدلول، وما من مدلول بدون الدّالّ، والمعنى يُبنى على أساسيّات وجود هذا الدّالّ، المتغيّر والمتطوّر بمرور الزّمان.

الكلمات المفتاحية:

التّواصل اللغويّ، البنية اللغويّة، التّراكيب اللغويّة، الأسلوبيّة.

Abstract

The primary function of language is to convey ideas from one person to another. Despite the diversity in methods of communication, language remains the easiest and most effective medium for this purpose, regardless of temporal and spatial variations or differences in tongues and dialects. Language serves as a communication tool for every

nation, enabling people to interact with one another. Thus, linguistic communication is considered the most effective form of interaction. Furthermore, the linguistic structure of any text involves explaining its language through its vocabulary and meaning within its given context.

However, this meaning is not fixed indefinitely. As time changes, analytical concepts evolve, leading to modifications in the linguistic structure of a text, introducing new meanings that were previously unfamiliar.

Therefore, it is essential to first define linguistic structures before analyzing language construction. Just as no building stands without a solid foundation, there exists an inseparable relationship between sound and language. Every meaning has a signifier, and there is no signifier without a signified, nor a signified without a signifier. Meaning is built upon the fundamental existence of this signifier, which continuously changes and evolves over time.

Keywords:

Linguistic communication, linguistic structure, linguistic constructions, Stylistics.

أوّلًا: التّعريف بالموضوع

تتمحور الدّراسة في دراسة البنية اللغويّة عمومًا، وفق تعريفاتها اللغويّة العربيّة، وتعريفاتها الإجرائيّة عند الباحثين العرب والأجانب، فلا يوجد بناء بدون أساس ثابت، وثابت اللغة هو الصوت، والصوت هو أساس اللغة، ويتكوّن من الصوائت والصوامت، فلا صائت بدون صامت ولا صامت بدون صائت، كلاهما مكمل للآخر.

ثانيًا: أهمّيّة الموضوع

تتجلّى أهمّيّة الموضوع في كونه يتناول دراسة البنية اللغويّة، ويتّخذ من المقاربة الأسلوبيّة منهجًا يهدف إلى بيان أهمّ القضايا اللغويّة، في محاولة لتقديم دراسة لغويّة معاصرة تستعين بكل ما وُجد في حقل الدراسة اللغويّة، وإبراز فعاليّة المنهج الأسلوبيّ عمومًا في الدّراسات اللغويّة.

ثالثًا: إشكاليّات الموضوع

- هل المعنى في نصّ ما، يبقى ثابتًا بمرور الزّمان، أو أنّه يتأثّر بتطور البنى اللغويّة؟
- كيف تتجلّى العلاقة الجدليّة ما بين اللغة والصّوت؟ وما هي مكوّنات الصّوت؟
- لماذا تختلف آراء الباحثين والمفكّرين في تعريفهم البنى اللغويّة وتحديدهم لها؟
- ما هي العلاقة ما بين الأسلوبيّة واتّجاهاتها، والبنى اللغويّة؟

رابعًا: فرضيّات الموضوع

- الكاتب يتوجّه إلى نفسه وإلى الآخرين، بمعانٍ واضحة ثابتة، بالتّالي من الصّعب أن يتغيّر المعنى بمرور الزّمان.

- اللغة هي الصّوت، وما من مكوّنات خاصّة بالصّوت، فهو أحرف وكلمات نهدف بها إلى التّواصل، مثلما هي وظيفة اللغة.

- ليست البنى اللغويّة من مصطلحات الأقدمين في اللغة العربيّة؛ لذا تختلف آراء الباحثين والمفكّرين في تعريفهم البنى اللغويّة وتحديدهم لها.

- ما بين الأسلوبيّة واتّجاهاتها، والبنى اللغويّة، علاقة مترابطة وثيقة، فكلاهما يصبّ في الاتّجاه نفسه.

خامسًا: المنهج المعتمد

نعتمد في هذا البحث المنهج الاستقرائيّ؛ لدراسة المتغيّرات الإجرائيّة في نظرات العلماء اللغويين وتعريفاتهم، كذلك لتحديد مكوّنات البنية اللغويّة، والأسلوبيّة، ومحاولة توضيح كلّ منهما، ثمّ بيان العلاقة القائمة بينهما.

***

البحث

أوّلًا: تعريف البنية اللغويّة لغةً واصطلاحًا

من أهمّ وظائف اللغة نقل الأفكار من شخص إلى آخر. هناك طرق مختلفة لتوصيل هذه الفكرة، لكنّ اللغة هي الوسيلة الوحيدة الّتي يمكنها نقل هذه الفكرة، فمن الأسهل والأسرع والأفضل نقل المحتوى، بغضّ النظر عن الوقت والمكان والفكرة. لأنّ اللغة هي أداة اتّصال، يستطيع المؤلف من خلالها إخبار مَن حوله بما يريد توصيله، فلا يخفى على أحد أنّ التواصل اللغويّ أَكثر انتشارًا وتعميمًا من أشكال الاتّصال الأخرى، لأنّه مصدر

الأخبار، وبالتالي البنية اللغويّة لأيّ نصّ هي فكرة شرح معنى الكلمات مع المحتوى، أو شرح اللغة بمفرداتها ومعناها من خلال سياقها في النصّ.

إذ لا يمكن للأفكار التعبير عن أيّ شيء إلّا من خلال اللغة، تمامًا كما أنّ اللغة هي نظام من الرموز المستخدمة للتواصل. يتغيّر المعنى مع كلّ جانب من جوانب تطوّر اللغة، فاللغة ليست ثابتة بأيّ حال من الأحوال، بل هي سرعة الحركة. يتغيّر المعنى وفقًا لجوانب مختلفة من تطوّر اللغة. اللغة ليست ثابتة بأيّ شكل من الأشكال، فقط سرعة الحركة والتقدير تختلف بمرور الوقت.

من أجل فهم معاني الكلمات أو الأصوات، يجب أن نعود بهذه اللغة إلى القواميس الّتي تتبع نظام الترتيب الموضوعيّ الّذي يمثّل نوعًا مهمًا من القواميس الّتي تتعامل مع الكلمات المدوّنة بالاستماع إلى العرب، إلّا أنها تختلف من وقت إلى آخر، ولكي نفهم معنى الكلمات أو الأصوات في هذه اللغة، يجب أن نعود إلى القواميس الّتي تتبع نظام التقليب الموضوعيّ الّذي يمثل نوعًا مهمًا من المعاجم الّتي تتعامل مع الكلمات الّتي يتمّ تشكيلها وكتابتها من خلال سماع قصص عن العرب لم يكتشفها أصحابها إلّا إذا استعانوا بالمعاني التفسيريّة من القرآن والشعر الجاهليّ، ولكي نفهم أيّ معنى، يجب أن نعود أوّلًا إلى هذه القواميس الّتي هي معرفتنا قبل كلّ شيء، من الدعامة الأساسيّة للّغة في المعرفة الأساسيّة الأوّليّة.

لذلك نلجأ إلى تحديد معنى التراكيب اللغويّة، وندرس بنية اللغة، فلا يوجد بناء بدون أساس ثابت، وثابت اللغة هو الصوت، والصوت هو أساس اللغة، ويتكوّن من الصوائت والصوامت، فلا صائت بدون صامت ولا صامت بدون صائت، كلاهما مكمل للآخر، ولكلّ مدلول دالّ، فلا دالّ بدون المدلول، ولا مدلول بدون الدالّ، لكنّنا نجد دائمًا أنّ المعنى مبنيّ على أساسيّات وجود الدالّ، ولمعرفة المزيد عن البنية يجب علينا أن نعرفها لغةً واصطلاحًا.

أ-البنية لغةً

ورد مفهوم مصطلح البنية في معجم لسان العرب، حيث جاء فيه «البنى نقيض الهدم، بنى البناء بنيا وبناء وبنى مقصور وبنيانًا وبنيَّة وبناية وابتناه وبناه[1]، « فـ(بنيَّة) هي كلمة مشتقّة من الفعل الثُّلاثيّ (بني)، وتعني عمليَّة البناء. وبناءً على ذلك، تقومُ البنية بدور الجمع والتَّأليف بين العناصر بغضّ النظر عن نوعها.

أمّا **زكريَّا إبراهيم[2]**، فقد جاء في كتابه مُشكلة البنية «بأنَّ كلمة (Structure) مُشتقَّةٌ

١ - ابن منظور، (١٤١٠ه-١٩٩٠م)، لسان العرب، ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (ب، ن، ي)، ج١، ص٣٦٥.

٢ - زكريا إبراهيم (٢٤ يوليو ١٩٢٤- ٢٧ أبريل ١٩٧٦) مفكّر وكاتب مصريّ. وُلد الدكتور زكريا إبراهيم في مدينة القاهرة في ٢٤ يوليو ١٩٢٤، حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون، عمل كأستاذ للفلسفة في جامعة القاهرة، ألّف أكثر من ٣٥ كتابًا في مجالات الفلسفة والتربية، وعلم النفس وعلم الاجتماع، والسير والتراجم، ومن أشهر مؤلّفاته سلسلة (مشكلات

مـن الفعـل اللاّتينـي (Strucre) بمعنـى (يبنـي) أو (يشـيد) وحـين يكـون للـشّيء (بنيـة) في اللغـات الأوروبيَّـة فـإنَّ معنـى هـذا – أوّلاً وقبـل كلّ شيءٍ أنَّـهُ (ليـس بـشيءٍ غـير منتظـم) و (عديـم الشـكل) (Amorphe) بـل هـو موضـوع مُنتظـم لـه صُورتـه الخاصَّـة ووحدتـه الذَّاتيَّـة٣».

كـما تـمَّ اسـتخدام مُصطلـحِ «البنيـة» في القـرآن الكريـم في سـياقات مُختلفـة، مـن ذلـك قولـه تعـالى: ﴿كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾٤، وقولـه تعـالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾٥.

ب- البنية اصطلاحًا:

أمّـا مـن النَّاحيـة الاصطلاحيَّـة، فلهـا مفاهيـم متعـدّدة، تنوَّعـت باختـلاف وجهـات النّظـر، منهـا مـا ذُكـر عنـد **أندريـه لالانـد** (Andre lalanade)٦ الَّـذي عرَّفهـا بأنّهـا «نسـق أو كُلٌّ مؤلّـف مـن الظَّواهـر المُتضافـرة، بحيـث تكـون كُلُّ ظاهـرةٍ فيـه تابعـةً للظَّاهـرة الأُخـرى، ولا يُمكـن أن تكـون مـا هـي عليـه إلَّا في علاقتهـا بتلـك الظَّواهـر»٧.

ويرى **صلاح فضل** أنّ «البنية تصوُّر ذهنيٌّ أكثر ممَّا هو علاقات محسوسة مادِّيَّة»٨.

ولقـد عرَّفهـا **جـون لِيُونـز** (John Lyons) بأنَّهـا «نظـم مـن العلاقـات أو مجموعـةً مـن الأنظمـة يرتبـط بعضهـا وحيـث إنَّ العنـاصر أصـوات وعلاقـات، ليـس لهـا أيّ قيمـة باسـتغلال عـن علاقـة التّكافُـؤ والمُقابلـةُ الَّتـي تربطهـا»٩.

أمَّـا **جـان بياجـه**١٠ (Jean Piaget) فيحـاول إعطـاء تعريـف شـامل للبنـى، حيـث يقـولُ: «ومـن البديهـيّ إذًا أنَّـه إذا حاولنـا تحديـد البنيويَّـة بالتَّقابـل مـع مواقـف أُخـرى، وبالتّشـديد عـلى تلـك الَّتـي أمكـن مُحاربتهـا، فلـن نجـد إلَّا مُفارقـات وتناقضـات مُرتبطـة بجميـع تقلُّبـات العُلـوم

الفلسـفة). تـوفيّ في ٢٧ أبريـل ١٩٧٦ في المغـرب. مقالتـان للدكتـور زكريـا إبراهيـم- مجلـة القافلـة، مؤرشـف مـن الأصـل في ١٦-٥-٢٠١٩ اطّلـع عليـه بتاريـخ ٦-٧-٢٠٢٤.

٣ -إبراهيم، زكريا، (١٩٩٠م)، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، مصر، د.ط، د.ت، ص٢٩.

٤ -سورة الصّف، الآية [٤].

٥ - سورة الشّمس، الآية [٥].

٦ -فيلسـوف فرنسـيّ (١٨٧٦-١٩٦٣) وُلـد في ديجـون، ودرس في مـدارس ريفيّـة متعـدّدة، نـال شـهادة في الفلسـفة عـام ١٨٨٨، وشـهادة الدكتـوراه في الآداب عـام ١٨٩٩. وفي سـنة ١٩٠٩ صـار أسـتاذًا مسـاعدًا في الفلسـفة بالسـوربون، ثـمّ عمـل أسـتاذًا بالجامعـة المصريّـة. وألّـف «المعجـم الفلسـفي» المعـروف بمعجـم لالانـد، الموسـوعة الميـسّرة في الفكـر الفلسـفيّ والاجتماعـيّ، ص٤٨٨-٤٨٩، نسـخة ٣، ديسـمبر ٢٠١٥عـلى موقـع واي بـاك مشـين.

٧ - إبراهيم، زكريا، مرجع سابق، ص٤٣.

٨ - فضل، صلاح، مناهج النقد المعاصر، دار الآفاق العربية، د.ط، د.ت، ص٩٢.

٩ -جان بياجيه، (١٩٨٥)، البنيوية، منشورات عويدات بيروت، ط٤، ص٨.

١٠ -وُلـد في ٩ أغسـطس ١٨٩٦ في نوشـاتيل بسـويسرا، وأصبـح خبـيرًا في دراسـة الرخويّـات في سـنوات المراهقـة. خـلال مسـيرته المهنيّـة اللاحقـة في علـم نفـس الطفـل، حـدّد أربـع مراحـل مـن النمـوّ العقـليّ للشـباب، وتـوفيّ في ١٦ سـبتمبر ١٩٨٠، في جنيـف، سـويسرا، نسـخة ١٨ نوفمـبر ٢٠١٨، موقـع واي بـاك مشـين.

والأفكار، وتبدو البنية بتقدير أوّليّ مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين المجموعة»١١.

ثانيًا: الأسلوبيّة واتّجاهاتها

نشأت الأسلوبيَّة في سياق الدّراسات اللغويَّة، وكان من المتوقَّع أن تتبع الاتّجاه نفسه. تركّزت الأهمِّيَّة على تحديد اللغة اللَّفظيَّة الّتي يمُكن دراستها من منظورٍ أُسلوبيّ، ما يعني أنَّها يجب أن تكون مُختلفة عن اللَّغة المُستخدمة في الحياة اليوميَّة وتلبيةً الاحتياجات العامَّة. ومن هُنا نشأت مُشكلة تحديد مُستوى اللغة واختيار المُستوى الأُسلوبيّ المناسب للدّراسات الأسلوبيّة، وهنا يأتي دور الأسلوبيّة في المساعدة على التّمييز بين مستويات اللغة المُختلفة١٢.

كما تُفضّل الدّراسات الأُسلوبيّة النّصّ الإبداعيّ على النَّصِّ الإخباريّ بسبب السّمات التّعبيرية الّتي يحتويها، سواء من حيثُ البنية أم الصَّوت أم الدَّلالة، وتعطي الأولويّة لهذه السّمات١٣. وتركّز الأسلوبيّة في أسلوب القول، حيث تصبح الحقائق اللغويّة قيمًا جماليّة في الأداء الإبداعيّ، من دون الوُقوع في فّخ فصل الشّكل عن المُحتوى.

ثالثًا: تعريف الأسلوبيّة

«الأسلوبيّة أو علم الأسلوب هو الّذي يُطلق عليه في الإنجليزيّة (Stylistics) وفي الفرنسيّة (la stylistigue)، والباحث في الأسلوب (Stylisticion)، وكلمة (Style) تعني طريق الكلام، وهي مأخوذة من الكلمة اللاتينيَّة (Styles) بمعنى عود من الصُّلب كان يُستخدم في الكتابة، ثُمّ أخذت تُطلق على طريقة التّعبير عند الكاتب»١٤، المقصود من ذلك أنّ الأسلوبيّة تعبّر عن الطّريقة أو الأسلوب الّذي يستخدمه الكاتب للتّعبير عن آرائه وأفكاره.

١-نشأتها:

لقد ارتبطت نشأة الأسلوبيّة بنشأة علوم اللغة الحديثة تاريخيًا. فقد وُلدت الأسلوبيّة كموضوع أكاديميّ في الفترة نفسها الّتي بدأت فيها دراسة اللغة الحديثة، واستفادت من بعض تقنيّاتها. ولذلك، يُعدّ من المفهومات المقبولة بين الباحثين أنّ الأسلوبيّة تستند إلى

١١ – عمر، مهيبل، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط٣، ص٢٢.

١٢ -ينظر، درويش، أحمد، الأسلوبية بين المعاصرة والتراث، ط١، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، بلا، د.ت، ص٢٠.

١٣ -ينظر، عبد المطلب، محمد، (١٩٩٤م)، البلاغة والأسلوبيّة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، د١، ص٥.

١٤ – المرجع نفسه، ص١٨٥.

علم اللغة الحديث. ومن غير المنطقيّ استخدام مصطلح «الأسلوبيّة» قبل ظهور علم اللغة الحديث نفسه١٥، ولكن يجب أيضًا ذكر أنّ المصطلح ظهر في بداية القرن العشرين، مع ظهور الدّراسات اللّغويّة الحديثة الّتي أسّست للأسلوبيّة كعلم مستقلّ.

لقد اعتنى العرب بالأسلوبيّة اهتمامًا كبيرًا منذ العُصور القديمة، حيث درسوها في مجال البلاغة، وقدّموا لها العديد من التّفسيرات والتّعبيرات، ومن أبرز هؤلاء النّقّاد والباحثين في هذا المجال:

• **عبد السّلام المسدي**: يمَهّد رائد الأسلوبيّة في الوطن العربيّ، ذكر الأسلوبيّة بأنّها: «نظريّة علميّة في طرق الأسلوب، تعدّد لدينا أنّ أيّ نظريّةٍ نقديّةٍ لا بدّ أن تحتكم فيها، تستند إلى مقياس علم الأسلوب»١٦.

• **أمّا حازم القرطاجني**١٧ فيرى أنّ الأسلوبيّة هي: «التّناسب بين التّأليفات المعنويّة، ويمُثّل صورة الحركة الإقناعيّة للمعاني وكيفيّة تواليها واستمرارها، وما في ذلك من حسن الاطّراد والتناسب، والتلطّف في الانتقال من جهد إلى جهد، والصيرورة من مقصد إلى مقصد»١٨ حسب رؤية حازم القرطاجني، فإنّ الأسلوبيّة تعكس التناغم بين الأفكار الذهبيّة، حيث تظهر كصور ديناميكيّة تحمل معاني مهمّة لهذه الأفكار. وتتميّز الأسلوبيّة بتوالي الأفكار واستمرارها، وببراعة التناسق والتوازن، واختيار أفضل الوسائل لتبادل الجهد المبذول في صياغة الأفكار وعرضها أمام الجمهور، والانتقال بين الأهداف المتعدّدة.

• في حين يعرّفها الناقد **محمد عبد المطلب**١٩ في كتابه « البلاغة والأسلوبية»، بقوله: «الأسلوبيّة كعلم جديد نسبيًا، حاولت تجنّب المزالق الّتي وقعت فيها البلاغة القديمة، من حيث إغراقها في الشكليّة، ومن حيث اقتصارها على الدراسة الجزئيّة بتناول اللفظة المفردة، ثمّ الصعود إلى الجملة الواحدة أو ما هو في حكم الجملة الواحدة»٢٠، ومعنى هذا أنّ الأسلوبية كغيرها من العلوم الحديثة الّتي عملت على تجاوز الأخطاء الّتي وقعت في التطبيق السابق للبلاغة، حيث كانت البلاغة القديمة تركّز بشكل كبير في الشكليّة

---

١٥ – أبو العدوس، يوسف، (٢٠١٦م)، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للطباعة والنشر، بلا، د.ت، ص٣٨-٣٩.

١٦ – المسديّ، عبد السلام، (٢٠٠٦م)، الأسلوب والأسلوبية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط٥، ص ٩٣.

١٧ – حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن: (٦٠٨ – ٦٨٤ هـ = ١٢١١ – ١٢٨٥ م): أديب من العلماء له شعر. من أهل قرطاجنة (Carthagene بشرقيّ الأندلس)، تعلّم بها وبمرسية، وأخذ عن علماء غرناطة وإشبيلية، وتتلمذ على أبي علي الشلوبين ثم هاجر إلى مراكش، ومنها إلى تونس فاشتهر وعمّر، وتوفيّ بها. من كتاب (سراج البلغاء) طبعة أنيقة محققة، ج٢، ص ١٥٩.

١٨ – ينظر، العزاوي، سمير إبراهيم، (٢٠١٥م)، التفكير السيميائي وتطوير مناهج البحث الإبداعي المعاصر دراسة في اللسانيات المقارنة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوريع، عمان، ط١، ص٧١.

١٩ – محمد بن عبد المطلب بن واصل (١٢٨٨ – ١٣٥٠ هـ = ١٨٧١ – ١٩٣١ م): من أسرة أبي الخيرة، من جهينة: شاعر مصريّ، حَسَن الرصف، من الأدباء الخطباء. ولد في باصونة (من قرى جرجا بمصر) وتعلم في الأزهر بالقاهرة، وتخرج مدرّسًا، وشارك في الحركة الوطنيّة، بشعره ومقالاته وخطبه. وتوفيّ بالقاهرة. له (ديوان شعر – ط) وكتب، منها (تاريخ أدب اللغة العربية) ثلاثة أجزاء، و(كتاب الجولتين في آداب الدولتين الأموية والعباسية)، و(إعجاز القرآن). الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، الخامسة عشرة – أيار / مايو ٢٠٠٢ م، ج٦، ص ٢٤٧.

٢٠ – عبد المطلب، محمد، (١٩٩٤م)، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، د١، ص٣٥٢.

السطحيّة، وتقتصر على الاهتمام بالكلمة الفرديّة، ومن ثمّ الجملة الواحدة.

• أمّا عند **صلاح فضل** فعرّفها في كتابه «علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته» في قوله: «اللغة في جوهرها مجموعة من الوقائع الأسلوبيّة، ينبغي الاعتداد بما في وجهة نظر الأسلوب، وإذا كان من البيّن أنّ كلمة أسلوب الّتي تُستخدم هنا تتجاوز حدودها التقليديّة، لتشمل كلّ عنصر خلاف في اللغة ينتمي إلى الفرد ويعكس أصالته»٢١، يركّز صلاح فضل في العبارات والكلمات اللغويّة الّتي تحدث في الأحداث الأسلوبيّة، بدلاً من أن تكون مناسبة حسب الأسلوب. إلّا أنّ هذا النمط اللفظيّ قد يُستخدم في بعده التقليديّ ليشمل كلّ ما يعكس صوره.

• وعند **فتح الله أحمد سليمان** يعرّفها بأنّها: «نوع من النقد يعتمد في دراسة النصّ على لغته الّتي يتشكّل منها. وينصرف عمّا عداها من جوانب تتّصل بحياة الكاتب وظروفه النفسيّة والاجتماعيّة في واقع مجتمعه الّذي يعيش فيه، ولا تسهم في التعرّف المباشر على الأثر الأدبيّ ذاته»٢٢.

• أمّا عند **عدنان بن ذريل** فتتحدّد الأسلوبيّة أو علم الأسلوب بأنّها: «علم لغويّ حديث يبحث في الوسائل اللغويّة الّتي تُكسب الخطاب العاديّ، أو الأدبيّ، خصائصه التعبيريّة والشعريّة فتميزّه عن غيره»٢٣.

عند الغربيين:

من المتّفق عليه أنّ معظم العلوم الحديثة تعود أصولها إلى دراسات أبحاث واكتشافات مختلفة في الغرب. ويُعدّ علم الأسلوب من أهمّ هذه العلوم، حيث ظهر مع مؤسّسها الأوّل شارل بالي، ثمّ نما وازدهر مع عودة الباحثين والعلماء، ومنهم:

• أسلوبيّة شارل بالي (Charles Bally)٢٤:» يُعدّ بالي مؤسّس علم الأسلوب في المدرسة الفرنسيّة، وخليفة «سوسير» في كرسيّ علم اللغة بجامعة «جنيف»، وقد نشر عام ١٩٠٢م كتابه الأول: «بحث في علم الأسلوب الفرنسيّ، ثمّ أتبعه بدراسات أخرى أسّس بها علم أسلوب التّعبير٢٥»، فشارل بالي يُعدّ سبّاقًا إلى علم الأسلوب الّذي جعله علمًا قائمًا بذاته، متأثّرًا في ذلك بأستاذه فرديناند دي سوسير٢٦.

---

٢١ – فضل، صلاح، (١٩٩٨م)، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، بيروت، ط١، ص١٣.

٢٢ – سليمان، فتح الله أحمد، (١٤٢٨ه –م٢٠٠٨)، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار الآفاق العربية، مدينة نصر القاهرة، ط١، ص٢٤.

٢٣ – بن ذريل، عدنان، (١٤٢٧٦ ه –٢٠٠٦ م)، اللغة والأسلوب دراسة، مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١، ص١٣١.

٢٤ – شارل بالي (١٩٤٧ –١٨٦٥) لغويّ سويسريّ، من مدرسة جنيف، تتلمذ على يد فرديناند دي سوسير، من مؤلّفاته «منهج في اللسانيات العامة « https://arab-ency.com.sy»details في ١٥-٦-٢٠٢٣.

٢٥ – السد، نور الدين، (٢٠١٠م)، الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردي)، ج٢، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص١٤٢.

٢٦ – فرديناند دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣) عالم لغويّ سويسريّ شهير، من علماء المدرسة البنيويّة في اللسانيّات، يعدّ اللغة ظاهرة

مفهوم شارل بالي أنّ الأسلوبيّة تتمثّل في مجموعة من الأساليب اللسانيّة الّتي تؤثّر بشكل معيّن على المستمع أو القارئ. وبالتّالي، يمكن وصف الأسلوبيّة عنده بأنّها «العلم الّذي يدرس وقائع التعبير اللغويّ من ناحية محتواها العاطفيّ، أي التعبير عن واقع الحساسيّة الشعوريّة من خلال اللغة، وواقع اللغة عبر هذه الحساسيّة»٢٧.

• أمّا **بوفون** (Buffon)٢٨: فقد ربط الأسلوب بالإنسان المتكلّم؛ لأنّ الأسلوب هو تعبير عن العلاقات الشّخصيّة والميول الأدبيّة والمخزونات اللغويّة، وهذا ما يبرهن عن تباين الأسلوب من شخص إلى آخر٢٩.

• عند ريفاتير (Riffaterre)٣٠: لا يمكن ضبط الوقائع الأسلوبيّة إلّا داخل اللغة، فهي تعتمد على السياق اللغويّ الّذي تنتمي إليه. ومن الضروريّ تمييز هذه الوقائع الأسلوبيّة عن الوقائع اللسانيّة العاديّة. لذلك، يجب جمع جميع العناصر الّتي تمثّل سمات الأسلوبيّة، وتحليلها بشكل منفصل باستخدام المنهج اللسانيّ، واستبعاد أيّ عناصر غير مناسبة أسلوبيًا٣١.

• عند رومان جاكبسون ٣٢(Roman jakobson) قدّم العديد من الأطروحات حول الأسلوبيّة، حيث يعرّفها بأنّها البحث عن تميّز الكلام الفنّيّ عن باقي مستويات الخطاب وعن باقي الفنون الإنسانيّة٣٣، وتتميّز بالتعبير الفنّيّ عن الأشياء بطريقة فريدة عن غيرها من الخطابات، وأيضًا بتجسيد الفنون الإنسانيّة بوصفها فنًا في الوقت نفسه.

• أمّا أسلوبيّة **بيار جيرو**: فترى بأنّ «الأسلوبيّة دراسة للمتغيّرات اللسانيّة إزاء المعيار القاعديّ، وهذا يتطابق مع التقليد القديم الّذي يضع البلاغة في مواجهة القواعد، والقواعد في هذا المنظور في مجموعة القوانين، أي مجموعة الالتزامات الّتي يفرضها النظام والمعيار على مستعمل اللغة، فالأسلوبيّة تُحدّد نوعيّة الحرّيّات في داخل هذا النّظام٣٤»، ومعنى

اجتماعيّة، من مؤلفاته cours de linguistique».

٢٧ - ناظم، حسن، (٢٠٠٢م)، البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر للسيّاب، مركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ص٣١.

٢٨ - جورج دي بوفون (١٧٠٧م -١٧٨٨) مؤرّخ طبيعيّ وريـاضيّ، وعالم فرنسيّ، له موسوعة «التاريخ الطبيعي»..www// https almarsal.com، في ١٢-٣-٢٠٢٣.

٢٩ - ينظر، ابن ذريل، عدنان، (٢٠٠٠م) النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، ص ٤٨.

٣٠ - مايكل ريفايتر (١٩٢٤ه-٢٠٠٦م)، ناقد ومنظر فرنسي، من أبناء المدرة البنيوية، اشتهر بكتابه سميوتيكس أوف شعر، ومفاهيمه. من أهمّ مؤلفاته: معايير تحليل الأسلوبية النص. وقدّم مقالات في الأسلوبية البنيويّة .https://www.diwanalarab com في ١٢-٧- ٢٠٢٣.

٣١ - ريفاتير، ميكائيل، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة تقديم وتعليقات، د. حميد الحمداني، دار النجاح الجديدة، ط١، ص١٠.

٣٢ - رومان جاكبسون «(١٨٩٦-١٩٨٢) هو عالم لغويّ وناقد أدبيّ روسّي من أصل يهوديّ، كان من روّاد المدرسة الشكليّة الروسيّة، كتب مقالة مهمّة ومفصليّة في نظريّة الترجمة، وهو نقل الرسالة من لغة إلى لغة، يفرّق جاكبسون بين ستّ وظائف تواصليّة، يرتبط كلّ منها بإحدى عناصر عمليّة التواصل. عزيزة فوال بابتي: موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، دار الكتب العلمية، د.ت. (٤/٣٦٢).

٣٣ - المسدي، عبد السلام، مرجع سابق، ص٣٧.

٣٤ - بيار جيرو، (١٩٩٤م)، الأسلوبيّة، تحقيق: منذر عياش، دار الحاسوب للطباعة، ط٢، ص١٣.

هـذا أنّ بيـار جـيرو يقـول إنّ الأسـلوبيّة هـي دراسـة لغويّـة تعتمـد عـلى قواعـد محـدّدة، مثـل المنهـج التقليـديّ القديـم الّـذي كان يحكـم البلاغـة بمجموعـة مـن القوانـين المعيّنـة، وبتطبيـق هـذا النظـام عـلى الباحـث أو الـدارس اللغـويّ، تتخصّـص الأسـلوبيّة في تحديـد نوعيّـة الحرّيّـات المتاحـة داخـل هـذا النظـام.

٢- الاتّجاهات الأسلوبيّة:

الاتّجاهـات الأسـلوبيّة تشـكّل مجموعـة مـن المـدارس، أو التوجّهـات الفرعيّـة الّتـي تركّـز في دراسـة الأسـاليب الأدبيّـة وتحليلهـا، والتقنيّـات اللغويّـة والشـعريّة الّتـي تُسـتخدم في الأعـمال الأدبيّـة. تختلـف هـذه الاتجاهـات في المفاهيـم والأسـاليب التحليليّـة الّتـي تسـتخدمها، وفي النهـج النظـريّ الّـذي يسـتند إليـه كلّ اتجـاه، وتهـدف هـذه الاتّجاهـات إلى فهـم أعمـق للأسـلوب الأدبيّ، وكيفيّـة تأثـيره عـلى المعـاني والرمـوز في النصـوص الأدبيّـة.

ومن الاتّجاهات الأسلوبيّة المعروفة:

أ-الأسلوبيّة التعبيريّة (la stylistique Expressive)

أسـلوبيّة بـالي (paley)، كـما عرّفهـا تلميـذه دي سوسـير (De Saussure)، تهتـمّ بدراسـة التعبير اللغـويّ مـن ناحيـة مضامينـه الوجدانيّـة العاطفيّـة. تسـعى إلى فهـم القيـم اللغويّـة التعبيريّـة في الـكلام والمشـاعر المرتبطـة بـه، وتتميّـز بأنّهـا تتجـاوز الأنمـاط التقليديّـة المعروفـة، وتنطلـق نحـو استكشـاف الـكلام في جوانبـه غـير المحـدودة. تـأتي هـذه الأسـلوبيّة بشـكل خـاصّ أمـام الـكلام المنطـوق لتلاحـظ الارتبـاط بـين المحتـوى الوجـدانيّ والمضمـون العاطفـيّ، وتعمـل عـلى إعـادة صياغـة هيـكل الـكلام لتحقيـق هـذه الأهـداف٣٥. كـما تأثّـرت المـدارس الأسـلوبيّة بكتابـات بـالي (Paley) في التعبـير الوصفـيّ، وقـد أحدثـت تأثـيرًا واسـعًا منـذ بدايتهـا عـام١٩٠٥م. ولا سـيّما في المـدارس الأسـلوبيّة الّتـي جـاءت بعـده، ومنهـا مدرسـة الشـكلانيين٣٦ الـرّوس في العشرينـات مـن القـرن المـاضي، وانتقـل هـذا التأثـير إلى أوروبّـا مـع انتقـال العلـماء مـن روسـيّا إلى أنحـاء أوروبّـا، ومـن هـؤلاء العلـماء رومـان جاكبسـون (Roman jakobson) وتـودورف٣٧ (Todor-ov)، الّذيـن ركّـزوا في تأثـير المنهـج الوصفـيّ عنـد اسـتخدام الأسـلوبيّة الإحصائيّـة في تحليـل النصـوص٣٨.

---

٣٥ -الكواز، محمد الكريم، (١٤٢٦م)، علم الأسلوبية مفاهيم وتطبيقات، دار الكتب الوطنية، ط١، ص٩٨.

٣٦ - الشـكلانيّون الـروس هـم مفكّـرون روس، والشـكلانيّة حركـة أدبيّـة وإحـدى المذاهـب المؤثّـرة في مجـال النقـد الأدبيّ في روسـيّا في الفـترة الزمنيّـة الّتـي بـين (١٩١٥) و (١٩٣٠)، وتحـوي العديـد مـن أعـمال المفكّريـن الـروس ذوي التأثـير البالـغ عـلى السـاحة الأدبيّـة، منهـم رومـان جاكبسـون، فيكتـور شيكوفسـكي، وبوريـس أيشـينباوم https://www.alhaleej.ae في ٥-١٤-٢٠٢٣.

٣٧ - فيتـان تـودورف (١٩٩٣-٢٠١٧)، فيلسـوف فرنسّي كتـب في الثقافـة والنظريّـة الأدبيّـة، وتاريـخ الفكـر، وتبنّـى الدعـوة إلى الانفتاح الحضاري، https:areq.netk td 18-7-2023

٣٨ - مرجع سابق، ص٩٩.

خلاصة لما سبق، نرى أنّ «**شارل بالي**» يؤكّد أنّ العلميّة العاطفيّة تهيمن على السيطرة العقليّة في البنيّة الأسلوبيّة اللسانيّة. يعني ذلك أنّ العواطف والانفعالات تؤدّي دورًا مهمًا في تشكيل اللغة وأسلوب التعبير من العقل، وبالتّالي، يتأكّد بالي من أنّ الإنسان هو كائن عاطفيّ بطبيعته، وهذا يجعل اللغة عنصرًا حاسمًا للكشف عن مشاعره وعواطفه.

وفقًا لشارل بالي، يُعدّ الطابع الوجدانيّ أحد العناصر الرئيسة في عمليّة التواصل بين المرسل والمتلقّي. يركّز بالي في استكشاف العناصر المنظّمة في اللغة والقيم التأثيريّة المتضمّنة فيها، ويحثّ على التفاعل بين العناصر التعبيريّة المختلفة لبناء نظام للوسائل اللغويّة المعبّرة.

فأسلوبيّة بالي تدرس هذه العناصر انطلاقًا من محتواها التأثيريّ والتعبيريّ[٣٩]، حيث تشمل هذه الدراسة مستويات متنوّعة من التحليل، بما في ذلك الأنواع والأماكن والعصور، فضلًا عن الطبقات الاجتماعيّة والثقافيّة. كما تركّز في فهم العواطف والمشاعر المخفيّة في لغة الناس، من خلال النواحي اللغويّة والدلاليّة والصوتيّة والنحويّة والصرفيّة.

وكانت دراسة تلميذه دي سوسير (De Saussure) تركّز بشكل عامّ في أسلوبيّة التعبير في الكلام. وتشير إلى أنّ الأسلوبيّة هي دراسة شروط التعبير الكلاميّ من منظورها العاطفيّ، أي دراسة تأثير الحساسيّة اللغويّة وتفاعل الحقائق اللغويّة على المتلقّي[٤٠].

ب-الأسلوبيّة البنيويّةla stylistique structural

تتوجّه الأسلوبيّة البنيويّة ومؤسّسها ريفاتير (Riffaterre) في محاولتها لاستكشاف أسرار النص وجماليّاته في الأدب، إلى أنّ النصّ هو هيكل لغويّ، منفصل عن العالم الخارجيّ، بغضّ النظر عن مدى مصداقيّته في تمثيل الواقع[٤١]. وهذا يشير إلى أنّ الأسلوبيّة البنيويّة تُعدّ الأثر الأدبيّ هو الأساس الأساسي، من دون الاهتمام بالعوامل الخارجيّة مثل حياة الكاتب وظروفه. وبناءً على هذا المبدأ، تهدف الأسلوبيّة البنيويّة إلى دراسة المعنى اللغويّ من داخل النصّ نفسه، بدءًا من الأصول الصرفيّة والمعجميّة والنحويّة، وصولًا إلى السّياق؛ لاستخلاص القواعد الّتي تنظم الظّواهر الأساسيّة في الخطاب. وبهذه الطريقة، تصبح الأسلوبيّة مكمّلًا مباشرًا للدّراسات اللغويّة[٤٢].

وهي أكثر المذاهب الأسلوبيّة شيوعًا الآن، وعلى نحو خاصّ، فيما يُترجم إلى العربيّة أو يُكتب فيها عن الأسلوبيّة الحديثة، وتُعدُّ امتدادًا متطوّرًا لأسلوبيّة شارل بالي في الوصفيّة،

---

٣٩ - ينظر، السّد، نور الدّين، مرجع سابق، ص٦٠.

٤٠ -ينظر، مرتاض، عبد الجليل، (٢٠٠٧م)، في عالم النّص والقراءة، ط١، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ص٤٥.

٤١ -ينظر، السّد، نور الدّين، مرجع سابق، ص٦٠.

٤٢ - المرجع نفسه، ص١٩-٨٥.

وامتـدادًا لآراء سوسـير الّتـي قامـت عـلى التفرقـة بـين اللغـة والـكلام٤٣.

وتـبرز أهمّيّـة هـذه التفرقـة، مـن خـلال الإشـارة إلىّ أن هنـاك فرقًـا بـين دراسـة الأسـلوب كونـه طاقـة خفيّـة في اللغـة، يسـتطيع الكاتـب أن يسـتخرجها ويوجّههـا نحـو هـدف محـدّد، وبـين دراسـة الأسـلوب كونـه ذاتـه الفعليّـة. بمعنـى آخـر، هنـاك تبايـن وتمايـز بـين مسـتوى اللغـة ومسـتوى النـصّ٤٤.

ولقـد اهتـمّ ريفاتـير (Riffaterre) بلسـانيّة الأسـلوب، وتفكيـك الشـفرة التواصليّـة في إطـار علاقـة المرسِـل بالمرسَـل إليـه. ومـن ثـمّ فقـد ركّـز في آثـار لسـانيّة الأسـلوب في علاقتهـا بالمتلقّـي ذهنيًـا ووجدانيًـا. كـما ربـط الأسـلوبيّة باستكشـاف التّعارضـات الضّدّيّـة، وتبيـان الاختلافـات البنيويّـة الّتـي يرتكـز عليهـا أسـلوب النـصّ. إضافـة إلى هـذا، فقـد اهتـمّ بالانزيـاح في تعارضـه مـع القاعـدة والمعيـار، واعتنـى أيضًـا بدراسـة الكلـمات في تموقعهـا السـياقيّ. بمعنـى أنّـه يـدرس الأسـاليب بنيويًـا وسـياقيًا. وبعـد ذلـك، انتقـل ميشـال ريفاتـير (Riffaterre) إلى سـميوطيقا٤٥ الشـعر وإنتـاج النـصّ٤٦، مركّـزًا بشـكل خـاصّ عـلى القـارئ النموذجـيّ في استكشـاف الواقعـة الأسـلوبيّة فهـمًا وتفسـيرًا وتأويـلاً.

باختصـار تـدرس الأسـلوبيّة طرقًـا فعّالـة للتعبـير اللسـاني، الّتـي تسـمح بنقـل كمّيّـة كبـيرة من المعلومـات بشـكل فعّـال. ومـع تطـوّر التقنيـات التعبيريّـة، أصبحـت هـذه الطـرق أكـثر تعقيـدًا، وتحقّـق أحيانًـا جماليّـة في التعبـير الّتـي يعدّهـا المؤلـف فنًـا لغويًـا. وبالتـالي، تهتـمّ الأسـلوبيّة بدراسـة الأسـلوب الأدبيّ وتحليلـه٤٧.

ولعـلّ رومـان جاكبسـون (Roman Jakobson) هـو واحـد مـن أبـرز الباحثـين في مجـال البنيويـيّن٤٨، حيـث تميّـز بتحليلـه للرّسـالة الاتّصاليّـة ودراسـة الوظيفـة الشـعريّة للّغـة.

لقـد عـرض الأسـلوبيّة البنيويّـة، مبادئهـا وأسـاليبها، في تطبيقـات داخـل النصـوص الأدبيّـة، وكان لهـا تأثـير كبـير ولا يمكـن تجاهلـه، فالأسـلوبية البنيويّـة تهـدف إلى تحليـل النصـوص الأدبيّـة وفهمهـا، مـن خـلال التركيـز في الأسـلوب اللغـوي والأدبي المسـتخدم فيهـا. تسـاعد في فهـم كيفيّـة بنـاء النـصّ وتحقيـق تأثـيره الأدبيّ، وتعطـي أهمّيّـة كبـيرة للعنـاصر اللغويّـة والأسـلوبيّة في النـصّ.

---

٤٣ - المرجع نفسه، ص١٠٢.

٤٤ -ينظر، الكوّاز، محمّد كريم، مرجع سابق، ص٩٩- ١٠٠.

٤٥ - السـيموطيقا: هـو علـم يـدرس نظـم العلامـات والأدلّـة والرمـوز الطبيعيّـة وغـير الطبيعيّـة، مـن أهـمّ روّادهـا شـارل سـاندرز، بيرس فرديناينـد دو سوسـير، وأهـمّ مـن أسـهم في السـيميائيّات رولان بـارت وفلاديمـير.

٤٦ Maurice Delcroix et Fernand Hallyn et autres :Methode du texte ,Duculot ,paris- ,1987,p90-91.

٤٧ - ربابعة، موسى سامح، (٢٠٠٣)، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ص١٦.

٤٨ - منهـج لغـويّ، بـرز في بدايـة القـرن العشريـن، يقـوم عـلى مقاربـة اللغـة عـلى أنّهـا نظـام شـامل، تربطـه علاقـات داخليّـة، أبـرز أعلامهـا فرديناند دي سوسـير الّـذي وضـع أربـع ثنائيّـات أساسـيّة تتحكّـم في التحليـل البنيـويّ: الـدالّ والمدلـول، واللغـة كنظـام، والبنيـة الفوقيّـة والتحتيّـة، والزمنيّـة https://m.marefa.org في ٢٨-٥-٢٠١٣.

ج-الأسلوبيّة الإحصائيّة:

تعتمد الأسلوبيّة الإحصائية على استخدام الحساب والإحصاء الرياضيّ؛ لاستكشاف جماليّات الأسلوب الإبداعيّ في الأعمال الأدبيّة. وقد قدّم شارل مولر (ch.Muller) هذا النوع من الأسلوبيّة في كتابه «المعجمية الإحصائية: مبادئ ومناهج». فعرّف هذا الاتّجاه بأنّه: «يقوم على إحصاء كلمات النصّ وتصنيفها حسب نوع الكلمات، ووضع متوسّط تلك الكلمات في شكل نجمة، وهكذا ننتج أشكالاً ونماذج متنوّعة يمكن مقارنة بعضها ببعض٤٩» يقوم الباحث الأسلوبيّ بجمع الكلمات الّتي تنتمي إلى حقل معيّن، وعدد آخر ينتمي إلى حقل آخر، ثمّ يقوم بتصميم جداول أو بيانات...إلخ.

مثل هذا الرأي نجده عند **أحمد درويش** الّذي ربط الإحصاء بالظواهر الأسلوبيّة، قائلاً: «إنّ الباحث الأسلوبيّ يلجأ إلى الإحصاء في رصد حجم الظواهر النحويّة المختلفة، وتحديدها» ٥٠، ويتّسع المفهوم أكثر من خلال القول إنّ: «الدراسة الإحصائيّة تضع أيدينا على بعض التردّدات ذات المغزى، الّتي تسهم في رصد المحاور الّتي يدور عليها الخطاب» ٥١.

كما يُعدّ **بيار جيرو (Pierre Guiraud)** أحد روّاد الأسلوبيّة الإحصائيّة٥٢. وقد اهتمّ بشكل خاص باللغة المعجميّة، واستخدم المقاربة الإحصائيّة في استكشافها. أسهم جيرو في تأسيس الموضوعات الإحصائيّة، من خلال مراقبة بنى المعجم الأسلوبيّ لمجموعة من المبدعين، مثل: **فاليري٥٣، وأبولينير٥٤، وكورناي٥٥...** مع تتبّع المعجم إحصائيًا في المؤلّفات الأدبيّة، من خلال استقراء الحقلين: الدلالي والمعجمي. كما اهتمّ بالكلمات الموضوعيّة آليّات الإحصاء، مثل: التكرار والتردّد، والتّواتر والضّبط، والغزل والجرد والتصنيف... لتحليلها. أي: كان يهتمّ بكلّ ما يتعلّق بأسلوبيّة المؤلّف، ويشكّل هويّته، ويبيّن فرادته، ويؤكّد تميّزه الإبداعيّ. وكما يُعنى هذا الاتجاه بكمّيّة الظواهر اللغويّة في النصّ وإحصائها، ويستنتج أحكامه من خلال نتائج الإحصاء.

---

٤٩ -بن يحيى، محمد، السمات الأسلوبية في الخطاب الشعريّ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١١، ص٢١.

٥٠ -درويش، أحمد، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار الغريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، دت، ص١٩.

٥١ -محمد عبدو فلفل، في التشكيل اللغوي للشعر، مقاربات في النظيرة والتطبيق، الهيئة العامة للكتاب، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٣، ص٤٦.

٥٢ Pierre Guiraud ,la stylistique ,P.U.F.1972

٥٣ -بول توسان فاليري، (١٨٧١م-١٩٤٥م): وُلد في سيت وتوفيّ في باريس، كتب نحو مئة قصيدة متأثّرًا بالشعر الرمزيّ، حظي بالتكريم وبتسميته عضوًا في مجالس رسميّة مختلفة. عزيزة فوال بابتي، موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، (٢٢٧/٣).

٥٤ - غيوم أبو لينير، (١٨٨٠-١٩١٨): كان شاعرًا فرنسيًا وكاتبًا مسرحيًا للقصّة القصيرة وروائيًا وناقدًا فنّيًا، من أصل بولنديّ، ويُعدّ من أحد أوائل الشعراء في القرن العشرين، كونه أحد أكثر المدافعين عن التكعيبيّة، وأحد أسلاف السرياليّة، ويعود إليه الفضل في صياغة مصطلح «التكعبيّة» في عام ١٩١١م/ من موسوعة اللغة العربية.

٥٥ -بيير كورنا، (١٦٠٦- ١٦٨٤)، شاعر مسرحي فرنس كبير، المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٧٩م)، ص ٥٣٧-٥٣٨.

باستخدام الأسلوبيّة الإحصائيّة، يمكننا فهم أساليب المؤلّفين الأدبيين وتحليل تميّزهم الإبداعيّ، وبناء هويتهم الأسلوبيّة من خلال دراسة كمّيّة الظواهر اللغويّة في النصوص. هذا يمكّننا من تحديد الأنماط والأشكال المميّزة والمقارنة بينها. بالتالي، فإنّ الأسلوبيّة الإحصائيّة توفّر لنا أداة فعّالة.

خاتمة البحث

ربمّا يتوجّه الكاتب إلى نفسه وإلى الآخرين بمعانٍ واضحة ثابتة، لكن لغتنا العربيّة واسعة، تزخر بصور البيان، وفيها التّورية والكناية، بالتّالي لا يوجد ما يمنع وجود معانٍ خفيّة ربمّا لم ينتبه إليها من سبق من الدّارسين.

اللغة هي الصّوت فعلاً، وما من مكوّنات خاصّة بالصّوت، فهو أحرف وكلمات نهدف بها إلى التّواصل، مثلما هي وظيفة اللغة.

ولأنّ البنى اللغويّة لم تكن من مصطلحات الأقدمين في اللغة العربيّة؛ لذا تختلف آراء الباحثين والمفكّرين في تعريفهم البنى اللغويّة وتحديدهم لها.

أمّا ما بين الأسلوبيّة واتّجاهاتها، والبنى اللغويّة، فالعلاقة مترابطة وثيقة، فكلاهما يصبّ في الاتّجاه نفسه، لكنّهما ليسا بالتّعريف الإجرائيّ نفسه، فالفارق بينهما يستدعي دراسة مقارنة موسّعة، وإسقاطها على نصوص لغويّة وأدبيّة، قديمة وحديثة.

المصادر والمراجع

١- إبراهيم، زكريا، (١٩٩٠م)، **مشكلة البنية**، دار مصر للطباعة، مصر.

٢- بابتي، عزيزة فوال، (د.ت)، موسوعة الأعلام العرب والمسلمين والعالميين، دار الكتب العلمية.

٣- بيار جيرو، (١٩٩٤م)، **الأسلوبيّة**، تحقيق: منذر عياش، دار الحاسوب للطباعة، ط٢.

٤- بياجيه، جان (١٩٨٥)، **البنيوية**، منشورات عويدات بيروت، ط٤.

٥- درويش، أحمد، (د.ت)، **دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث**، دار الغريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

٦- درويش، أحمد، (د.ت)، **الأسلوبية بين المعاصرة والتراث**، ط١، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، مصر.

٧- بن ذريل، عدنان، (٢٠٠٠م) **النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق**، منشورات

اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا.
٨- بن ذريل، عدنان، (١٤٢٧٦ ه -٢٠٠٦ م)، **اللغة والأسلوب دراسة**، مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط١.

٩- ريفاتير، ميكائيل، (د.ت)، **معايير تحليل الأسلوب**، ترجمة تقديم وتعليقات، د. حميد الحمداني، دار النجاح الجديدة، ط١.

١٠- ربابعة، موسى سامح، (٢٠٠٣)، **الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها**، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ط١.
١١- الزركلي، خير الدين، (٢٠٠٢)، **الأعلام**، دار العلم للملايين، ج٦، ط١٥.
١٢- سليمان، فتح الله أحمد، (٢٠٠٨م)، **الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية**، دار الآفاق العربية، مدينة نصر القاهرة، ط١.
١٣- السد، نور الدين، (٢٠١٠م)، **الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردي)**، ج٢، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

١٤- أبو العدوس، يوسف، (٢٠١٦م)، **الأسلوبية الرؤية والتطبيق**، دار المسيرة للطباعة والنشر.

١٥- العزاوي، سمير إبراهيم، (٢٠١٥م)، **التفكير السيميائي وتطوير مناهج البحث الإبداعي المعاصر دراسة في اللسانيات المقارنة**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط١.

١٦- عبد النور، جبور، (١٩٧٩)، **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، بيروت.

١٧- عبد المطلب، محمد، (١٩٩٤م)، **البلاغة والأسلوبية**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١.

١٨- عبد المطلب، محمد، (١٩٩٤م)، **البلاغة والأسلوبيّة**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١.

١٩- عمر، مهيبل، (د.ت)، **البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط٣.

٢٠- فضل، صلاح، (د.ت)، **مناهج النقد المعاصر**، دار الآفاق العربية.

٢١- فضل، صلاح، (١٩٩٨م)، **علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته**، دار الشروق، بيروت، ط١.

٢٢- الكواز، محمد الكريم، (١٩٢٦م)، **علم الأسلوبية مفاهيم وتطبيقات**، دار الكتب الوطنية، ط١.

٢٣- مرتاض، عبد الجليل، (٢٠٠٧م)، **في عالم النّص والقراءة**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، ط١.

٢٤- مجلة القافلة، **مقالتان للدكتور زكريا إبراهيم**- مؤرشف من الأصل في ١٦-٥-٢٠١٩

اطّلع عليه بتاريخ ٦-٧-٢٠٢٤.

٢٥- محمد عبدو فلفل، (٢٠١٣) **في التشكيل اللغوي للشعر، مقاربات في النظيرة والتطبيق**، الهيئة العامة للكتاب، دمشق، سوريا، ط١.

٢٦- المسديّ، عبد السلام، (٢٠٠٦م)، **الأسلوب والأسلوبية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط٥.

٢٧- ابن منظور، (١٤١٠ه-١٩٩٠م)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٢.

٢٨- ناظم، حسن، (٢٠٠٢م)، **البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر للسيّاب**، مركز الثقافي العربي، بيروت، ط١.

٢٩- بن يحيى، محمد، (٢٠١١)، **السمات الأسلوبية في الخطاب الشعريّ**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.

الاستلزام الحواريّ في ديوان الأمير شكيب أرسلان (دراسة تداوليّة)

أيمن محمّد الصدّيق*

الملخص

تروم الدراسة التعرّف على النظريّة التداوليّة التي تدرس اللغة في الاستعمال مع التركيز على الاستلزام الحواريّ، تمهيدًا لتطبيق هذا المفهوم على أبيات مختارة من شعر الأمير شكيب أرسلان الملقّب بأمير البيان. وهو شاعر لبنانيّ بارز نسج علاقات قويّة مع شخصيّات أدبيّة وسياسيّة بارزة في القرنين الماضيين. وقد اعتمدتُ في دراسة ظاهرة الاستلزام الحواريّ على المنهج التحليليّ التداوليّ مستفيدًا من السياقات التي وردت فيها الأساليب الخبريّة والإنشائيّة الطلبيّة المدروسة للوصول إلى مقاصد الشاعر من أساليبه.

الكلمات المفتاحيّة:

الاستلزام الحواريّ، التداوليّة، ديوان الأمير شكيب أرسلان، السياق، القصد، المعاني المستلزمة.

Abstract:

This study aims to explore the pragmatic theory, which examines language in use, with a particular focus on conversational implicature. This serves as a prelude to applying the concept to selected verses from the poetry of Prince Shakib Arslan, known as the "Prince of Eloquence." Arslan was a prominent Lebanese poet who established strong connections with notable literary and political figures over the past two centuries. In analyzing conversational implicature, I have adopted the pragmatic analytical approach, drawing on the contexts in which declarative and interrogative rhetorical devices appear to uncover the poet's intended meanings behind his stylistic choices.

Keywords:

Pragmatics, Conversational implicature, Meanings entailed by, Diwan of Prince Shakib Arslan, Context, Intention.

* طالب في مرحلة الدكتوراه

أوّلًا - التعريف بموضوع الدراسة

الاستلزام مأخوذ من معنى (اللزوم)، ويفيد الثبات والدوام والاقتضاء والنشوء عن شيء، والتعلّق به، فيكون مصاحبًا له. ويأتي بمعنى الاستنتاج من كلام معيّن. بينما الحوار يفيد تبادل الكلام بين شخصين أو أكثر.

ومن هنا نشأ مفهوم الاستلزام الحواريّ الذي يفيد ما يستنتجه السامع من كلام الطرف الآخر دون ذكره، وبالتالي يقوم السامع أو القارئ للحوار بإعمال عقله للوصول إلى قصد المتكلّم من خلال الظروف الخارجيّة المحيطة بعمليّة إنتاج الكلام، وما يمكن أن يحتمله الكلام من معنى. وهو ما نستخدمه بصورة يوميّة في حياتنا العاديّة لمعرفه ما يقصده المتكلّم. ويحاول المتكلّم الاستفادة منه في عمليّة إنتاج كلامه بما يراعي مصلحته وهدفه.

وتبدو قيمة الاستلزام أعلى في النصوص الأدبيّة النثريّة والشعريّة بما تحمله من معانٍ سامية يصبو القارئ والدارس في ميدان الأدب إلى الوصول إليها. وهذا بسبب استخدام الأدباء للأساليب المجازيّة بكثرة لإيصال أفكارهم ومقاصدهم بصورة بالغة التأثير في المتلقّي.

والمدوّنة التي سيطبّق عليها الاستلزام الحواريّ هو ديوان الأمير شكيب أرسلان الملقّب بأمير البيان. وهذا الديوان غنيّ بمادّته وموضوعاته. وهذا طبيعيّ بالنسبة إلى شاعر أمير كثير السفر وأحد الوجهاء في بلده، وكان على تواصل مع شخصيّات سياسيّة وأدبيّة بارزة في الدول التي كان يحكمها العثمانيّون، وخصوصًا في لبنان وسوريا ومصر. فديوانه تاريخ بلمسة أدبيّة فنّيّة رائعة تثير القارئ لاستكناه المعاني الواردة فيه. وآمل في إظهار اليسير منها خلال هذه الدراسة.

ثانيًا - أسباب اختيار موضوع الدراسة

ما دفع إلى اختيار هذا الوضوع دون غيره، الرغبة في دراسة التداوليّة بشكل موسّع نسبيًّا منذ سنوات بعد الاطلاع على القليل من أفكارها في الجامعة اللبنانيّة بداية، يضاف إلى ذلك الرغبة في الاطّلاع على مدارس لسانيّة غير المدرسة التوليديّة التحويليّة، فضلًا عن قلّة الدراسات التي تناولت الاستلزام الحواريّ بشكل مستقلّ.

إضافة إلى الرغبة في دراسة شعر شخصيّة لبنانيّة بارزة وفق منهج حديث، يشجع على ذلك أفكار الشاعر ومبادئه في الدفاع عن المظلومين بوجه الاحتلال الغربيّ، وهو أمر ظاهر في ديوانه الذي يذكر فيه بعض الظروف المحيطة بإنتاجه الشعريّ، الأمر الذي يساعد على التحليل التداوليّ لبعض الأبيات الشعريّة التي ذكرها في ديوانه.

ثالثًا - أهمّيّة موضوع الدراسة

تتجلّى أهمّيّة الموضوع في كونه يعالج نصوصًا شعريّة وفق منهج حديث عند شخصيّة بارزة في العصر الحديث، تميّزت بتناولها لقضايا تخصّ المجتمع العربيّ والإسلاميّ في زمن الاستعمار الغربيّ لبلادنا؛ ما يبرز الحالة الفكريّة والنفسيّة لأهل تلك الحقبة في مواجهتهم لظروف الحياة المتقلّبة. كما أنّه يوضّح بعض المفاهيم المتعلّقة بمنهج لسانيّ حديث مع تطبيقها على نصوص شعريّة ذات قيمة أدبيّة عالية. وهذا يُثري مكتبة اللغة العربيّة.

رابعًا - أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من أالهداف، وهي:

١ - إغناء المكتبة العربيّة بدراسة وفق منهج حديث تتناول شخصيّة بارزة على الصعيد الأدبيّ.

٢ - تسليط الضوء على بعض المفاهيم التداوليّة وتوضيحها للقارئ العربيّ.

٣ - بيان المعاني التي خرجت إليها بعض الأساليب الخبريّة في الديوان.

٤ - بيان المعاني التي خرجت إليها بعض الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة في الديوان.

٥ - إبراز بعض ميّزات شخصيّات بارزة في القرن الماضي من خلال الديوان.

خامسًا - إشكاليّات الدراسة

تطرح هذه الدراسة مجموعة من الإشكاليّات تحاول الإجابة عنها في ثناياها، ومنها:

١ - ما المقصود بالتداوليّة وهدفها والانتقادات الموجّهة إليها؟

٢ - ما المقصود بالاستلزام الحواريّ؟

٣ - لماذا يستخدم المرسِل التلميح في الكلام بدلاً من التصريح؟

٤ - ماذا أفادت بعض الأساليب الخبريّة في الديوان؟

٥ - ماذا أفادت بعض الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة في الديوان؟

سادسًا - فرضيّات الدراسة

ثمّة عدد من الفرضيّات لحلّ الإشكاليّات المذكورة في هذه الدراسة، ومنها:

١ - التداوليّة تخصّص لسانيّ حديث يدرس اللغة المستخدمة لبيان مُراد مستعملها حسب السياق الواردة فيه. وهدفها دراسة اللغة في الاستعمال للوصول إلى المعنى الضمنيّ في الكلام. وانتُقدت لتشعّبها وعدم وضوح مفاهيمها لاختلاطها بمجالات كثيرة.

٢ - الاستلزام الحواريّ استنتاج للمعنى الضمنيّ في كلام المتكلّم وفق ظروف الخطاب.

٣ - يستخدم المرسِل التلميح في الكلام للتأدّب وإظهار التفوّق واستجابة للخوف وغيرها.

٤ - أفادت بعض الأساليب الخبريّة في الديوان المدح والثناء والدعاء والتعجّب والتعظيم والغزل والتحقير.

٥ - أفادت بعض الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة في الديوان النفي والتعظيم والإنكار والدعاء والنصح والإرشاد والتسليم والتحذير والمواساة والمدح.

سابعًا - منهج الدراسة

اتبعت هذه الدراسة المنهج التداوليّ الذي يُعدّ من أهمّ المناهج الحديثة في الدراسات اللغويّة، وهو يعمد إلى تحليل المعنى تحليلاً إجرائيًّا وفق نظام اللغة التداوليّ، بحسب سياق الاستعمال، لتوضيح مقاصد المتكلّم، وذلك عبر تحديد الأسلوب بداية، يليها تحديد المعاني المستلزمة من الأسلوب، ويتبعها الإضاءة قليلاً على الظروف المحيطة بإنتاج الخطاب أو البيت الشعريّ، وأقوم بعدها بذكر البيت الشعريّ المناسب للمعنى المستلزم وصولاً إلى تحليله قبل الانتقال إلى بيت آخر.

الدراسات السابقة

لا تتوفر إحصاءات دقيقة عن أعداد الكتب والأبحاث التي تناولت ديوان الأمير شكيب أرسلان بالدراسة والنقد، ومع ذلك، فهذه بعض الأعمال في تحليل ونقد هذا الديوان، ولكنها لم تمس موضوع البحث هذا على وجه الخصوص:

(ديوان الأمير شكيب أرسلان: دراسة أسلوبية)، لناصر الحكيم، تناول بعض الظواهر الأسلوبية في الديوان، مثل التناص والمجالات الدلالية والتركيبية، وكيفية توظيفها في قصائد الديوان، ويُعدّ أحد مراجع فهم إسهامات الأمير شكيب أرسلان في الفكر العربي والإسلامي.

(جدلية الفكر والعمل عند الأمير شكيب أرسلان: دراسة تاريخية فكرية نقدية)

لناصر الحكيم، وهو دراسة أكاديمية تناولت حياة وأفكار الأمير شكيب أرسلان، الذي كان له دور بارز في النهضة الفكرية والسياسية في العالم العربي والإسلامي.

***

المبحث الأوّل: التداوليّة والاستلزام الحواريّ

لا بدّ بداية قبل البدء بالدراسة التطبيقيّة للاستلزام الحواريّ في الديوان من الإضاءة على بعض المفاهيم التداوليّة المتعلّقة بالدراسة. وهذا يساعدنا على فهم المنهج الذي سنقوم بتطبيقه لاحقًا على بعض الأمثلة المختارة بشكل أوضح. وقد قرّرتُ تناول بعض الأمور المتعلّقة بالتداوليّة في المطلب الأوّل من هذا المبحث، وتناول أمور متعلّقة بأحد جوانب الدراسات التداوليّة، والمقصود به الاستلزام الحواريّ في المطلب الثاني منه على أمل أن تكون الدراسة واضحة ومنظّمة ودقيقة قدر الإمكان.

المطلب الأوّل: التداوليّة

إنّ التداوليّة منهج حديث يتطلّب منّا الإضاءة على عدد من المفاهيم المتعلّقة به لتتّضح الصورة للقارئ بشكل أفضل. سأتناول في هذا المطلب عدّة تعاريف للتداوليّة مع بيان نشأتها، والإشكاليات التي تحاول معالجتها، وهدفها، وبعض الانتقادات الموجّهة إليها. وبما أنّ التداوليّة مرتبطة بسياق الكلام، فقد قرّرتُ بيان مفهوم السياق وعناصره. وسأنهي هذا المطلب بإيضاح مفهوم إستراتيجيّة الخطاب بسبب كون التداوليّة تتناول كيفيّة إيصال الخطاب بما يلائم قصد المتكلّم.

أوّلًا - تعاريف التداوليّة ونشأتها:

لقد تعدّدت المصطلحات التي تشير إلى التداوليّة عند العرب وغيرهم، كما تعدّدت تعريفاتها كثيرًا. و«التداوليّة أو التداوليّات أو البراغماتيّة أو البرجماتيّة أو الوظيفيّة أو السياقيّة... دوالّ متواترة في اللغة العربيّة في مقابل كلمة (Pragmaticus) اليونانيّة، المشتقّة من (Pragma) وتعني الحركة أو الفعل (Action) بيد أنّ مصطلح التداوليّة يظلّ الأكثر استعمالاً وشيوعًا بين الباحثين. وهو مصطلح مركّب من وحدتين إحداهما معجميّة (تداول) والأخرى صرفيّة (يّة) دالّة على مصدر صناعيّ. والدال والواو واللام في اللغة أصلان أحدهما يدلّ على تحوّل الشيء من مكان إلى مكان. والآخَر يدلّ على ضعف واسترخاء...»[١].

وقد عرّفها دلاش (Dalach) بقوله: «إنّها تخصّص لسانيّ يدرس كيفيّة استخدام الناس للأدلّة اللغويّة، في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعنى من جهة أخرى بكيفيّة تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث»[٢].

وعرّفها موريس بقوله: «إنّ التداوليّة جزء من السيميائيّة التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات»[٣].

وعرّفهـا وليـم أوجـرادي (William O'Grady) بقولـه: «يُطلـق مصطلـح التداوليّـة عـادة عـلى حزمـة المعـارف ذات الـدور المهـمّ في تفسـير معنـى الجملـة، وتشـتمل حزمـة المعـارف هـذه عـلى مخـزون المعتقـدات والأعـراف التـي لـدى كلّ مـن المتكلّـم والمخاطـب، كـما تشـتمل عـلى اسـتيعاب كلّ منهـما للسـياق الـذي تُسـتعمل فيـه الجملـة، وعـلى معرفتهـما -كذلـك- بالطـرق التـي توظّـف بهـا اللغـة لتوصيـل المعلومـات»»[٤].

وقيـل عنهـا أيضًـا: «دراسـة الآثـار اللغويّـة التـي تظهـر مـن الخطـاب، وتنظـر في عنـصر الذاتيّة للخطـاب، ويشـمل هـذا التـداول ضمائـر الشـخص ومبهـمات الزمـان والمـكان، وينظـر في الجانـب الضمنـيّ والتلميحـيّ والحجاجـيّ للـكلام، والسـياق يفـرض عـلى الباحـث احـترام مجموعـة مـن قوانـين الخطـاب في أثنـاء مخاطبتـه الآخـر»[٥].

وهـي أيضًـا «مذهـب لسـانيّ يـدرس علاقـة النشـاط اللغـويّ بمسـتعمليه، وطـرق وكيفيّـات اسـتخدام العلامـات اللغويّـة بنجـاح، والسـياقات والطبقـات المقاميّـة المختلفـة التـي ينجـز ضمنهـا الخطـاب، والبحـث عـن العوامـل التـي تجعـل مـن الخطـاب رسـالة تواصليّـة واضحـة وناجحـة، والبحـث في أسـباب الفشـل في التواصـل باللغـات الطبيعيّـة»[٦]. بينـما رأى الدكتـور محمـود أحمـد نحلـة أوجـز تعريـف لهـا وأقربـه إلى القبـول «دراسـة اللغـة في الاسـتعمال (in use) أو في التواصـل (in interaction)، لأنّـه يشـير إلى أنّ المعنـى ليـس شـيئًا متأصّـلاً في الكلـمات وحدهـا، ولا يرتبـط بالمتكلّـم وحـده، فصناعـة المعنـى تتمثّـل في تـداول (negotia-tion) اللغـة بـين المتكلّـم والسـامع في سـياق محـدّد (مـادّيّ، واجتماعـيّ، ولغـويّ) وصـولاً إلى المعنـى الكامـن في كلام مـا»[٧].

وأمّـا فيـما يخـصّ نشـأة هـذا المصطلـح، فـإنّ الفضـل الأوّل في اسـتحداثه يعـود «للفيلسـوف الأمريـكيّ شـارل بـيرس (Charls - Pierce) وهـذا في أواخـر القـرن التاسـع عـشر ومطلـع القـرن العشريـن، وهـذا مـن خـلال نـشره لمقالـة تحـت عنـوان (كيـف نجعـل أفكارنـا واضحـة)؟[٨]. ومـن ناحيـة الاسـتعمال «يعـود مصطلـح التداوليّـة بمفهومـه الحديـث إلى الفيلسـوف الأمريكيّ «تشـارلز موريـس» الـذي اسـتخدمه سـنة ١٩٣٨م، دالًّا عـلى فـرع مـن فـروع ثلاثـة يشـتمل عليهـا علـم العلامـات أو السـيميائيّة (Semiotics) هـذه الفـروع هـي:

١ - علم التراكيب.

٢ - علم الدلالة.

٣ - التداوليّة: وتهتمّ بدراسة علاقة العلامات بمفسّريها...»(٩).

ثانيًا - إشكاليّات إدراك المعنى التي تعالَج بالتداوليّة

إنّ التداوليّـة التـي عرّفتُهـا سـابقًا تحـاول الإجابـة عـن عـدّة إشـكاليّات في سـبيل إدراك المعنـى الـذي يريـد المرسِـل إيصالـه إلى المرسَـل إليـه. وقـد طـرح الباحثـون عـدّة أسـئلة لمحاولـة الإجابـة

عنها في الدراسة التداوليّة، وهي: «ماذا نصنع حين نتكلّم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلّم؟ لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدّنا بكذا، بينما في مقدوره أن يفعل؟ فمَن يتكلّم إذن؟ وإلى مَن يتكلّم؟ مَن يتكلّم ومع مَن؟ مَن يتكلّم ولأجل مَن؟ ماذا علينا أن نعمل حتّى يرتفع الإبهام عن جملة؟ ماذا يعني الوعد؟ كيف يمكننا قول شيء آخَر، غير ما كنّا نريد قوله؟ وهل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفيّ لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟ أيّ مقياس يحدّد قدرة الواقع الإنسانيّ اللغويّة؟»[١٠].

ثالثًا - هدف الدراسات التداوليّة

إنّ أهمّيّة أيّ منهج تكمن في مدى قدرته على تحقيق الأهداف الموضوعة له. وهذا ينطبق على المنهج التداوليّ في الدراسات اللغويّة أيضًا. وقد تناول الدكتور محمود عكاشة هدف التداوليّة التي يسمّيها البراجماتيّة اللسانيّة، فقال: «وهدف البراجماتيّة اللسانيّة الرئيس دراسة اللغة في حيّز الاستعمال متجاوزة حدود الوضع الأصليّ المباشر في بعض السياقات التي لا يقصد فيها المتكلّم الدلالة المباشرة من الكلام، بل يقصد المعنى السياقيّ غير المباشر، وهذه المعاني لا يمكن الوصول إليها إلّا من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال السياقيّ الذي يحدّد قصد المتكلّمين، والوضع اللغويّ وحده لا يكفي لتحقيق هذا المعنى، فبعض المعاني الثانويّة للتعبير كالسخرية والاستنكار والمدح والذمّ تستفاد من علاقته بالسياق الخارجيّ، وتدرس كذلك الأساليب الأدبيّة الخاصّة التي يوظّفها الكاتب في عمله الإبداعيّ ووجوه تأويلها والقصد منها...»[١١].

رابعًا - نقد التداوليّة

لا يسلم منهج دراسيّ للغة أو غيرها من وجود الأخطاء والمشاكل. وهذه طبيعة كلّ عمل بشريّ. وعلى الرغم من تحقيق العديد من الأهداف في الدراسات التداوليّة، إلّا أنّها لا تخلو من المشاكل والعيوب التي يجدها الباحثون المتخصّصون في هذا المجال. وقد ذكر الدكتور محمود عكاشة بعض الانتقادات الموجّهة إليها، فقال: «أ - أنّها ما زالت البراجماتيّة اللسانيّة في مراحل النضج والتطوير والتنظير والتطبيق، وأنّها ما زالت قابلة للزيادة والتبديل.

ب - أنّها ليس لها منهج واضح أو مجال بحثيّ محدّد، وهنالك توجّه في الدراسات المبكّرة إلى دراسة موضوعات خاصّة.

ج - أنّ الدراسات البراجماتيّة تتّسع لحقول معرفيّة، وتستخدم بعض أسسها ومناهجها،

وأكثرهـا أثـرًا علـم المنطـق، وتأثّـر الدارسـون بعلـم الرياضيّـات، ومـن ثـمّ ليـس لهـا منهـج واضـح في التحليـل.

د - أنّهـا لا تحظـى بمسـاحة بحثيّـة واسـعة في علـم اللسـان، فالبراجماتيّـون اللسـانيّون يتعصّبـون للبلاغـة أكـثر مـن تعصّبهـم لعلـم اللسـان الحديـث.

هـ - أنّهـا تفتقـد إلى القواعـد العامّـة والمبـادئ التـي تعـين أسسـها، ومـا تطرحـه مـن مبـادئ لا تضـع تصـوّرًا دقيقًـا للتفسـير...»[١٢].

خامسًا - مفهوم السياق وعناصره

لقـد ارتبطـت التداوليّـة بالسـياق بشـكل واضـح في التعاريـف. ولهـذا ارتأيـتُ تنـاول السـياق مـن ناحيـة المفهـوم والعنـاصر لمزيـد مـن الإيضـاح. فقـد قـال عبـد الهـادي الشـهريّ عـن مفهـوم السـياق مـا يـلي: «يمكـن القـول بـدءًا إنّ مصطلـح السـياق يطلـق عـلى مفهومـين:

١ - السياق اللغويّ.

٢ - سياق التلفّظ، أو سياق الحال، أو سياق الموقف.

فالمفهـوم الأوّل كان المفهـوم الأكـثر شـيوعًا في البحـث المعـاصر، فهـو الجـواب البدهـيّ عندمـا يتبـادر إلى الذهـن السـؤال الهـامّ، وهـو: «مـا السـياق؟ إنّـه حسـب المعجـم تلـك الأجـزاء مـن الخطـاب التـي تحـفّ بالكلمـة في المقطـع وتسـاعد في الكشـف عـن معناهـا، وسـوف ندعـو هـذا بالتعريـف النموذجـيّ»... ولهـذا تجـاوز الباحثـون التعريـف النموذجـيّ إلى التعريـف الأرحـب للسـياق، فأصبحـت «تُعـرَف مجموعـة الظـروف التـي تحـفّ حـدوث فعـل التلفّـظ بموقـف الـكلام [...]، وتسـمّى هـذه الظـروف، في بعـض الأحيـان، بالسـياق (Context)»[١٣].

وتنـاول أيضًـا عنـاصر السـياق الـذي تشـمل العنـصر الـذاتيّ والعنـصر الموضوعـيّ والعنـصر الـذواتيّ. فالعنـصر الـذاتيّ يشـمل معتقـدات المتكلّـم واهتماماتـه ورغباتـه ومقاصـده. والعنـصر الموضوعـيّ يشـمل الوقائـع الخارجيّـة المحيطـة بالقول وهـي الظـروف الزمانيّـة والمكانيّـة. والعنصر الـذواتيّ يشـمل المعرفـة المشـتركة بـين المتخاطبـين[١٤].

سادسًا - تعريف إستراتيجيّة الخطاب

إنّ التداوليّـة تـدرس الـكلام الموجّـه إلى المرسَـل إليه في سـياق معـيّن. ولهـذا من الأفضـل التعريف بإسـتراتيجيّة الخطـاب. ولكنّـي سـأذكر تعريـف الإسـتراتيجيّات والخطـاب قبلـه. فقـد عـرّف عبـد الهـادي الشـهريّ الإسـتراتيجيّات بقولـه: «فالإسـتراتيجيّات «طـرق محـدّدة لتنـاول مشـكلة مـا، أو القيـام بمهمّـة مـن المهـمّات، أو هـي مجموعـة عمليّـات تهـدف إلى بلـوغ غايـات معيّنـة، أو هـي تدابـير مرسـومة مـن أجـل ضبـط معلومـات محـدّدة، والتحكّـم بهـا»[١٥]. وعـرّف الخطـاب اللغـويّ

بقولـه: «أنّـه كلّ منطـوق بـه موجّـه إلى الغـير بغـرض إفهامـه مقصـودًا مخصوصًـا، مـع تحقيـق أهـداف معيّنـة»[١٦]. وبالتـالي فـإنّ إسـتراتيجيّة الخطـاب تعنـي «أنّ الخطـاب المنجـز يكـون خطابًـا مخطّطًـا لـه، بصفـة مسـتمرّة وشـعوريّة. ومـن هنـا، يتحتّـم عـلى المرسِـل، أن يختـار الإسـتراتيجيّة المناسـبة، التـي تسـتطيع أن تعـبرّ عـن قصـده وتحقّـق هدفـه بأفضـل حالـة...»[١٧].

المطلب الثاني: الاستلزام الحواريّ

تناولـت الدراسـات اللغويّـة العديـد مـن الأمـور المتعلّقـة بسـياق القـول، ومنهـا: الأفعـال الكلاميّـة والإشـاريّات والافـتراض المسـبق والحجـاج والاسـتلزام الحـواريّ. وسـأتناول في هـذا المطلـب الاسـتلزام الحـواريّ بـدءًا مـن تعريفـه وملاحظـة غرايـس لـه، ومنتقـلاً إلى ذكـر خواصّـه والـكلام عـلى مبـدأ التعـاون المتعلّـق بـه، ومـا يتعلّـق بـه مـن قواعـد تهذيـب الخطـاب عنـد لاكـوف ومبـدأ التصديـق عنـد طـه عبـد الرحمـن، وصـولاً إلى تعريـف الإسـتراتيجيّة التلميحيّـة ومسـوّغات اسـتعمال المرسِـل لهـا.

أوّلًا - تعريف الاستلزام الحواريّ وملاحظة غرايس له

الاسـتلزام العـرفيّ مرتبـط بالمعنـى الحـرفيّ للـكلام. وليـس هـذا موضـوع كلامنـا هنـا. ولكـنّ موضـوع كلامنـا هـو الاسـتلزام الحـواريّ الـذي سـتأتي بعـض تعريفاتـه.

وقبـل الـكلام عـلى تعريفاتـه، سـيتم تعريـف الاسـتلزام مـن الناحيـة اللغويّـة، حيـث «يـأتي الاسـتلزام (Implicature) بالإنجليزيّـة مـن الفعـل (Implicate) الـذي يعنـي أن تشـمل أو تضمـن شـيئًا.

وقـد أشـار الفيلسـوف المغـربيّ د. طـه عبـد الرحمـن - لمعنـى اللـزوم بقولـه: «فاللـزوم يفيـد معنـى «الانتقـال» إذ نقـول: «لـزم شيء مـن شيء» أي تولّـد منـه بنقلـة مخصوصـة؛ كـما أنّـه يسـتعمل بصـدد الأقـوال، فيقـال: «لـزم عـن قولـه كـذا ويسـمّى القـول الـذي يلـزم منـه قـول آخـر بـ»الملـزوم»، ويسـمّى هـذا القـول الآخـر بـ»الـلازم» ويفيـد اللـزوم كذلـك معنـى «الاقتضـاء» الـذي يتضمّـن مدلـول «الطلـب» فـإذا ألـزم شيء مـن شيء فقـد اقتضـاه هـذا الـشيء وطلبـه.

وقـد ورد «الاسـتلزام بمعنـى الاسـتنتاج»، فهـو حلقـة وصـل بـين المعنـى الحـرفيّ الصريـح والمعنـى المتضمّـن ويعـدّ مـن أهـمّ جوانـب البحـث التـداوليّ الـذي يعـول عـلى السـياق في معرفـة المعنـى»[١٨].

وعـرّف الدكتـور محمـود عكاشـة الاسـتلزام الحـواريّ رابطًـا إيّـاه بمبـدأ التعـاون الذي سـأتناوله لاحقًـا، فقـال: «الاسـتلزام الحـواريّ المعنـى المسـتفاد مـن السـياق، ويعـدّ مـن أهـمّ المبـادئ البراجماتيّـة اللسـانيّة (التداوليّـة)، ويعنـي أنّ التواصـل الكلامـيّ محكـوم بمبـدأ عـامّ (مبـدأ

التعـاون) وبمسـلّمات حواريّـة، وسـلامة القـول وقبولـه مـن قائلـه وملاءمتـه مسـتوى الحـوار، فبعـض جمـل اللغـات الطبيعيّـة، في بعـض المقامـات، تـدلّ عـلى معنـى غـير معنـى تركيبهـا اللفظـيّ...»[١٩].

ويسـتخدم البعـض مصطلـح (الاسـتلزام التخاطبـيّ) بـدلاً مـن (الاسـتلزام الحـواريّ). وتـمّ تعريفـه كالآتي: «هـو «عمـل المعنـى أو لـزوم شيء عـن طريـق قـول شيء آخـر، أو قـلْ إنّـه شيء يعنيـه المتكلّـم ويوحـي بـه ويقترحـه ولا يكـون جـزءًا مـمّا تعنيـه الجملـة بصـورة حرفيّـة».

إنّ الاسـتلزام التخاطبـيّ هـو لـون مـن ألـوان الإضـمار الحـواريّ، الـذي يرمـي إلى الوقـوف عـلى جملـة مـا التـداول الفعـليّ، فيفـسّر هـذه الجملـة ويؤوّلهـا وفقًـا للسـياق والظـروف المحيطـة بهـا، ويسترشـد في هـذا التأويـل بالسـيكولوجيا الشـعبيّة، فنحـن نسـتعين بـأيّ معرفـة عامّة تكون سـبيلاً لفهـم مـا يقـال. فـإذا افترضـتُ أنّي أسـأل ضيفًـا لي: هـل تـشرب بعـض القهـوة؟ فيجيبنـي الضيـف: القهـوة سـوف تبقينـي صاحيًـا، فإنّنـي أؤوّل هـذا القـول كرفـض للعـرض الـذي عرضـتُ عليـه»[٢٠].

إنّ مصطلـح الاسـتلزام الحـواريّ قـد ظهـر نتيجـة لملاحظـة غرايـس لـه مـع مجموعـة مـن الفلاسـفة، «فقـد لاحـظ غرايـس ومعـه مجموعـة مـن الفلاسـفة أنّ جمـل اللغـات الطبيعيّـة تـدلّ في بعـض المقامـات عـلى معنـى غـير محتواهـا القضـويّ، ويتّضـح ذلـك مـن خـلال الحـوار الآتي بـين الأسـتاذين (أ) و(ب):

الأستاذ (أ): هل الطالب (ج) مستعدّ لمتابعة دراسته الجامعيّة في قسم الفلسفة؟

الأستاذ (ب): إنّ الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

يـرى غرايـس أنّنـا إذا تأمّلنـا الحمولـة الدلاليّـة لإجابـة الأسـتاذ (ب) وجدناهـا تـدلّ عـلى معنيين اثنـين في نفـس الوقـت، أحدهـما حـرفيّ والآخر مسـتلزم.

- المعنى الحرفيّ: وهل أنّ الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين.

- المعنـى الاسـتلزاميّ: وهـو أنّ الطالـب المذكـور ليـس مسـتعدًّا لمتابعـة دراسـته في قسـم الفلسـفة، وهـذه هـي الظاهـرة التـي أطلـق عليهـا غرايـس مسـمّى الاسـتلزام الحـواريّ»[٢١].

ثانيًا - خواصّ الاستلزام الحواريّ

إنّ مصطلـح الاسـتلزام الحـواريّ الـذي أوضحتُـه يحمـل خـواصّ معيّنـة اكتشـفها غرايـس، وقـد ذكرهـا الدكتـور محمـود أحمـد نحلـة قائـلاً:

«١ - الاسـتلزام ممكـن إلغـاؤه defeasible، ويكـون ذلـك عـادة بإضافـة قـول يسـدّ الطريـق أمـام الاسـتلزام أو يحـول دونـه...

٢ - الاسـتلزام لا يقبـل الانفصـال detachable - non عـن المحتـوى الـدلاليّ، ويقصـد جرايـس بذلـك أنّ الاسـتلزام الحـواريّ متّصـل بالمعنـى الـدلاليّ لمـا يقـال لا بالصيغـة اللغويّـة التـي قيـل

بهـا، فـلا ينقطـع مـع اسـتبدال مفـردات أو عبـارات بأخـرى ترادفهـا...
٣ - الاسـتلزام متغـيّر، والمقصـود بالتغـيّر أنّ التعبـير الواحـد يمكـن أن يـؤدّي إلى اسـتلزامات مختلفـة في سـياقات مختلفـة...
٤ - الاسـتلزام يمكـن تقديـره Calculability والمـراد بـه أنّ المخاطـب يقـوم بخطـوات محسـوبة يتّجـه بهـا خطـوة خطـوة إلى الوصـول إلى مـا يسـتلزمه الـكلام...»[٢٢].

ثالثًا - مبدأ التعاون عند جرايس:

تـمّ ربـط تعريـف الاسـتلزام الحـواريّ بمبـدأ التعـاون عنـد غرايـس، ومن هنـا كانـت أهمّيّـة إدراك هـذه القواعـد لأجـل الدراسـة التطبيقيّـة في المبحـث الثـاني. فقـد تكلّـم عبـد الهـادي الشـهريّ على مبـدأ التعـاون (Cooperative Principles) عنـد جرايـس في بحثـه الموسـوم (المنطـق والحـوار)، فقـال: «... ويقصـد بـه ذلـك المبـدأ الـذي يرتكـز عليـه المرسِـل للتعبـير عـن قصـده، مـع ضمانـة قـدرة المرسَـل إليـه عـلى تأويلـه وفهمـه.

وصاغه على النحو التالي:
- ليكـن إسـهامك في الحـوار بالقـدر الـذي يتطلّبـه سـياق الحـوار، وبمـا يتوافـق مـع الغـرض المتعـارف عليـه، أو الاتّجـاه الـذي يجـري فيـه ذلـك الحـوار»[٢٣].

وذكر قواعده في موضع آخر مع التوصيات، فقال: «... وهذه القواعد هي:

١ - قاعدة الكمّ.

- اجعل إسهامك في المعلومة كمًّا يتطلّبه غرض المشاركة.
- لا تجعل إسهامك أكثر ممّا هو مطلوب.

١ - قاعدة الكيف.

- لا تقل ما تعتقد كذبه.
- لا تقل ما يعوزك الدليل عليه.

٢ - قاعدة العلاقة.

- كن وثيق الصلة بالموضوع.

- قاعدة (الطريقة).

- تجنّب الإبهام في التعبير.
- تجنّب الغموض.
- كن موجزًا.
- رتّب كلامك»[٢٤].

رابعًا - قواعد تهذيب الخطاب عند لاكوف

إنّ أحد دوافع خرق مبدأ التعاون هو الالتزام بالتهذيب أثناء خطاب الآخر. وقد تكلّم عبد الهادي الشهريّ على قواعد تهذيب الخطاب عند لاكوف، فقال: «وقد فرّعت (لاكوف) ثلاث قواعد عن مبدأ التأدّب سمّتها قواعد تهذيب الخطاب، إذ يتلفّظ المرسِل بخطابه وفقًا لواحد منها، أو أكثر، وهي:

- قاعدة (التعفّف) وهي:

لا تفرض نفسك على المرسَل إليه، أي لتبق متحفّظًا، ولا تتطفّل على شؤون الآخرين.

- قاعدة التخيير، وهي:

لتجعل المخاطب يتّخذ قراراته بنفسه، ودع خياراته مفتوحة.

- قاعدة (التودّد)، وهي:

لتظهر الودّ للمرسَل إليه، أي كن صديقًا»(٥٢).

خامسًا - مبدأ التصديق عند طه عبد الرحمن

في مقابل مبدأ التعاون ومبدأ التأدّب في الغرب، قدّم طه عبد الرحمن بديلاً بالاستناد إلى التراث الإسلاميّ يهتمّ بأسباب التبليغ والتهذيب، «ويسمّي نموذجه: مبدأ التصديق، ويصوغه كما يلي:

- لا تقل لغيرك قولاً لا يصدّقه فعلك.

وخلاصته أنّه «ينبني هذا المبدأ على عنصرين اثنين: أحدهما، نقل القول الذي يتعلّق [...] بالجانب التبليغيّ من المخاطبة، والثاني، تطبيق القول الذي يتعلّق [...] بالجانب التهذيبيّ منها » .

ويستخرج نوعين من القواعد، هما: قواعد التواصل، وقواعد التعامل.

فقواعد التواصل هي قواعد مضبوطة، وجدها مجتمعة ومفصّلة عند الماورديّ في كتابه أدب الدنيا والدين، وهي ما يسمّيها «شروط الكلام، [...] وهي أربعة:

- فالشرط الأوّل: أن يكون الكلام لداعٍ يدعو إليه، إمّا في اجتلاب نفع، أو في دفع ضرر.
- والشرط الثاني: أن يأتي به في موضعه، ويتوخّى به إصابة فرصته.
- والشرط الثالث: أن يقتصر على قدر حاجته.
- والشرط الرابع: أن يتخيّر اللفظ الذي يتكلّم به».

أمّا قواعد التعامل فهي:

- قاعدة القصد: لتتفقّد قصدك في كلّ قول تلقي به إلى الغير.
- قاعدة الصدق: لتكن صادقًا فيما تنقله إلى غيرك.
- قاعدة الإخلاص: لتكن في تودّدك للغير متجرّدًا عن أغرضك»[٢٦].

ادسًا - الإستراتيجيّة التلميحيّة

لقد تبيّن لنا أنّ الاستلزام الحواريّ وقواعد التهذيب والتأدّب تدفع بالمرء إلى التلميح في خطابه لتحقيق قصده بدلاً من التصريح به. ولهذا سأتناول الإستراتيجيّة التلميحيّة بشكل موسّع قليلاً في هذا القسم من المطلب. ولا بدّ بداية من تعريفها، فالإستراتيجيّة التلميحيّة هي «الإستراتيجيّة التي يعبرّ بها المرسِل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفيّ. لينجز بها أكثر ممّا يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرّد المعنى الحرفيّ لخطابه، فيعبرّ عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرًا في ذلك عناصر السياق»[٢٧].

إنّ استعمال هذه الإستراتيجيّة في الخطاب تقف مسوّغات عدّة وراءه، وقد ذكرها عبد الهادي الشهريّ، فقال: «ويمكن الإشارة إلى أهمّ المسوّغات التي ترجّح استعمال المرسِل للإستراتيجيّة التلميحيّة، وهي كما يلي:

١ - التأدّب في الخطاب...

٢ - إعلاء المرسِل لذاته على حساب الآخرين وإضفاء التفوّق عليها...

٣ - رغبة المرسِل، أحيانًا، في التملّص والتهرّب من مسؤوليّة الخطاب...

٤ - استجابة للخوف...

٥ - العدول عن محاولة إكراه المرسَل إليه أو إحراجه لإنجاز فعل قد يكون غير راغب في إنجازه، بمنحه فرصة للرفض والمناورة باللغة...

٦ - الاستغناء عن إنتاج عدد من الخطابات والاكتفاء بإنتاج خطاب واحد ليؤدّي معنيين هما المعنى الحرفيّ والمعنى المستلزم في الآن نفسه...»[٢٨].

المبحث الثاني: المعاني المستلزمة عن الأساليب الخبريّة والإنشائيّة الطلبيّة في ديوان الأمير شكيب أرسلان

بعد تناول التداوليّة والاستلزام الحواريّ في المبحث الأوّل، ينتقل هذا المبحث إلى دراسة الاستلزام الحواريّ في شعر الأمير شكيب أرسلان[٢٩] في ديوانه.

وقد توزّعت قصائده في هذا الديوان على أربعة أقسام إضافة إلى ملحق به ذكر فيه قصائد غير منشورة سابقًا. تناول في القسم الأوّل منه المراسلات الساميّة، وفي القسم الثاني المساجلات الشعريّة والمفاكهات الأدبيّة، وفي القسم الثالث مراثي العلماء والأدباء والكبراء، وفي القسم الرابع المدائح السلطانيّة وشؤون السياسة العثمانيّة.

وذكر مناسبات قول العديد من القصائد، يساعد بصورة كبيرة على دراسة الأبيات تداوليًّا. ويحتوي هذا المبحث على مطلبين: يتناول المطلب الأوّل المعاني المستلزمة عن الأساليب الخبريّة في الديوان. بينما يتناول المطلب الثاني المعاني المستلزمة عن الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة في الديوان.

المطلب الأوّل: المعاني المستلزمة عن الأساليب الخبريّة في الديوان

الأسلوب الخبريّ هو الأسلوب الذي يتضمّن كلامًا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته. ويحمل غرضين أساسيّين. الغرض الأوّل إعلام السامع بمضمون الخبر لكونه يجهله تمامًا، ويسمّى فائدة الخبر. وأمّا الغرض الثاني، فإفادة السامع بأنّ الخبر معروف لدى المتكلّم، ويسمّى لازم الفائدة. وقد يُستخدم الأسلوب الخبريّ لأغراض أخرى تستفاد من سياق الكلام، ومنها: الاسترحام والاستعطاف، وتحريك الهمّة إلى ما يلزم تحصيله، وإظهار الضعف والخشوع، وإظهار التحسّر والتحزّن، وإظهار الفرح بمقبل والشماتة بمدبر، والتوبيخ، والتذكير بما بين المراتب من التفاوت[٣٠]. وسأتناول في هذا المطلب بعض المعاني المستلزمة عن الأسلوب الخبريّ في الديوان.

أوّلًا - المدح والثناء

وهما من المعاني الذي خرج إليها الأسلوب الخبريّ في مواضع عدّة في الديوان. فقد قال الشاعر أرسلان في أحد الأبيات عن الشاعر المشهور المرحوم إسماعيل باشا صبري عندما كان محافظًا لثغر الإسكندريّة (من الكامل):

«لمْ تدرِ مثلَكَ في الولاةِ ولا درَتْ * تلكَ المنارُ الغرُّ مثلَ هُداكَ»(١٣)

قصد الشاعر أرسلان هنا مدح المخاطب والثناء عليه بأنّه مميّز عن كلّ الولاة السابقين بكثرة خيره، وأنّ هُداه لا مثيل له.

وقال في موضع ثانٍ أثناء معارضته لقصيدة عن السيّد المهديّ، وهو عمّ المجاهد الأكبر السيّد أحمد الشريف السنوسيّ (من الخفيف):

«هو بحرُ الشريعةِ ابنُ السنوسيِّ * الذي عنهُ سارَتِ الأنباءُ»(٢٣)

قصد الشاعر هنا مدح السيّد السنوسيّ والثناء عليه بأنّه صاحب علم عظيم في اختصاص الشريعة كالبحر العظيم المياه، وأنّه معروف بين الناس بفضل أعماله الخيّرة العظيمة.

وقال في موضع ثالث أثناء كلامه في رثاء المرحوم أحمد مختار بَيْهَم (من الكامل):

«إذ سيفُ رأيِكَ في الحوادثِ فيصَلٌ * وندى يمينِكَ ديمةٌ مدرارُ»(٣٣)

قصد الشاعر هنا الثناء على المرحوم أحمد مختار بَيْهَم بأنّ رأيه فاصلٌ في المصائب، ولا أحد يردّ رأيه بسبب صوابيّته، وأنّ عطاءه مستمرّ للناس بكثرة مثل الغيمة التي يتساقط منها المطر بغزارة.

ثانيًا - الدعاء

بدا هذا المعنى في أساليب خبريّة عدّة في الديوان، فقد قال الشاعر في أحد المواضع في خطابه الموجّه إلى الخديويّ محمّد توفيق باشا في الإسكندريّة (من الطويل):

«فلا شغفَتْ لي بالمكارمِ مُهجةٌ * ولا عزَّ آبائي ولا طاب محتِدي»(٤٣)

قصد الشاعر هنا بناء على الأبيات السابقة دعاء الله عزّ وجلّ بأن يزيل تعلّق روح الشاعر الشديد بالمكارم، وأن يزيل عزّ آبائه وأن يفسد طبعه إذا لم يكن شعره بحقّ الخديويّ ملائمًا لعلوّ مقامه.

وقال في موضع ثانٍ أثناء رثائه لأمير الشعر أحمد بك شوقي (من الكامل):

«يُضفي عليكَ اللهُ ثوبَ نعيمِهِ * واللهُ لا تُحصى ضروبُ هباتِهِ»(٥٣)

قصد الشاعر هنا دعاء ربّه بأن يعطي المرحوم نعيمًا يُحيط به كالثوب، وأن يكون هذا النعيم من جملة الهبات الكثيرة جدًّا ليتمتّع المرحوم بأصنافه.

وقال في موضع ثالث أثناء رثائه لمفخرة المغرب المرحوم الحاجّ عبد السلام بنونه (من البسيط):

«أثواكَ ربُّكَ في أفياءِ جنّتِهِ * مُمتِع الروحِ في رَوْحٍ ورَيحانِ»(٦٣)

قصد الشاعر هنا دعاء ربّه بأن يُنزل المرحوم في الأماكنِ الجميلةِ في الجنّةِ حيثُ الأفياءُ التي اعتاد العربيّ أن يرتاح فيها للتخلّص من حرارة الشمس، وأن تكون حياته مليئة بالسعادة والراحة والرحمة والرزق بعد موته.

ثالثًا - التعجّب

وقد ظهر هذا المعنى في أساليب خبريّة عدّة في الديوان. فقد قال الشاعر في أحد المواضع في خطابه الموجّه إلى الأديب الكبير خليل بك مردم بك بعدما نظم الشاعر قصيدة غزليّة

بفتاة حسناء تشتغل في معمل سعادة الشهم الأمثل محمّد بك راسم للقطن بطرطوس (من الكامل):

«تُدعى الأسيرةَ إلّا أنّ غزاتَها * عادَتْ لها أسرى تذوبُ نفوسُها»(٧٣)

قصد الشاعر هنا التعجّب من قدرات هذه الفتاة الحسناء، فهي على الرغم من أنّها شبه حبيسة في المعمل دون سلطة على غيرها، لكنّ العاشقين لها ارتبطوا بها بشدّة فصاروا كالأسرى خاضعين لها تشعر نفوسهم بالذوبان شوقًا ومحبّة لها.

وقال عن الفتاة الحسناء نفسها في موضع ثانٍ (من الكامل):

«نفذَتْ لها بينَ الجوانحِ نظرةٌ * فيها يضِلُّ الطبَّ جالينوسُها»(٨٣)

قصد الشاعر هنا التعجّب أيضًا، ولكن من قوّة تأثير نظرتها في قلب الغير وفكره، فيصيبه الضياع والتشتّت إلى درجة كبيرة بحيث يضلّ أشهر الأطبّاء (جالينوس) في عمله، فتأخذ بلباب عقله، وتُفقِده رشده.

وقال عن هذه الفتاة أيضًا في موضع ثالث (من الكامل):

«باتَتْ تُقلّبُ في ضعيفِ بنانِها * أسدًا تضيقُ بهِ الأُسودُ وخيسُها»(٩٣)

وقصد الشاعر هنا التعجّب أيضًا، ولكنّ من قوّة تأثير بنانها في العاشقين. فهذا البنان الجميل الضعيف يستطيع تقليب أحوال العاشق الشجاع الذي يخاف منه الشجعان، ولا ينضبط بسهولة كالأسَد الذي تخافه الأسودُ في الغابة، فيصير عبدًا ذليلاً مطيعًا رهن إشارة بنانها.

رابعًا - التعظيم

بان هذا المعنى في أساليب خبريّة عدّة في الديوان. فقد قال الشاعر في خطابه الموجّه إلى الشاعر الكبير المرحوم السيّد عبد الحميد الرافعيّ وعدد من أدباء الشام المحتفلين بعيد ميلاده الخمسين في طرابلس الشام (من البسيط):

«مدينةٌ جادَها الباري برحمتِهِ * منَ الخصائصِ ما عن غيرِها حبَسا»(٠٤)

قصد الشاعر هنا تعظيم قدر مدينة طرابلس الشام بما منّ الله عليها من الرحمات والخصائص المميّزة الرائعة التي لا تمتلكها مدن أخرى.

وقال في موضع ثانٍ في رثائه لصديقه المرحوم أمين بك فكري (من الطويل):

«وما زالَ فقدُ البدرِ للناسِ موجِعًا * وفي الليلةِ الدهماءِ أنكى وأوجعا»(١٤)

قصد الشاعر هنا تعظيم قدر الميت والمبالغة في عظم أثر فقده بين الناس. فهو كالبدر للناس في نشر الهداية، وكما أنّ فقدان البدر في الليلة الظلماء مصيبة عظيمة وموجعة للناس، فإنّ فقدانه في هذه الظروف التي يعمّ فيها الظلم والضلال أصعب على الناس.

وقال في موضع ثالث في رثائه للمرحوم محمود سامي باشا (من البسيط):

«هانَتْ بمصرعِكَ الأرزاءُ أجمعُها * فليسَ يُجْزَعُ مِنْ رُزْءٍ ولو عَظُما»(٢٤)

قصد الشاعر هنا أيضًا تعظيم قدر المصيبة الحاصلة بموت المرحوم. فكلّ المصائب الشديدة سهلة على الشاعر مقابل هذا المصاب الجلل بوفاة محمود سامي باشا، وما عاد يُخاف من أيّ مصيبة عظيمة أمام هول المصيبة الحاصلة بمصرع هذا الشخص.

خامسًا - الغزل

هذا المعنى من المعاني المستلزمة عن الأسلوب الخبريّ في مواضع عدّة في الديوان. فقد قال الشاعر عن الفتاة الحسناءِ العاملة بالقطن التي تكلّمتُ عليها سابقًا (من الكامل):

«القطنُ يهزأ بالدمقسِ بكفّها* والخزُّ ودَّ لو أنّهُ ملموسُها»(٣٤)

قصد الشاعر هنا التغزّل بجمال كفّ الفتاة الحسناء. فالقطن الذي بكفّها أعظم من الحرير الأبيض بسبب ملامسته كفّها الناعم، وملمس كفّها من الليونة والنعومة ما يفوق الحرير، بحيث لو كان الخزّ أي أحسن الحرير إنسانًا، لأراد أن يلمس كفّها؛ لأنّه أنعم منه وألين.

وقال في موضع ثانٍ عن الفتاة الحسناء عينها (من الكامل):

«وسرقْتُ نظمًا منْ مباسِمِ ثغرِها * دررًا يعزُّ بمثلها قاموسُها»(٤٤)

قصدَ الشاعر هنا التغزّل بثغر الفتاة. فهو من الجمال ما دفعه لسرقة النظم من مباسمه لكي يكون نظمه للشعر من الجمال الذي يلائم جمال ثغرها كالدرر الثمينة الجميلة.

سادسًا - التحقير

وهذا المعنى هو المعنى الأخير المستلزم الذي سأتناوله في هذا المطلب نظرًا للحجم المسموح به في الأبحاث العلميّة المحكّمة. فقد قال الشاعر في خطابه الموجّه إلى العرب والمسلمين وأمير المؤمنين لصدّ الهجوم الإيطاليّ على طرابلس الغرب (من الطويل):

«إذا عالَمَ الإسلامِ أولاكَ شكرَهُ * فما لذبابِ بُلغةٍ بطنينِها»(٥٤)

قصد الشاعر هنا تحقير قدر المعارضين لأمير المؤمنين الذي يشكره العالم الإسلاميّ. فكما أنّ طنين الذباب مزعِج محتقَر، فإنّ كلام المعارضين لأمير المؤمنين محتقَر بين الناس. وبالغ في الاحتقار أكثر عندما ربط الذباب بالبلغة، والبلغة حذاء مغربيّ تقليديّ.

وقال في موضع ثانٍ عن المعركة بين صلاح الدين والصليبيّين (من الوافر):

«ضياغِمُ أجفَلوا وقدْ نظروا * حُمْرَ المنايا كأنّهم حُمُرُ»(٦٤)

قصد الشاعر هنا تحقير الصليبيّين الجبناء في المعركة. فهم على الرغم من قوّتهم العسكريّة كالأسود، قد خافوا من المحاربين المسلمين الشجعان، ونظروا إليهم على أنّهم سيقتلونهم لا محالة، وصاروا مثل الحُمُر الضعيفة الفارّة من أعدائها. فانتقلوا من حال القوّة إلى الضعف والمذلّة أمام المسلمين المحاربين.

المطلب الثاني: المعاني المستلزمة عن الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة في الديوان

الأسلوب الإنشائيّ الطلبيّ هو الأسلوب الذي لا يتضمّن كلامًا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته، ويستدعي مطلوبًا غير خاصل وقت الطلب. وصيغه عديدة، منها: الأمر، النهي، الاستفهام، النداء، التمنّي، واسم فعل الأمر... وسأقتصر في هذا المطلب على دراسة المعاني المستلزمة عن أسلوب الاستفهام، وأسلوب الأمر، وأسلوب النهي، وأسلوب النداء.

أوّلًا - المعاني المستلزمة عن أسلوب الاستفهام

الاستفهام هو طلب فهم شيء يجهله السائل في الأصل. وقد يخرج عن هذا المعنى ليفيد معاني أخرى من سياق الكلام. ومن أغراض الاستفهام: الإنكار، التعجّب، التأنيب والتوبيخ، الأمر الملطّف، النفي، الاستبعاد، التحقير، التعظيم، التهكّم، التحسّر واللوعة، التقرير، والتشويق...

١ - **النفي والتعظيم:** وهما من المعاني التي خرج إليها أسلوب الاستفهام في مواضع عدّة في الديوان. فقد قال الشاعر في خطابه الموجّه إلى محمود سامي باشا البارودي (من الكامل):

«أضحى يطارِحُني القريضَ وهل ترى * منْ إصبعٍ يومًا يُقاسُ بأذرعِ؟»(٧٤)

قصد الشاعر هنا نفي أن **يقاس** شعره بشعر محمود سامي باشا كما لا يقاس الإصبع بالأذرع. وفيه تعظيم أيضًا لقيمة شعر البارودي.

وفي موضع آخَر في خطابه الموجّه إلى العلّامة محمّد أفندي كرد علي بعدما حاول والي الشام ناظم باشا القبض عليه نتيجة وشاية، وفراره إلى الغوطة، وتوسّط الشاعر لعفو الوالي عنه ، قال الشاعر (من المتقارب):

«فهلْ يُطفئون بأفواهِهم * منَ النورِ ما قدْ رآهُ الأمَمْ؟»(٨٤)

قصد الشاعر هنا نفي قدرة الوشاة على الحطّ من قيمة محمّد كرد علي بكلامهم كما لا يستطيع الناس إطفاء نور الشمس الذي يراه الأمم بنفخ الهواء من أفواههم. وفيه تعظيم أيضًا لقيمة العلاّمة محمّد كرد علي بين الناس.

٢ - **الإنكار:** وفيه رفض للحكم وإعابة له. وبدا هذا المعنى في مواضع عدّة في الديوان. فقال الشاعر في خطابه الموجّه إلى الأديب الكبير خليل بك مردم بك المتعلّق بالفتاة الحسناء العاملة بالقطن (من الكامل):

«أظننْتَ شطرَ الحبِّ خصَّكَ مفردًا * وسواكَ في أقسامِها مبخوسُها؟»(٩٤)

قصد الشاعر هنا إنكار ظنّ الأديب أنّ شطر الحبّ الموجّه للجنس الآخَر مخصوص بالأديب، وأنّ الآخرين لا يستحقّون أن يقعوا في الحبّ ومن ضمنهم الشاعر. ويكون حقّه في الحبّ مبخوسًا.

وقالَ في موضع آخَر من القصيدةِ نفسِها (من الكامل):

«أيكونُ مثلي شاعرًا وأكونُ مَنْ * لم يجتذبْهُ منَ الوجوهِ أنيسُها»(٠٥)

قصد الشاعر هنا أيضًا إنكار **ظنّ** الأديب خليل بك مردم بك أنّ أرسلان شاعر لا تجتذبه الوجوه الحسنة الأنيسة. فمن طبيعة الشعراء أن ينجذبوا إلى مواطن الجمال، ومن ضمنها الوجوه الحسنة عند النساء.

ثانيًا - المعاني المستلزمة عن أسلوب الأمر

الأمر هو طلب القيام بأمر إلى المخاطب على وجه الوجوب والإلزام. وقد يخرج عن هذا المعنى ليفيد معاني أخرى من سياق الكلام. ومن أغراض الأمر: الدعاء، الالتماس، التمنّي، التوبيخ، النصح والإرشاد، التهديد، التحقير، التسليم، التعجّب...

١ - **الدعاء:** وهو من المعاني التي خرج إليها أسلوب الأمر في مواضع عدّة في الديوان. فقد قال الشاعر في رثائه للشيخ عبد العزيز جاويش بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته (من الكامل):

«أمطِرْ على ذاكَ الثرى غيثَ الرضى * واجعلْهُ ربِّ لدى عُلاكَ نزيلا»(١٥)

قصد الشاعر هنا دعاء ربّه بأن يُنزل الغيث على تراب الفقيد نتيجة رضوانه عنه، وأن يجعل روح الفقيد في جنّته العالية. وكلّ هذا تعبير عن الحبّ العظيم الذي يكنّه الشاعر للفقيد.

وقال في موضع آخَر من القصيدة عينها (من الكامل):

«قدْ كانَ فعّالَ الجميلِ حياتَهُ * فأثبْهُ في دارِ المعادِ جميلا»(٢٥)

قصد الشاعر هنا دعاء ربّه بأن يُثيب الفقيد في الآخرة بالشيء الجميل وهو أن يسكن الجنّة متنعّمًا بها مثلما كان الفقيد فعّالاً للجميل في حياته. وجزاء الإحسان الإحسان.

٢ - **النصـح والإرشـاد:** بـدا هـذا المعنـى في مواضـع عـدّة في الديـوان. فقـد قـال الشـاعر في خطابـه الموجّـه إلى متـصرّف جبـل لبنـان نعّـوم باشـا بمناسـبة وفـاة والدتـه (مـن الطويـل):

«تأمّلْ فما في العمرِ غيرُ مصائبٍ * وما الناسُ إلّا بين باكٍ وواجدِ»(٣٥)

قصـد الشـاعر هنـا نصـح نعّـوم باشـا وإرشـاده إلى التأمّـل في هـذه الحيـاة المليئـة بالمصائـب والنـاس الباكـين الواجديـن. فهـي لا تسـتحقّ التمسّـك بهـا للتنعّـم.

وقال في موضع آخَر في رثائه للمرحوم أحمد مختار بَيْهَم (من الكامل):

«قد كانَ عهدُكَ للرفاقِ: تذكّروا * حقَّ البلادِ وأنّكمْ أحرارُ»(٤٥)

قصـد الشـاعر هنـا نقـل نصـح الفقيـد وإرشـاده لرفاقـه بـأن يتذكّـروا حـقّ البـلادِ وأنّهـم أحـرار عـبر الحفـاظ عليهـا والدفـاع عنهـا وعـدم الخضـوع والـذلّ أمـام الأعـداء حتّـى يعيـش الرفـاق وبقيّـة الشـعب براحـة وسـعادة فيهـا.

٣ - **التسـليم:** ظهـر هـذا المعنـى في مواضـع عـدّة في الديـوان. فقـد قـال الشـاعر في رثائـه للمرحـوم محمـود سـامي باشـا (مـن البسـيط):

«فاذهبْ عليكَ تحيّاتُ المهيمنِ ما * همى بترُبِكَ دمعُ المُزنِ منسجما»(٥٥)

قصـد الشـاعر هنـا التسـليم بقضـاء اللـه وقـدره بذهـاب المرحـوم عـن هـذه الدنيـا عـلى الرغـم مـن حبّـه الشـديد للمـرثيّ طالبًـا أن تسـتمرّ تحيّـات اللـه عليـه ليهنـأ بالعيـش في الآخـرة.

وقال في موضع آخَر في رثائه للمرحوم محمّد بك فريد (من الكامل):

«نَمْ يا فريدُ على يقينِكَ إنّهُ * يوم تأذّنَ بالخلاصِ عتيدا»(٦٥)

قصـد الشـاعر هنـا التسـليم بقضـاء اللـه وقـدره بمـوت فريـد بـك الـذي يبـدو كالنائـم مـع الحفـاظ عـلى يقينـه باللـه تعـالى.

ثالثًا - المعاني المستلزمة عن أسلوب النهي:

النهـي طلـب كـفّ المخاطـب عـن القيـام بأمـر معـيّن في المسـتقبل عـلى وجـه الوجـوب والإلـزام. وقـد يخـرج عـن هـذا المعنـى ليفيـد معـاني أخـرى في سـياق الـكلام. ومـن أغـراض النهـي: الدعـاء، الالتـماس، التمنّـي، التوبيـخ، النصـح والإرشـاد، التهديـد، التيئيـس، التحقـير، والتسـليم...

١ - **التحذيـر:** وهـو مـن المعـاني التـي خـرج إليهـا أسـلوب النهـي في الديـوان, فقـد قـال الشـاعر في خطابـه بمناسـبة اسـترجاع الدولـة العثمانيّـة مدينـة أدرنـة وتوابعهـا بعـد الحـرب البلقانيّـة المشـؤومة (مـن الطويـل):

«فلا يطمعنَّكم في أدرنةَ مطمعٌ * ولا تفتحوا في شأنها أبدًا فَما»(٧٥)

قصد الشاعر هنا تحذير أعداء الدولة العثمانيّة الغربيّين من الطمع مجدّدًا في أدرنة، ومن ذكرها بسوء في كلامهم؛ لأنّ العقاب الشديد سيصيبهم بعد القيام بهذين الأمرين.

وقال في موضع آخَر في كلامه المتعلّق بهجوم الطليان على طرابلس الغرب (من الطويل):

«فلا يغترِرْ قومٌ بظاهرِ لينِنا * فما الصعدةُ السمراءُ هونًا بلينِها»(٨٥)

قصد الشاعر هنا تحذير الطليان من الاغترار باللين الظاهر في المسلمين؛ لأنّهم سيلقون مقاومة كبيرة تكبّدهم الكثير من الخسائر.

٢ - **المواساة:** بدا هذا المعنى أيضًا في الديوان. فقد قال الشاعر في خطابه الموجّه إلى محمود سامي باشا لرثاء ابنته (من الخفيف):

«لا تخَلْ كنْتَ في الفجيعةِ فردًا * كلُّ قلبٍ لجرحِ قلبِكَ دامِ»(٩٥)

قصد الشاعر هنا مواساة والد الفقيدة والتخفيف من آلامه؛ لأنّ الجميع حزين معه على موت ابنته. فهم يشاركونه المأساة والمعاناة.

وقال في موضع آخَر في خطابه الموجّه إلى العلّامة محمّد أفندي كرد علي بعد الحادثة الشهيرة مع الوالي ناظم باشا (من المتقارب):

«فيا كردُ لا تُحزِنَنْكَ الخطوبُ * فإنّ الهمومَ بقدرِ الهِمَمْ»(٠٦)

قصد الشاعر هنا مواساة العلّامة والتخفيف من الآلام التي أصابته بعد فراره في الغوطة، ووشاية أحد الناس به إلى الوالي. وذلك لأنّ همّته كبيرة، ومن الطبيعيّ أن تكون الهموم على قدر صاحب الهمّة ومسؤوليّته في المجتمع.

رابعًا - المعاني المستلزمة عن أسلوب النداء

النداء دعوة المخاطب إلى المجيء أو الإصغاء إلى ما يريده المنادي. وقد يخرج عن هذا المعنى ليفيد معاني أخرى في سياق الكلام. ومن أغراض النداء: الاستغاثة، الندبة، الزجر، التحقير، المدح والتعظيم، التعجّب، والتوسّل.

١ - **المدح والتعظيم:** وهو من المعاني التي خرج إليها أسلوب النداء في الديوان. فقد قال الشاعر في أحد المواضع في خطابه الموجّه إلى الشاعر المشهور المرحوم إسماعيل باشا صبري (من الكامل):

«وإليكَ يا ملِكَ القريضِ قصيدةً * وقفَتْ على خجلٍ ببابِ عُلاكا»(١٦)

قصد الشاعر هنا مدح المخاطب والرفع من قدره بوصفه ملكًا للشعر بكلّ ميّزاته الفنّيّة. فقد أرسل إليه قصيدة لا ترتقي بمستواها إلى مستوى شعر المخاطب.

وقال في موضع آخر في رثائه لأخيه نسيب (من البسيط):

«ولا ذكرْتَ امرءًا يومًا بمنقصةٍ * يا أبعدَ الناسِ عن قيلٍ وعن قالِ»(٢٦)

قصد الشاعر هنا تعظيم قدر أخيه المرحوم البعيد عن نقل الكلام للإفساد بين الناس، والذي لا يتكلّم بسوء على أيّ إنسان.

٢ - **الدعاء:** بدا هذا المعنى أيضًا في الديوان. فقد قال الشاعر في رثاء الشيخ عبد العزيز جاويش في الذكرى الأربعين لوفاته (من الكامل):

«يا أيُّها المولى بحبّكَ قد مضى * (عبدُ العزيزِ) مُتيّمًا متبولا»(٣٦)

قصد الشاعر هنا دعاء الله عزّ وجلّ ليكرم الشيخ عبد العزيز في الآخرة بسبب حبّه الشديد لله تعالى في حياته. ويطلب أن يكون عطاء الله عظيمًا للمرحوم مقابل حبّه العظيم لله سبحانه وتعالى.

وقال في موضع آخَر في رثائه لصديقه كامل بك الأسعد (من البسيط):

«يا ربِّ أمطِرْ ثراهُ كلَّ غاديةٍ * تخضلُّ منها بقاعٌ حولَهُ ورُبى»(٤٦)

قصد الشاعر هنا دعاء ربّه سبحانه وتعالى لكي يُنزل الأمطار على البقاع والربى المحيطة بقبر الفقيد، فيظهر الخير حوله في الدنيا كما كان مصدرًا للخير في حياته.

الخاتمة (الاستنتاجات)

توصّل البحث إلى نتائج ثرّة متعلّقة بالجانبين النظريّ والتطبيقيّ. ومن أبرزها في الجانب التطبيقيّ اللصيق الصلة بخصوصيّة هذه الدراسة: إفادة بعض الأساليب الخبريّة في الديوان الدعاء والمدح والتعظيم والتعجّب والغزل والتحقير، وإفادة بعض الأساليب الإنشائيّة الطلبيّة الدعاء والمدح والتعظيم والنصح والتسليم والمواساة.

وأهمّ ما توصّلت إليه هذه الدراسة:

١ - التداوليّة تخصّص لسانيّ حديث يدرس اللغة في الاستعمال لبيان قصد مستعملها حسب السياق الواردة فيه.

٢ - ظهر مصطلح التداوليّة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كأحد فروع علم العلامات.

٣ - طرح الباحثون مجموعة من الأسئلة المتعلّقة باستعمال اللغة لمحاولة الإجابة عنها في الدراسات التداوليّة.

٤ - هدف التداوليّة دراسة اللغة في الاستعمال للوصول إلى المعنى الضمنيّ للكلام أو قصد المتكلّم.

٥ - وُجّهت انتقادات عدّة إلى التداوليّة من أبرزها تشعّبها وعدم وضوح مفاهيمها بالقدر الكافي.

٦ - السياق يشمل السياق اللغويّ الظاهر في الكلام، وسياق الموقف المتعلّق بظروف إنتاج الكلام.

٧ - عناصر السياق تشمل معتقدات المتكلّم ورغباته ومقاصده والظروف الزمانيّة والمكانيّة والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين.

٨ - إستراتيجيّة الخطاب تعني المخطّط المتّبع من المتكلّم لإيصال قصده بأفضل صورة إلى المخاطب.

٩ - الاستلزام الحواريّ يعني استنتاج المعنى الضمنيّ من كلام المتكلّم وفقًا لظروف الخطاب.

١٠ - وجد غرايس أنّ الكلام يحمل معنًى حرفيًّا ومعنى مستلزمًا مستنتجًا من سياق الكلام.

١١ - يتميّز الاستلزام الحواريّ بإمكانيّة إلغائه وعدم قبوله للانفصال عن المحتوى الدلاليّ، وتغيّره حسب السياقات المختلفة، وإمكانيّة تقديره.

١٢ - يرتكز المرسِل على مبدأ التعاون للتعبير عن قصده مع ضمانة قدرة المرسَل إليه على فهمه وتأويله.

١٣ - تشمل قواعد تهذيب الخطاب عند لاكوف على قاعدة التعفّف وقاعدة التخيير وقاعدة التودّد.

١٤ - يقوم مبدأ التصديق الذي قدّمه طه عبد الرحمن على عدم القول للغير ما لا يصدّقه الفعل.

١٥ - يستخدم المرسِل الإستراتيجيّة التلميحيّة للتعبير عن قصده بما يغاير المعنى الحرفيّ للخطاب مستفيدًا من عناصر السياق.

١٦ - توجد عدّة مسوّغات لاستخدام المرسِل الإستراتيجيّة التلميحيّة كالتأدّب في الخطاب وإظهار تفوّقه والتهرّب من مسؤوليّته واستجابته للخوف.

١٧ - أفادت الأساليب الخبريّة في الديوان المدح والثناء، والدعاء، والتعجّب، والتعظيم، والغزل، والتحقير.

١٨ - أفاد أسلوب الاستفهام في الديوان النفي والتعظيم والإنكار.

١٩ - أفاد أسلوب الأمر في الديوان الدعاء، والنصح والإرشاد، والتسليم.

٢٠ - أفاد أسلوب النهي في الديوان التحذير والمواساة.

٢١ - أفاد أسلوب النداء في الديوان المدح والتعظيم والدعاء.

التوصيات

هـذه التوصيـات موجهـة إلى الباحثـين في مجـال الدراسـات اللسـانيّة المعـاصرة لعلّهـا تفيدهـم في إنتـاج الدراسـات والأبحـاث التـي تُغنـي مكتبتنـا العربيّـة، وهـي:

١ - يُستحسـن القيـام بدراسـة ديـوان الأمـير شـكيب أرسـلان تداوليًّـا بشـكل موسّـع عـبر دراسـة الأفعـال الكلاميّـة والافـتراض المسـبق والإشـاريّات والحجـاج فيـه.

٢ - يُستحسـن القيـام بدراسـة الإنتـاج الأدبيّ عنـد الشـعراء والأدبـاء الذيـن وردت أسـماؤهم في الديـوان عـبر مناهـج الدراسـات الحديثـة.

٣ - يُستحسـن البحـث عـن النصـوص النثريّـة أو الشـعريّة التـي قيلـت في مناسـبة محـدّدة أو في شـخصيّة معيّنـة، ودراسـتها لبيـان النظـرات الخاصّـة عنـد قائليهـا عـن المناسـبة أو الشـخصيّة.

الهوامش:

(١) ختـام، جـواد (٢٠١٦). التداوليّـة أصولهـا واتّجاهاتهـا، دار كنـوز المعرفـة للنـشر والتوزيـع، عـمّان، ط ١، ص ١٣.

(٢) بـو معيـزة، منـى وبـو الجـاج، حنـان. الأبعـاد التداوليّـة في الخطـاب الشـعريّ «قصيـدة شـعب الجزائـر مسـلم لعبـد الحميـد ابـن باديـس»، مذكّـرة مقدّمـة لاسـتكمال متطلّبـات نيـل الشـهادة الماسـتر، في تخصّـص لسـانيّات الخطـاب في جامعـة محمّـد الصدّيـق بـن يحيـى، السـنة الجامعيّـة ٢٠٢٠ - ٢٠٢١، ص ١٠.

(٣) عبـد الرضـا، إسراء. التداوليّـة: النشـأة والمفهـوم المعـاصر، مجلّـة آداب الكوفـة، الكوفـة، العـدد ٥٥، ج ٢، آذار ٢٠٢٣، ص ٣٥٩.

(٤) عـمارة، محمّـد. آيـات الجهـاد في القـرآن الكريـم (دراسـة تداوليّـة)، رسـالة مقدّمـة لنيـل درجـة الماجسـتير في اللغـة العربيّـة، في تخصّـص لغـة في جامعـة طنطـا، السـنة الجامعيّـة ٢٠١٩، ص ١٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١.

(٦) بـن عـلي، خلـف اللـه. التداوليّـة مقدّمـة عامّـة، مجلّـة اتّحـاد الجامعـات العربيّـة لـلآداب، تيسمسـيلت، العـدد ١، ٢٠١٧، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٧) نحلـة، محمـود (٢٠٠٢). آفـاق جديـدة في البحـث اللغـويّ المعـاصر، دار المعرفـة الجامعيّـة، بـلا، بـلا ط، ص ١٤.

(٨) بو جمعة، علجيّة (د. ت). التداوليّة: دراسات في المجالات والفروع، تيزي - وزو، ص ١٦١.

(٩) خـيرة، بلجيـلالي. اللسـانيّات التداوليّـة ودورهـا في العمليّـة التواصليّـة دراسـة تحليليّـة لكتـاب اللغـة والتواصـل عبـد الجليـل مرتـاض أنموذجًـا مـشروع: اللسـانيّات العامّـة بـين النظريّـة والتطبيـق، مذكّـرة لنيـل شـهادة الماجسـتير، في جامعـة أبي بكـر بلقايـد، السـنة الجامعيّـة ٢٠١٣ - ٢٠١٤، ص ١١ - ١٢.

(١٠) الشـهري، عبـد الهـادي (٢٠٠٤). إسـتراتيجيّات الخطـاب مقاربـة لغويّـة تداوليّـة، دار الكتـاب الجديـد المتّحـدة، بـيروت، ط ١، ص ٢٣ - ٢٤.

(١١) عكاشة، محمود (٢٠١٣). النظريّة البراجماتيّة اللسانيّة (التداوليّة) «دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ»، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ص ٢١.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١١٥ - ١١٦.

(١٣) الشهري، عبد الهادي (٢٠٠٤). إستراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط ١، ص ٤٠ - ٤١.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٤٤ - ٤٥.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(١٨) القباطي، إفهام. الاستلزام الحواريّ في سورة يوسف (دراسة تداوليّة)، مجلّة العلوم التربويّة والدراسات الإنسانيّة، تعز، العدد ١٢، سبتمبر ٢٠٢٠، ص ٤٤٢.

(١٩) عكاشة، محمود (٢٠١٣). النظريّة البراجماتيّة اللسانيّة (التداوليّة) «دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ»، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ص ٨٦ - ٨٧.

(٢٠) كادة، ليلى. المكوّن التداوليّ في النظريّة اللسانيّة العربيّة ظاهرة الاستلزام التخاطبيّ أنموذجًا، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، في تخصّص علوم اللسان العربيّ في جامعة الحاج لخضر، (د. ت)، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(٢١) بن مصطفى، أمبارك. المنحى التداوليّ في تفسير الكشّاف للزمخشريّ، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في اللسانيّات التداوليّة، في تخصّص دراسات لغويّة في جامعة أبي بكر بلقايد، السنة الجامعيّة ٢٠١٨، ص ١٤٣.

(٢٢) نحلة، محمود (٢٠٠٢). آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، دار المعرفة الجامعيّة، بلا، بلا ط، ص ٣٨ - ٣٩.

(٢٣) الشهري، عبد الهادي (٢٠٠٤). إستراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط ١، ص ٩٦.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٢١ - ١٢٢.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ١٠٠.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٢٧) المصدر نفسه، ص ٣٧٠.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣.

(٢٩) هو شكيب بن حمّود بن حسن بن يونس أرسلان، من سلالة التنّوخيّين ملوك الحيرة (١٢٨٦

هـ/ ١٨٦٩ م - ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٦ م): عالم بالأدب والسياسة، مؤرّخ، من أكابر الكتّاب، ويُنعت بأمير البيان، من أعضاء المجمع العلميّ العربيّ. وُلد في الشويفات بلبنان، وتعلّم في مدرسة «دار الحكمة» ببيروت. وانتُخب نائبًا عن حوران في مجلس «المبعوثان» العثمانيّ. توفيّ في بيروت، ودُفن بالشويفات. عالج السياسة الإسلاميّة قبل انهيار الدولة العثمانيّة، وكان من أشدّ المتحمّسين من أنصارها. واضطلع بعد ذلك بالقضايا العربيّة متناولاً إيّاها تفصيلاً وإجمالاً. من تصانيفه: «الحلل السندسيّة في الرحلة الأندلسيّة»، و«لماذا تأخّر المسلمون؟»، و«حاضر العالم الإسلاميّ». (الزركليّ، خير الدين (د. ت). الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ج ٣، ص ١٧٣ - ١٧٤).

(٣٠) الهاشميّ، أحمد (٢٠١٣). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع تحقيق يوسف الصميليّ، المكتبة العصريّة، صيدا - بيروت، بلا ط، ص ٥٧.

(٣١) أرسلان، شكيب (٢٠١٠). ديوان الأمير شكيب أرسلان، الدار التقدّميّة، الشوف، ط ١، ص ٤٠.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٥١.

(٣٣) المصدر نفسه، ص ٨٨.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ١٠٣.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٣٨) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٣٩) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٤١) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٨١.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٤١.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٤٥) المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ١٣٣.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٥١) المصدر نفسه، ص ٩١.

(٥٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٨٨.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٨١.

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٨١.

(٥٧) المصدر نفسه، ص ١١٧.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٥٩) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٦٠) المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٦١) المصدر نفسه، ص ٤٠.

(٦٢) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٦٣) المصدر نفسه، ص ٩١.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

المصادر والمراجع

١ - أرسلان، شكيب (٢٠١٠). **ديوان الأمير شكيب أرسلان**، الدار التقدّميّة، الشوف، ط ١.

٢ - بو جمعة، علجيّة (د. ت). **التداوليّة: دراسات في المجالات والفروع**، تيزي - وزو.

٣ - ختام، جواد (٢٠١٦). **التداوليّة أصولها واتّجاهاتها**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، ط ١.

٤ - خيرة، بلجيلالي. **اللسانيّات التداوليّة ودورها في العمليّة التواصليّة دراسة تحليليّة لكتاب اللغة والتواصل عبد الجليل مرتاض أنموذجًا مشروع: اللسانيّات العامّة بين النظريّة والتطبيق**، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير، في جامعة أبي بكر بلقايد، السنة الجامعيّة ٢٠١٣ - ٢٠١٤.

٥ - الزركليّ، خير الدين (د. ت). **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ج ٣.

٦ - الشهري، عبد الهادي (٢٠٠٤). **إستراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة**، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، ط ١.

٧ - عبد الرضا، إسراء. **التداوليّة: النشأة والمفهوم المعاصر**، مجلّة آداب الكوفة، الكوفة، العدد ٥٥، ج ٢، آذار ٢٠٢٣.

٨ - عكاشة، محمود (٢٠١٣). **النظريّة البراجماتيّة اللسانيّة (التداوليّة) «دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ»**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١.

٩ - بن علي، خلف الله. **التداوليّة مقدّمة عامّة**، مجلّة اتّحاد الجامعات العربيّة للآداب، تيسمسيلت، العدد ١، ٢٠١٧.

١٠ - عمارة، محمّد. **آيات الجهاد في القرآن الكريم (دراسة تداوليّة)**، رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربيّة، في تخصّص لغة في جامعة طنطا، السنة الجامعيّة ٢٠١٩.

١١ - القباطي، إفهام. **الاستلزام الحواريّ في سورة يوسف (دراسة تداوليّة)**، مجلّة العلوم التربويّة والدراسات الإنسانيّة، تعز، العدد ١٢، سبتمبر ٢٠٢٠.

١٢ - كادة، ليلى. **المكوّن التداوليّ في النظريّة اللسانيّة العربيّة ظاهرة الاستلزام التخاطبيّ أنموذجًا**، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، في تخصّص علوم اللسان العربيّ في جامعة الحاج لخضر، (د.ت).

١٣ - بن مصطفى، أمبارك. **المنحى التداوليّ في تفسير الكشّاف للزمخشريّ**، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في اللسانيّات التداوليّة، في تخصّص دراسات لغويّة في جامعة أبي بكر بلقايد، السنة الجامعيّة ٢٠١٨.

١٤ - بو معيزة، منى وبو الجاج، حنان. **الأبعاد التداوليّة في الخطاب الشعريّ «قصيدة شعب الجزائر مسلم لعبد الحميد ابن باديس»**، مذكّرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات نيل الشهادة الماستر، في تخصّص لسانيّات الخطاب في جامعة محمّد الصدّيق بن يحيى، السنة الجامعيّة ٢٠٢٠ - ٢٠٢١.

١٥ - نحلة، محمود (٢٠٠٢). **آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر**، دار المعرفة الجامعيّة، بلا، بلا ط.

١٦ - الهاشميّ، أحمد (٢٠١٣). **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، تحقيق يوسف الصميليّ، المكتبة العصريّة، صيدا - بيروت، (ب.ط).

تجربة تدريس المواد التطبيقية عن بعد في برامج التصميم والتواصل البصري في الجامعات الأردنية/ تجربة جامعة جدارا

Experience in teaching applied courses remotely within design and visual communication programs at Jordanian universities, with specific expertise at Jadara University.

زيدون إحسان الرباعي*

ملخص

تسلط هذه الدراسة على أثر أنظمة التعليم عن بعد -التي تراكبها كليات التصميم والتواصل البصري التطبيقية في الأردن- على المخرجات التخصصية على المستوى الدقيق للمتعلم منذ بدء الجائحة كوفيد-١٩ في آذار ٢٠٢٠ حتى اليوم. حيث تمّ الاعتماداً على قياس فاعلية طرائق التدريس عن بعد وأدواته من خلال تقييمات أداء الطلبة والمدرسين، فالدور التبادلي بين المدرس والطلبة الذي قد يعتبر وسيلة فعالة في حل المشكلات كما يقترح عمليات) التفكير التصميمي (. اعتمد الباحث على المنهج التجريبي الذي يعتمد على انشاء تجربة ورصدها، وتمّ اعداد تجربة لـ ٤٠ طالب/طالبة تتروح أعمارهم بين (١٨-٢٢ سنة) من جامعة جدارا. توصلت الدراسة الى وجود فرق ذي دلالة احصائية عند المستوى الدلالة بن متوسطي أداء الطلبة المجموعتين (التجريبية، والضابطة) في مستوى الأداء لصالح المجموعة التجريبية. وحيث أن نتائج الدراسة كانت إيجابية في زيادة التحصيل، وقدم الباحث مجموعة من التوصيات للمدرسين في الحقل، أهمها، وجود خطط رسمية للارتقاء بالمستوى التعليمي والأداء الوظيفي لأعضاء هيئة التدريس والذي يمكن أن يتحقق من خلال تقديم دورات تدريبية متخصصة لطرق وأساليب التدريس المتقدمة المناسبة للتعلم عن بعد.

الكلمات المفتاحية

الابتكار في التدريس، التصميم والتواصل البصري، التعليم عن بعد، التفكير التصميمي، المناهج التطبيقية.

* طالب في مرحلة الدكتوراه

Abstract

This study examines the impact of distance learning systems—adopted by applied colleges of design and visual communication in Jordan—on specialized learning outcomes at the micro-level since the onset of the COVID-19 pandemic in March 2020. The study evaluates the effectiveness of remote teaching methods and tools by assessing the performance of both students and instructors. It particularly explores the reciprocal role between instructors and students, which can serve as an effective problem-solving approach, as suggested by design thinking processes. The research employs an experimental methodology involving the creation and observation of an instructional experiment. A total of 40 students, aged 18–22, from Jadara University participated in the study. The findings indicate a statistically significant difference in the performance levels of students in the experimental and control groups, favoring the experimental group. Given the positive impact of distance learning on student achievement, the study offers several recommendations for educators, most notably the necessity of formal strategies to enhance both educational quality and faculty performance. This goal can be achieved by providing specialized training programs on advanced teaching methodologies suitable for remote learning.

The keyword:

Innovation in Teaching, Design and Visual Communication, Distance Education, Design Thinking, Applied Curricula.

أهمية البحث

يستمد هذا البحث أهميته، من رغبة الباحثين من تطوير فعالية التعليم من النوع التطبيقي عن بعد. يطرح الباحثون طرق وأساليب تدريس لها علاقة بمناهج التفكير الابداعي كالتفكير التصميمي والتي من شأنها تعزز وتنمي مهارات طلبة التصميم في حل مشكلاتهم بدل من اللجوء الى المدرس بشكل مباشر. ومن الناحية النظرية رصد خصائص التدريس للعلوم التطبيقية عن بعد وتبعاتها، وهو ما يشكل ندرة في الدراسات التي أجريت في هذه الصدد. ,يتوقع من هذه الدراسة التوصل الى اقتراحات عن اساليب تطبيقية لها فعالية في حقل التصميم والتواصل البصري.

أهداف البحث

يهدف البحث الى محاولة تعزيز دور التبادلي في العملية التعليمية في ظل انعكاسات

الجائحة التي من شأنها طرح حلول فعاله من عدة زوايا بدلا من طرق التعليم الكلاسيكي كطريقة مملة أو غير كافية لبث لمعلومات.

حدود البحث: اقتصرت الدراسة على ما يلي:
– عينة طلاب التصميم والتواصل البصري وطبقت على مواد تطبيقية سنة أولى (تصميم الدعاية والاعلان)في جامعة جدارا.

– تراوحت مستويات الطلبة التعليمي بين السنة الثانية والثالثة وأعمارهم متقاربة تراوحت (١٨-٢٢سنة).

مشكلة البحث

تكمن المشكلة في الفجوة بين ما تعلمه المصمم وما يجب تعلمه عن بعد لتحقيق احتياجات السوق وتلبية رغبات المستفيدين. حيث تقدم استراتيجية التفكير التصميمي De-sign Thinking على ربط متطلبات المهارات الأساسية بالمجال الأكاديمي.

مصطلحات البحث:

التفكير التصميمي: هو منهجية تقوم على إيجاد الحلول والابتكار المركزة أساسا على الإنسان. وهي عملية تقوم على خمس خطوات: الملاحظة، التصور، النمذجة، الاختبار، التنفيذ. يضع التفكير التصميمي الأشخاص الذين نصمم لهم في مركز العملية ويدعوهم إلى إيجاد حلول ملموسة (موقع الأمم المتحدة/ التفكير-التصميمي-الأمم-المتحدة-الإنمائي).

التعليم عن بعد: حيث ركز مصطلح التعليم عن بعد على استخدام الوسائل الالكترونية بما فيها التلفاز والاذاعة، الا انّه في ظل الجائحة اقترن التعليم عن بعد بمفهوم التعليم الالكتروني وكان التركيز على استخدام وسائل رقمية تعتمد على شبكات الانترنت كوسيلة اتصال رئيسية وحيث **يمكن** (العطروزي، محمد. عن التعليم الالكتروني,٢٠٢٠)

أسئلة البحث:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على السؤال الرئيسي التالي: **ما أثر استخدم التفكير التصميمي من خلال التدريس عن بعد لمواد التصميم والتواصل البصري التطبيقية على مهارات الطلبة وتحصيلهم**؟ ويندرج منها الأسئلة الفرعية التالية:

- هل يحتوي المنهاج على تجربة حقيقية؟

- هل يشارك جميع الطلبة في العملية التعليمية؟
- هل يتم طرح مجموعة من الحلول المختلفة الاتجاهات؟
- ما هي الطرق التي يتم فيها اختبار فعالية الحلول؟
- هل هناك علاقة بين مخرجات المواد التطبيقية ومزاولة المهنة الحقيقية؟

فرضيات البحث:

تتمثل الفرضيات بالتالية:

- وجود تكافئ الفرص بين الطلبة في التخصص من حيث وجود انترنت عالي النطاق .

- وجود منصات تعليم ذات جودة عالية وأدوات تعليم خاصة بالمواد على اعتبار أن تخصص التصميم والتواصل البصري يتطلب أصلاً وجود أدوات وتقنيات عالية الجودة ومناسبة لتنفيذ المشاريع المختلفة. تمثل بـ:

– وجود فرق ذو دلالة احصائية بين مجموعتي البحث في متوسط مستوى المعرفي للطلبة في المجموعات التجريبية الذين استخدم عليهم التفكير التصميمي والضابطة التي درست بالطريقة التقليدية.

– وجود فرق ذو دلالة احصائية بين متوسطي مهارات (عدد الحلول الواقعية) لأفراد المجموعتين المجموعات التجريبية الذين استخدم عليهم التفكير التصميمي والضابطة التي درست بالطريقة التقليدية.

– وجود فرق ذو دلالة احصائية بين مجموعتي البحث في متوسط مستوى كفايات الطلبة من حيث المسؤولية والحكم الذاتي في المجموعات التجريبية الذين استخدم عليهم التفكير التصميمي والضابطة التي درست بالطريقة التقليدية.

–

منهج البحث

استخدم الباحث المنهج التجريبي على متغير متعمد ومضبوط للشروط المحددة للواقع والظاهرة بقصد ضبط السلوك والتحكم به والقدرة على التنبؤ (عبد الرحمان ،٢٠١٤) حيث اعتمد الباحث على بناء التجربة من خلال اعادة تشكيل المجموعات الدراسية بهدف كشف الاثر ودور كل متغير) المندلاوي،٢٠١٦). ويتم ادخال متغير مستقل لقياس أثر التجربة سلبا أو ايجاباً.

عينة البحث:

اعتمد الباحث على تقسيم العينة الى مجموعتين من الطلبة سنوات (أولى -ثانية)

باستخدام مجموعتين متكافئتين: (مجموعة تجريبية ضابطة) من ٤٠ طالب وطالبة قصدية لمواد السنة ألاولى، والثانية والثالثة مع مراعاة عامل التجانس وذلك للتأكد من إمكانية المقارنات البعدية بين المجموعتين.

***

المقدمة:

أنّ التحديات التي أوجدتها جائحة كوفيد-١٩ في التعليم هي السمة المميزة لوقتنا الحالي. فرضت تلك التغيرات أنماط تعليم جديدة تعتمد بشكل كبير على إدخال التكنولوجيا في مجال التعليم. لذا لا بدّ من مؤسسات التعليم من تغيير أساليبها حيث استمر التعليم عن بعد منذ آذار العام الماضي ٢٠٢٠ ونضج بشكل واضح حاليا، وكانت مدة كافية لقياس مدى فعالية الوضع الجديد.

حيث لجأت العديد من المؤسسات باستخدام تطبيقات من شركات عالمية معروفة كالمايكروسوفت من شأنها توفير منصات تعليم تقدم خدمات إلكترونية تحاكي بيئة التدريس وتسهل العملية التدريسية بدءاً من الفيديو والمحادثة والتسجيل وأدوات العرض المختلفة إلى المشاركة لأنواع الملفات النصية والصوتية وغيرها من الخدمات التي تسهل التواصل بين الطلبة والمدرسين.

وحيث تعددت الدراسات التي رصدت نتاج التعليم عن بعد وآثاره على تحصيل الطلبة، ولكن وجب التنويه هنا أنّ أغلبها عامة تمحورت حول تكافؤ الفرص وتوفر إمكانيات والبنى التحتية للتعليم مثل توفر المعلومات الكافية وإمكانية الوصول إلى المادة العلمية والقدرة على الفهم وتطوير المهارات. حيث تمت الدراسة حول تدريس المواد التطبيقية من خلال ربطها بالعالم الحقيقي وإمكانياته عن بعد.

يركز نهج التفكير التصميمي على تنمية الثقة الإبداعية لدى الطلاب ويربط التفكير التصميمي بين حل المشكلات في العالم الحقيقي وبيئات الفصل الدراسي. يشارك المعلمون والطلاب في تحديات التصميم العملية التي تركز على: تطوير التعاطف، وتعزيز العمل، وتشجيع التفكير، وتطوير الوعي ما وراء المعرفة، وتعزيز حل المشكلات.

وخلال هذه العملية التكرارية، يتم تشجيع الطلاب على: فهم المستخدم، وتحدي الافتراضات، وإعادة تعريف المشكلات. يتمثل جوهر التفكير التصميمي في الرغبة في تحسين المنتجات من خلال تحليل وفهم كيفية تفاعل المستخدمين مع المنتجات والتحقيق في الظروف التي تعمل فيها. هذا ينطوي على طرح الأسئلة وتحدي الافتراضات.

ويرى ليندبرغ وآخرون أن التفكير التصميمي ليس كغيره من الوسائل فهو يتيح الحرية في اختيار الاحتمالات من خلال عملية تشاركية والتعلم القائم على فريق من مختلف التخصصات (ليندبرغ، نويسيك ومينل، ٢٠١٠).

الدراسات سابقة:

دراسة Melles (٢٠١٠) أجريت هذه الدراسة على ٩٠ طالبا في جامعة سوينبورن تدرس في وقت واحد في ملبورن وهونغ كونغ في الفصل الدراسي الاول من عام ٢٠١١ حيث طبق دورة في التفكير التصميمي كمنهج من خلال مناقشات وورش عمل خاصة وطلب من الطلبة تطبيق مشاريع داخل الحرم الجامعي من خلال حضور محاضرات ومناقشات مدونات ومراجعة الأدبيات وجمع ملاحظات، حيث وجدت الدراسة صعوبة في تدريب المختصين في التصميم كالمصممين الداخلي والصناعي لأول مره حيث كان ينظر الى المشكلة على أنها فكرة تصميم أو منتج بدل من نظام متكامل له عدة جوانب جوهرها الانسان.

اما دراسة نايجل كروس (٢٠٠١)، الأستاذ الفخري لدراسات التصميم في الجامعة المفتوحة، المملكة المتحدة في الورقة البحثية طرق المعرفة المصممة: Designerly ways of knowing: design discipline versus design science ، يفكك الصراع الذي بدأ في الظهور في أوائل الستينيات عندما بذلت محاولات «العلم» «التصميم ، وجعل المجال ضمن هدف العلوم العقلانية. يسلط كروس الضوء على تصريحات للتقني الراديكالي بكمنستر فولر، والتي أشار فيها إلى «عقد علم التصميم» تتطلب منهجية تعاونية تتضمن فهم عميق للبشر اقترح أن «علم التصميم» يمكن أن يشكل أرضية مشتركة أساسية والسعي الفكري والتواصل عبر الفنون والعلوم والتكنولوجيا.

الجانب التطبيقي للبحث

تمّ تطبيق التجربة على مجموعة من طلبة تخصص التصميم والتواصل البصري في جامعة جدارا في مساق الدعاية والاعلان.»و تقييم المواد حسب متطلبات الجودة واستناداً وانسجاما مع النظريات العلمية مثل نظرية بلوم bloom taxonomy ١٩٥٦الى ثلاثة مستويات كالتالي:

جدول (١): منهجية التقييم المعتمد للمساق في جامعة جدارا

المعرفة	مهارات	الكفايات
A1-الفهم النظري K1- أن يدرك متطلبات العميل A2-التطبيق العملي K2- أن يطبق أسس التصميم	B1-الحل العام للمشكلات والمهارات التحليلية S1- أن يحلل المشكلة الى عناصرها الأولية B2-الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والحسابات S2- أن يكون العمل باستخدام التقنيات	C1-الحكم الذاتي والمسؤولية والسياق C1-أن يبدع من خلال الاتيان بأفكار جديدة غير مكررة C2-أن يتوقع الحلول الأنسب للمشكلة

بنـاءً عـلى التقييـم المسـبق، تـم إخضـاع الطلبـة للتجربـة لمـدة أسـبوعين حيـث تـم طـرح فكـرة واقعيـة مـن خـلال تصميـم لوجـو لمقهـى الجامعـة الثقـافي. عنـد طـرح فكـرة اللوجـو للمقهـى الثقـافي الـذي سـيتم إنشـاؤه في الجامعـة كنمـوذج واقعـي، طُلـب مـن الطلبـة أن يقسـموا إلى مجموعتـين مـن ١٠ أفـراد وتقديـم أفـكار لتصميـم لوجـو غـير محـدد بعـدد معـين.

المجموعـة الضابطـة: تـم تقسـيم الطلبـة إلى مجموعتـين، ثـم تـم إعطاؤهـم مقدمـة عـن المقهى وأهدافـه ومقوماتـه. بعـد ذلـك، طُلـب منهـم مبـاشرة البـدء في التصميـم كالمعتاد.

المجموعـة التجريبيـة: طلـب مـن مجموعـة الطلبـة في المرحلـة الأولى أن يبنـوا تصوراتهـم عـن المقهـى كـما في المجموعـة الضابطـة، ثـم طُلـب مـن كل طالبـين مـن كل مجموعـة مناقشـة الموضوع ووضـع تصوراتهـم عـن المقهـى بشـكل رسـومات وأسـئلة وملاحظـات. بعدهـا، طُلـب مـن الطلبـة مناقشـة طلبـة آخريـن عـن بُعـد مـن تخصصـات مختلفـة حـول المقهـى، وتحديـد رغبـات الطلبـة مـن خـلال المقهـى وبنـاء مقترحـات. ثـم تـم طلـب إضافـة التعديـلات، بنـاء الملاحظـات، وبنـاء نمـوذج أولي لاختبـاره مـع الطلبـة لمعرفـة مـا إذا كان مرغوبـاً مـن وجهـة نظـر المسـتفيدين.

تحليل النتائج:

جدول (٢): نتائج المجموعة الضابطة بناءً على التقييم المعتمد للمساق في جامعة جدارا

المجموعة الثانية (التجريبية)

النتائج المعتمدة	الأدوات والتقنيات المستخدمة	النتائج المحققة					
		A		B		C	
		K1	K2	S1	S2	C1	C2
		5	5	5	5	5	5
التجربة الأولى	ملاحظات، اسكتشات رصاص، تطبيق في برنامج	3	3	2	4	3	2
التجربة الثانية	ملاحظات، اسكتشات رصاص، تطبيق في برنامج	2	4	1	3	1	1
التجربة الثالثة	ملاحظات، اسكتشات رصاص، تطبيق في برنامج	1	3	1	4	1	1
التجربة الرابعة	ملاحظات، اسكتشات رصاص، تطبيق في برنامج	2	2	1	4	1	1
التجربة الخامسة	ملاحظات من العميل، اسكتشات رصاص، تطبيق في برنامج	2	4	1	4	2	1

التجربة السادسة	ملاحظات، اسكتشات رصاص، تطبيق في برنامج	1	3	1	4	1	2
التجربة السابعة	ملاحظات، اسكتشات رصاص، تطبيق في برنامج	2	2	1	4	1	2

جدول (٣): نتائج المجموعة التجريبية بناءً على التقييم المعتمد للمساق في جامعة جدارا

جدول (3): نتائج المجموعة التجريبية بناءً على التقييم المعتمد للمساق في جامعة جدارا

لوجو لمقهى ثقافي في الجامعة	الأدوات والتقنيات المستخدمة	النتائج المحققة					
		A		B		C	
		K1	K2	S1	S2	C1	C2
التجربة الأولى	ملاحظات، اسكتشات رصاص، تطبيق في برنامج	3	4	4	4	4	3
التجربة الثانية	ملاحظات، اسكتشات رصاص، تطبيق في برنامج	4	4	3	3	4	3
التجربة الثالثة	ملاحظات، اسكتشات رصاص، تطبيق في برنامج	3	3	3	3	3	2
التجربة الرابعة	ملاحظات، اسكتشات رصاص، تطبيق في برنامج	4	3	4	4	4	3
التجربة الخامسة	ملاحظات، اسكتشات رصاص، تطبيق في برنامج	2	2	3	4	2	3

اختبار الفرضيات

- الفرضيـــة الأولى: وجـــود فـــرق ذو دلالـــة احصائيـــة بـــين مجموعتـــي البحـــث في متوســـط مســـتوى المعـــرفي للطلبـــة في المجموعـــات التجريبيـــة الذيـــن اســـتخدم عليهـــم التفكـــير التصميمـــي والضابطـــة التـــي درســـت بالطريقـــة التقليديـــة تـــم اختبـــار الفرضيـــة باســـتخدام اختبـــارات لعينتـــين مســـتقلتين (independent t test). ويشـــير الجـــدول (٤) الى نتائـــج الفرضيـــة الاولى

المجموعة	Mean الوسط	Std. Deviation الانحراف المعياري	Sig الدلالة الاحصائية
ضابطة	2.4286	.53452	0.04
تجريبية	3.2000	.75829	

تبين النتائج ان قيمة الدلالة (٠,٠٤) مما يبين وجود فروقات ذات دلالة احصائية في متوسط مستوى المعرفة لصالح المجموعة التجريبية (٣,٢).

- **الفرضية الثانية**: وجود فرق ذو دلالة احصائية بين متوسطي مهارات (عدد الحلول الواقعية) لأفراد المجموعتين المجموعات التجريبية الذين استخدم عليهم التفكير التصميمي والضابطة التي درست بالطريقة التقليدية تم اختبار الفرضية باستخدام اختبارات لعينتين مستقلتين (independent t test).الجدول (٥) نتائج الفرضية الثانية

المجموعة	Mean الوسط	Std. Deviation الانحراف المعياري	Sig الدلالة الاحصائية
ضابطة	2.5000	.28868	0.01
تجريبية	3.5000	.50000	

تبين النتائج ان قيمة الدلالة (٠,٠١) مما يبين وجود فروقات ذات دلالة احصائية في متوسط مستوى المهارات لصالح المجموعة التجريبية (٣,٥).

- **الفرضية الثالثة**: وجود فرق ذو دلالة احصائية بين مجموعتي البحث في متوسط مستوى كفايات الطلبة من حيث المسؤولية والحكم الذاتي في المجموعات التجريبية الذين استخدم عليهم التفكير التصميمي والضابطة التي درست بالطريقة التقليديةتم اختبار الفرضية باستخدام اختبارات لعينتين مستقلتين (independent t test).

الجدول (٦) نتائج الفرضية الثالثة

المجموعة	Mean الوسط	Std. Deviation الانحراف المعياري	Sig الدلالة الاحصائية
ضابطة	1.4286	.53452	0.00
تجريبية	3.1000	.54772	

تبين النتائج ان قيمة الدلالة (٠,٠١) مما يبين وجود فروقات ذات دلالة احصائية في متوسط مستوى الكفايات لصالح المجموعة التجريبية (٣,١).

مناقشة النتائج والتوصيات:

توصل الباحث أنّ عملية التفكير التصميم عن بعد واجهت صعوبات من ناحية التواصل مع بيئة العمل والمستفيدين حيث تم مناقشة النماذج الأولية مع الاشخاص بصعوبة لعدم وجود آلية للتواصل بين الطلبة بين بعضهم من خلال التطبيقات والموقع الرسمي للجامعة. وتمّ التوصل إليهم بطرق شخصية مما استدعى الباحث الى التوصية لتكرار التجربة، ولكن بثبات أكبر، وحيث كانت النتائج التي توصل اليها المجموعة التجريبية تستدعي الاهتمام وكانت النتائج كالآتي:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المستوى المعرفي للطلبة الذين لديهم معرفة تامة بالعميل وبين المجموعة التي لا تعير وسائل التواصل أية أهمية (الفرضية الاولى).

- إن متوسط عدد الحلول الطلبة الذين طبق عليهم التفكير التصميمي نجده أكبر من متوسط المجموعة التي درست بالطريقة التقليدية. (الفرضية الثانية).

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في أثر التفكير التصميمي في توليد أفكار جيدة (الفرضية الثالثة).

- وهذا يدل على أن مجموعة الطلبة الين طبق عليهم التفكير التصميمي أخذوا وقت أطول في تحديد القرارات وبنوا نتائجهم وفق معرفة العميل من المجموعة الأخرى التي طبق عليهم الطرق التقليدية.

التوصيات

توصي الدراسة بالتالي:

١- تحديد معايير واضحة لجودة التعليم الإلكتروني.

٢- تأهيل الكادر البشري (إداريين، وطلبة) لاستخدام التطبيقات المتقدمة في التعليم الإلكتروني.

٣- توفير بيئة تحاكي مختبرات التعليم كوجود (استوديو منزلي) مناسب لتدريس المساقات التطبيقية المختلفة.

٤- استخدام أساليب التدريس التي تركز على الحوار والتبادل كالتفكير التصميمي.

المراجع والمصادر

١- التفكير التصميمي دليل لنمذجة ولاختبار حلول أهداف التنمية المستدامة (٢٠١٧) تم الاطلاع عليه في ٢٠/٣/٢٠٢١م , http://genfordev.com/wp-ontent/uploads/٢٠١٩/٠٢c

٢- عبد الرحمن، سيد (٢٠١٤)، مناهج البحث، القاهرة: عالم الكتب.

٣- العطروزى، محمد نبيل (٢٠٠٢). ورقة عمل حول التعليم الجامعي عن بعد رؤية مستقبليه الموضوع التعليم الالكتروني: أحد نماذج التعليم الجامعي عن بعد، المؤتمر القومي السنوي التاسع (العربي الأول) لمركز تطوير التعليم بجامعة عين شمس: التعليم الجامعي عن بعد» رؤية مستقبلية»

٤- محمود، خالد صلاح حنفي (٢٠١٤). التعليم الجامعي المفتوح والتعليم عن بعد، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر.

٥- المندلاوي، نبراس (٢٠١٦). استخدام مناهج البحث العلمي في الرسائل الجامعية، مجلة آداب المستنصرية.

1- Bloom, B. (1956). Taxonomy of educational objectives: The classification of educational goals. London: Longman.

2- Cross N (1982) Designedly Ways of Knowing. Design Studies 3(4) 221–227 Cross Ref Google Scholar

3- Lindberg, T., Noweski, C. & Menial, C. 2010, Evolving Discourses on Design Thinking—How Design Cognition Inspires Met disciplinary Creative Collaboration', Techno ethic Arts, 8(1), pp. 31–37.

4- Melles, G. 2010, 'Curriculum design thinking: a new name for old ways of thinking and practice?', Proceedings of the DTRS8 Conference, UTS Sydney

5- Skaggs, P. (2018). Design Thinking: Empathy through Observation, Experience, and Inquiry, Proceedings of Society for Information Technology & Teacher Education International Conference (pp. 1168–1172). Washington, D.C., United States: Association for the Advancement of Computing in Education (AACE).

تصدر (المجلة اللبنانية للعلوم والأبحاث - LJSR) عن (الجمعية اللبنانية للعلوم والأبحاث - LASR)، وهي مجلة محكّمة تعنى بنشر أبحاث الزملاء العلماء من أساتذة وباحثين بهدف تبادل الخبرات والترقيات..

والجمعية بالإضافة إلى نشاطها في ميدان النشر والتحكيم تعمل على إقامة المنتديات والمؤتمرات العلمية التي تشكل جسر تواصل وشبكة تلاق بين مختلف العلماء في الوطن العربي والعالم، ملتزمة الموضوعية والمعايير العلمية في مؤتمراتها وأبحاثها..

كما تنشر الكتب العلمية والرسائل الجامعية التي تخدم أهدافها وتشكل إضافة مفيدة للباحثين والدارسين..

وغني عن القول أن المجلة ترحب بالمشاركات الجادة الملتزمة بالشروط والمعايير المذكورة داخل هذا العدد.